



جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الخليج العربي في العصور الكلاسيكية ٣٣٣ ق.م - ٢٢٤ م
دراسة تاريخية - أثرية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالب:

إبراهيم يوسف السليمان

بإشراف

الأستاذ الدكتور: محمد الزين

أستاذ التاريخ الكلاسيكي بجامعة دمشق

فهرس المحتويات

رقم	العنوان
1	المقدمة
13	الفصل الأول: اليونان والعرب ما قبل غزو الإسكندر المقدوني
14	أولاً: بدايات معرفة اليونان بالعرب وبلادهم
29	ثانياً: الخليج العربي قبيل غزو الإسكندر المقدوني
36	الفصل الثاني: الإسكندر المقدوني ومشاريع غزو الخليج العربي
37	أولاً: بدايات تعرف الإسكندر على العرب
45	ثانياً: عودة أسطول الإسكندر من الهند عبر الخليج العربي
67	ثالثاً: دوافع الإسكندر لاحتلال الخليج العربي
67	١ - أسباب سياسية: الرغبة في اخضاع العرب
69	٢ - أسباب فضولية: الرغبة في استكشاف هذه البلاد التي يلفها الغموض
70	٣ - أسباب اقتصادية: الرغبة في السيطرة على موارد ثراء العرب
73	٤ - أسباب دينية: اعتقاد الإسكندر بألوهية نفسه
75	رابعاً: البعثات الاستكشافية للخليج العربي
76	١ - بعثة الأميرال أرخياس
77	٢ - بعثة الأميرال أندروستينيس التاسي
79	٣ - بعثة الأميرال هيرون السولي
81	٤ - بعثة البحر الأحمر
82	خامساً: قرع طبول الحرب على العرب
84	سادساً: آثار الإسكندر في الخليج العربي
87	الفصل الثالث: الخليج العربي خلال العصر السلوقي (٣١٢ - ١٤١ ق.م)
88	أولاً: السلوقيون والسيطرة على الخليج العربي
99	ثانياً: إقليم تايروس والجزر في العصر السلوقي
99	١ - تايروس
120	٢ - جزيرة إيكاروس (فيلكا).
132	٣ - جزيرة تاروت
134	ثانياً: علاقات السلوقيين مع الجرهاء

134	١- موقع الجرهاء المفقود
145	٢- علاقات الجرهاء الاقتصادية
151	٣- هوية الجرهاء ونظامها السياسي
155	٤- حملة أنطيوخس الثالث على الجرهاء سنة ٢٠٥ ق.م
160	٥- زوال الجرهاء.
161	٦- مواقع عاصرت الجرهاء وربما كانت تابعة لها
162	أ- عين جاوان
165	ب- الظهران
167	ت- موقع منجم الملح
167	ث- جبل كنزان
169	رابعاً: نقود الخليج العربي خلال العصر السلوقي
169	١- النظام النقدي الدولي الجديد
171	٢- أنماط نقود الخليج العربي
173	٣- أهم القطع النقدية التي عثر عليها في الخليج العربي خلال العصور الكلاسيكية
179	الفصل الرابع: الخليج العربي خلال الحقبة الرومانية - الفرثية
180	أولاً: مملكة ميسان والخليج العربي
194	ثانياً: الرومان والخليج العربي
206	ثالثاً: تدمير والخليج العربي
216	رابعاً: أهم المواقع الأثرية في الحوض الجنوبي للخليج العربي
217	١- موقع مليحة الأثري
228	٢- موقع الدور الأثري
246	الخاتمة
249	قائمة المصادر والمراجع

فهرس الصور

رقم	العنوان	صفحة
١	الإله أبوللون إله الشمس عند الإغريق حاملا في يده إكليل الغار	28
٢	قصر دلمون (قلعة البحرين) في الألف الأول قبل الميلاد	31
٣	صورة تخيلية للإسكندر عندما أتى بالمشعل	40
٤	منحوت يمثل وجه الإسكندر المقدوني	46
٥	صورة جوية لموضع ميسان	63
٦	جدارية تؤرخ بعصر الدولة الأخمينية في مدينة شيراز الإيرانية، وتصور عرباً على جمالهم وبزيتهم وهم يقدمون الهدايا إلى الملك الفارسي	67
٧	نقش حجري اكتشف في فيلكا يحمل نصا يونانيا مقدما من جنود الإسكندر لآلهة جزيرة فيلكا معروض في متحف الكويت الوطني	85
٨	مخطط دار الضيافة -الخان، الذي يؤرخ بعصر الإسكندر	86
٩	هذا التمثال من أحد القوالب التي عثر عليها في منطقة (ف٤) أو دار الضيافة كما اصطلح على تسميتها، والتمثال للربة نيكـا Nike ربة النصر اليونانية بارتفاع ٩سم.	86
١٠	مخطط موقع قلعة البحرين الأثري ويلاحظ الميناء والقناة البحرية المتصلة به	92
١١	قاعدة المنارة البحرية بالقرب من مدخل القناة، وهي عبارة عن كتلة من الحصى البحري	93
١٢	منظر طبيعي من تايلوس فردوس الإغريق، يعبر عن خصوبة البلاد	101
١٣	نسخة من لوحة أسكليبيوس (موجودة في متحف قلعة البحرين)	103
١٤	النص اليوناني المدون على النصب الحجري في مقبرة الشاخورة في البحرين	104
١٥	صورة جوية لموقع قلعة البحرين	108
١٦	خريطة للتل ١ في مقبرة الشاخورة (شمال البحرين) مدافن منظمة بشكل دائري حول المدفن الرئيس والذي يعود إلى مؤسس المقبرة	109
١٧	قبور النواويس في جانوسان، تنقيبات سنة ١٩٦٩م	111
١٨	نقش دائري لامرأة في حالة حزن، جبس مطلي. مقبرة سار، القرن ٢ - ١ ق.م	115
١٩	نماذج من الفخار الهلنستي الذي عثر عليه في البحرين	119
٢٠	القلعة اليونانية في جزيرة فيلكا، نقلا عن التقرير الشامل	122

٢١	القلعة اليونانية في جزيرة فيلكا، يظهر على اليسار المخطط الأصلي، وعلى اليمين التعديلات المعمارية في بنائها، والبيوت الحجرية التي تم تشييدها فيها	123
٢٢	مخطط المعبد وأماكن توزع العناصر المعمارية، ويظهر أن أرضية المعبد كانت مبلطة	124
٢٣	واجهة المعبد اليوناني في جزيرة فيلكا	125
٢٤	حجر ايكاروس بعد استنساخه من قبل علماء الآثار، وبعد دراسة الكتابة ومحاولة ربطها وإيجاد معنى واضح، ويبلغ عدد أسطوره ٤٤ سطرا، مقسم إلى جزئين، المقدمة ثم الرسالة الموجهة إلى حاكم الجزيرة.	128
٢٥	نص ايكاروس بعد محاولة نهائية لإعادة بناء الجمل وتركيب صيغة الكلام وربطها	129
٢٦	الصورة النهائية لنص ايكاروس، بعد إعادة بناء الجمل وتركيب صيغة الكلام وربطها بشكل متين.	130
٢٧	مخطط المعبد الثاني في فيلكا، يمثل الجدار المظلل إعادة تصميم تقديرية	131
٢٨	شاهد قبر من جزيرة تاروت قبالة الساحل الغربي للخليج العربي، يتوسطه وردة بست وريقات، وفي الأسفل نقش إغريقي يؤرخ بالفترة ما بين ٣٠٠ - ١٠٠ ق.م	133
٢٩	موقع تاج الأثري	137
٣٠	آثار ذهبية من تاج، تل الزاير، منها قناع تاج الذهبي وحلي تؤرخ ب ١٠٠ ق.م	143
٣١	من الكنز الذي عثر عليه في مدفن تاج	143
٣٢	دمية آدمية ذات رقبة طويلة، وملامح الوجه واضحة، عثر عليها في موقع الدفي وتؤرخ في العصر الهلنستي	144
٣٣	نقش إحسائي من موقع تاج بعرض ٢٠سم	154
٣٤	نقش إحسائي من موقع تاج، أعيد استخدام الحجر في بئر، أبعاده ٣٢ × ٤٦سم	154
٣٥	ضريح موقع عين جوان، طيران (سالم بن أحمد)، المنطقة الشرقية	164
٣٦	عقد ذهبي دقيق الصنع زين بحبات اللولو والأحجار الكريمة، مدافن عين جاوان، القرنين الأول والثاني الميلاديين	165
٣٧	مجموعة النقود الفضية من فئة ٤ دراخمة التي عثر عليها في جزيرة فيلكا	174
٣٨	صورة جوية لموقع المدينة وإعادة تكوين سورها بالوسائل الرقمية	181
٣٩	صور جوية لموقع مدينة ميسان تظهر فيها المخطط الهلنستي للمدينة القائم	181

		على الشارع المتقاطعة، وعدد من المباني الكبير فيها	
185	٤١	قطعة نقدية فضية من فئة الأربعة دراهمة تظهر عليها صورة إسباسين حليق اللحية وشعره قصير، وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي، وتؤرخ هذه القطعة بنحو سنة ١٢٤ ق.م.	
188	٤١	قطعة نقدية تظهر عليها صورة أبو داكوس حليق اللحية وشعره قصير، وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي	
191	٤٢	قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة تيراريوس الأول وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي.	
192	٤٣	قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة تيراريوس الثاني وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي	
193	٤٤	قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة أتامبليوس الأول وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي.	
196	٤٥	قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة أتامبليوس الثاني	
197	٤٦	قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة عبد نرجال	
198	٤٧	قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة أتامبليوس الثالث	
202	٤٨	التكعيبية الرومانية، التي كانت تستخدم لوضع تماثيل الآلهة، موقع الدور الأثري.	
203	٤٩	زجاج روماني، ربما صنع في شرق البحر المتوسط/ عثر عليه في موقع الدور الأثري	
203	٥٠	لقى رومانية من موقع الدور في الإمارات العربية المتحدة	
208	٥١	جنود تدمريون في دورا أوروبوس	
215	٥٢	شاهد قبر شخص يدعى عجا بن شمش جرم بن (عجا) في كبيسة، مكتوب بالخط التدمري	
219	٥٣	واحة مليحة- إمارة الشارقة	
220	٥٤	مقابض قوارير أمفورا رودسية من مليحة مختومة.	
221	٥٥	حجر الدفن تحت الأرض.	
221	٥٦	مخطط القبور المنقبة في مليحة (الصورة أ)، مع محاولة إعادة إنشاء المدفن (الصورة ب)	
223	٥٧	كتابات عربية جنوبية، وآرامية، ولاتينية من موقع مليحة والدور/ الإمارات	

	العربية	
224	حصن الشارقة القرنين الثاني والثالث الميلاديين	٥٨
225	قالب سك عملة	٥٩
227	جرار مرهم صغيرة من المرمر مع أغطيتا، وقطعة من تمثال برونزي صغير، وقعة كأس برونزي محرز، وصدر حصان برونزي مجوف مصبوب، كلها من مليحة.	٦٠
228	كنز من المصنوعات البرونزية، المبنى (H) في مليحة.	٦١
231	حصن الدور	٦٢
233	الجمال المدفون في القطاع F في موقع الدور الأثري	٦٣
234	مخطط قلعة الدور وفي زواياها الأبراج الدائرية	٦٤
234	منظر طبيعي لقلعة الدور	٦٥
235	رسوم للنسرين الذين عثر عليهما في موقع الدور	٦٦
236	صورة لنسر الدور واقفا على رأس ثور	٦٧
236	موقع النسرين عند المدخل	٦٨
237	القلب الهندي المعد لسك النقود الرومانية في الهند، عثر عليه في موقع الدور الأثري	٦٩
239	نماذج من الفخار الروماني في منطقة الدور/ الإمارات العربية المتحدة	٧٠
239	فخار من جنوب شرق إيران عثر عليه في منطقة الخليج العربي، موقع الدور الأثري، الإمارات العربية المتحدة.	٧١
241	أمثلة مبكرة على الفخار المستورد من جنوب شرق إيران، أو إقليم بوشستان	٧٢
241	أمثلة متأخرة على الفخار المستورد من جنوب شرق إيران، أو إقليم بوشستان	٧٣
245	مرجل، مع مصفاه لها مقبضان، مع رأس ثور برونزي مفرغ كان يستخدم كصنبور من أحد القبور في موقع الدور القطاع A،	٧٤
245	مغرفة برونزية من أحد القبور في موقع الدور القطاع A	٧٥

فهرس الخرائط

رقم	العنوان	صفحة
١	خريطة أناكسيمندر، عن: عبد العظيم، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان.	17
٢	خرطة هيكتايوس للعالم، عبد العظيم، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان	18
٣	العالم كما وضعها هيرودوت ويظهر عليها الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية	21
٤	توضح هذه الخريطة الطريق البري الذي اتبعه الاسكندر اثناء حملته العسكرية في الشرق، وكذلك طريق العودة، والطريق الذي اتبعه قائده الملاح نيارخوس بالخط المتقطع	52
٥	الحدود الشمالية القديمة للخليج العربي في القرن الرابع قبل الميلاد	60
٦	خريطة البحرين (تايلوس) وتظهر عليها أهم المواقع الأثرية.	105
٧	موقع جزيرة إيكاروس (فيلكا)، في أقصى شمال الخليج العربي	120
٨	جزيرة إيكاروس (فيلكا) ويظهر عليها موضع النل	121
٩	موقعة منطقة الجرهاء على الساحل الشرقي من الجزيرة العربية	135
١٠	موقع تاج الأثري، ويظهر السور الذي يحيط بالمدينة على شكل معين. وتظهر السبخة التي تحدها من الشمال.	140
١١	طرق التجارة القديمة في شبه الجزيرة العربية	148
١٢	الطرق التجارية في الخليج العربي وجنوب بلاد الرافدين خلال الفترة الهلنستية	149
١٣	منطقة الخليج العربي وأهم المواقع الأثرية فيها	168
١٤	خريطة مملكة ميسان	193
١٥	خريطة أهم المواقع الأثرية في الحوض الجنوبي للخليج العربي	216

ملخص

يتناول هذا البحث الخليج العربي، وأهم الأحداث التي جرت فيه خلال فترة العصور الكلاسيكية، مبرزاً أهمية هذه البقعة الجغرافية من عالماً العربي، وتميز حضارتها عن الحضارات المجاورة لها، وبداية معرفة اليونان بالعرب وبلادهم واهتمامهم بدراسة منطقة العرب، ثم أتت الحروب العسكرية في القرن الخامس ق.م والتي كانت السبب الرئيسي في تعرف الإغريق على بلاد العرب، وتبيان أوضاع المنطقة قبيل غزو الإسكندر المقدوني. كما تناول هذا البحث بدايات تعرف الإسكندر على العرب وبلادهم وطموحاته بالسيطرة على الخليج العربي، ومعاركه مع الفرس والانتصارات التي حققها وسيطرته على الإمبراطورية الأخمينية ومن ثم تطلع الإسكندر للسيطرة على الخليج العربي، بعد رفض العرب الخضوع وتقديم فروض الطاعة له. كما يتناول البحث دوافع الإسكندر وأهدافه الحقيقية للسيطرة على الخليج العربي، والتجهيزات التي قام بها، لكن الإسكندر أصيب بالحمى، وتوفي، ولم تتحقق أحلامه في السيطرة على الجزيرة العربية. ومن ثم تناول البحث الحديث عن الخليج العربي خلال العصر السلوقي وإدراك السلوقيين أهمية المنطقة وخصوصاً من الناحية التجارية، حيث بدؤوا بتنفيذ خططهم الرامية للسيطرة على الخليج العربي، وكانت هذه الخطط في طبيعتها مكملة لخطط الإسكندر، وما قام به السلوقيون من بناء موانئ ومستوطنات في الخليج العربي وحملاتهم التي شنت على الخليج العربي. وتم تناول التنقيبات الأثرية التي جرت في تلك المنطقة وتبيان عادات وطقوس الدفن السائدة، والحديث عن جزيرة تايلاس وفيلكا وتاروت وأهمية هذه الجزر وأهم الاكتشافات التي جرت فيها، ثم تم الحديث عن علاقة السلوقيين مع مملكة الجرهاء العربية وأهميتها الاقتصادية، ونظامها السياسي، وما تعرضت له من ضغوط سلوقية، والحديث عن نهايتها، كما تم استعراض أهم المواقع الأثرية في الخليج العربي، والتي عاصرت الجرهاء وربما كانت تابعة لها، والحديث عن اكتشاف النقود اليونانية في الخليج العربي وأهمية اكتشافها في تلك المنطقة. وفي الفصل الأخير تم الحديث عن الخليج العربي خلال الحقبة الرومانية- الفرثية، وعن محاولة الرومان لمد نفوذهم إلى الخليج العربي سواء عن طريق البعثات الدبلوماسية أم عن طريق حملة تراجان. كما تم الحديث عن مملكة ميسان العربية (المتأغرقة) التي برزت على واجهة الأحداث السياسية، وتم استعراض دورها في العالم العربي من خلال علاقاتها مع الأنباط وتدمر وجنوب الخليج العربي، وعلاقاتها الدولية مع الرومان والفرس والصين والهند، وأهميتها في العصر الهلنستي وسيطرته على طرق التجارة الدولية، والظروف السياسية التي مرت بها.

مقدمة

يُعد إقليم الخليج العربي من أهم أقاليم شبه الجزيرة العربية، إذ شكل واحداً من أهم بقاع المشرق العربي القديم، وهو الذي عرفته النصوص المسمارية بالبحر المر، والبحر الأدنى، في مقابل البحر الأعلى، أي البحر المتوسط. ويشمل جميع الأراضي الممتدة من نقطة مصب نهري دجلة والفرات في الشمال حتى سواحل عُمان والإمارات العربية المتحدة في الجنوب. ومما زاد من أهمية هذا الإقليم هو وجود عشرات الجزر في منتصفه وبقالة شواطئه، كمحطات استراحة على طرق مراكب الملاحين. وقد اكتسب الخليج العربي هذه الأهمية منذ الألف الرابع قبل الميلاد حيث انتشرت حضارة العبيد في بلاد الرافدين وأجزاء واسعة من الخليج العربي، ولم ينقطع هذا الازدهار في العصور التاريخية التي سبقت الميلاد؛ حيث ازدهرت حضارة دلمون في جزيرة البحرين وكامل الساحل الغربي للخليج العربي. وتشرح النصوص المسمارية مدى سيطرة سكان الخليج العربي على التجارتين السومرية والأكدية طوال الألف الثالث قبل الميلاد، ومحاولات الأكاديين فرض سيطرتهم بالقوة على هذا الخليج. كما لم تنقطع صلات دلمون بأمورو والأموريين في الألف الثاني قبل الميلاد. لقد كانت حضارة الخليج العربي في تطورها التاريخي حضارة شبه مستقلة عن جميع الحضارات التي جاورتها أو احتكت بها، فكثير من الباحثين يحاول ربطها بحضارة الهند أو حضارة بلاد الرافدين، في الواقع كان للخليج العربي هويته المستقلة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، حيث حضارة دلمون المزدهرة التي استطاعت أن تتحكم بالتجارة بين الهند وبلاد الرافدين مع احتفاظها بهويتها الحضارية المستقلة طوال ثلاثة آلاف سنة. وإن لمحة عامة عن تاريخ الخليج العربي في الألف الأول قبل الميلاد، تبين مدى الأحداث الجسام التي أصابته؛ إذ توسعت الإمبراطورية الأخمينية على كامل رقعة الشرق القديم، بما في ذلك الخليج العربي، وكان الأخمينيون أصحاب إمبراطورية برية كبيرة دخلت المناطق الممتدة من الهند حتى مصر تحت سيطرتهم، وقد عملوا على تنشيط الطرق البرية، فتراجعت أهمية الخليج العربي، والأهم أن توسع الإمبراطورية الأخمينية باتجاه الغرب وغزوها لبلاد اليونان كان من الأسباب التي دفعت الإسكندر المقدوني لغزو الشرق القديم سنة ٣٣٣ ق.م.

واعتباراً من هذا التاريخ تحديداً يبدأ البحث؛ فمن المعروف أن الإسكندر المقدوني (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) بعد أن اخضع بلاد اليونان، واحتل الشرق القديم، وأسقط الإمبراطورية الأخمينية، واستولى على أجزاء من بلاد الهند، كان يطمح للسيطرة على الخليج العربي، وربما على جزيرة العرب قاطبة، لكن القدر لم يمهله، إذ توفي في غمرة استعداداته للحملة المنوي إرسالها. وانتقل حكم الرافدين وبلاد فارس وسورية بعد

صراع طويل إلى سلوقس أحد كبار قادة جيشه، وتوارث أبناؤه الحكم من بعده، ولم تكن طموحاتهم أقل من طموحات الإسكندر المقدوني، لذلك سعوا إلى مد سيطرتهم على الخليج العربي، وقد تراوحت هذه السيطرة ما بين القوة والضعف انعكاسا لشخصية الملك السلوقي المتربع على عرش المملكة، وإذا ما تراخت السلطة السلوقية كانت الإمارات المحلية يشتد ساعدها؛ وتأتي مملكة الجرها على الساحل الغربي للخليج العربي في رأس القائمة، وقد خضعت لضغوط الدولة السلوقية، وقد تراوحت هذه الضغوط ما بين القوة والضعف انعكاسا لقوة الدولة السلوقية، لكنها وصلت إلى ذروتها مع حملة أنطيوخوس الثالث سنة ٢٠٥ ق.م. لكن هذه المملكة كانت تزداد أهمية، كلما اشتد الصراع بين القوى المسيطرة على العراق من جهة وبلا الشام من جهة ثانية. أما مملكة ميسان العربية (ذات الصبغة الإغريقية) فكانت في البداية تابعة للدولة السلوقية بوصفها ولاية من ولاياتها «ولاية مصب النهرين» وشغلت كامل الساحل الشمالي للخليج العربي وكبرى الجزر فيه، وتحكمت بتجارته لصالح السلوقيين، وما أن توفي أنطيوخوس الرابع في سنة ١٦٤ ق.م، حتى اختفى الوجود السلوقي من الخليج العربي وإلى الأبد، ليبدأ نجم مملكة ميسان المتأغرقة بالسطوع كمملكة كاملة السيادة، كانت مملكة ميسان مملكة بحرية تجارية بامتياز سيطرت بأسطولها على مياه الخليج العربي، وعلى أهم الجزر فيه، وهذا ما فتح الباب للتنافس التجاري بينها وبين الجرها، إلا أنها خضعت لضغوط سياسية فارسية نتيجة مواقفها السياسية المستقلة، ولاسيما بعد حملة تراجان العسكرية التي وصلت حتى الخليج العربي في سنة ١١٦م، ومهما يكن من أمر فقد استمرت مملكة ميسان المتأغرقة حتى نهايتها على يد الفرس الساسانيين سنة ٢٢٤م، السنة التي ينتهي بها هذا البحث.

مقدمة منهجية

الإشكالية وتساؤلاتها:

من المعروف أن الإسكندر المقدوني بعد أن سيطر على آسيا الصغرى ومصر وسوريا والعراق وإيران وأطراف الهند أخذ يرزق ببصره للسيطرة على الخليج العربي، إن الإشكالية التي يعالجها البحث تتمثل في الأسباب والدوافع الكامنة وراء محاولة الإسكندر في السيطرة على الخليج العربي؟ فهذه الإشكالية أثارت جدلاً لا زال مستمراً حتى يومنا هذا بين المختصين. ثم ما هي أسباب الأطماع اليونانية ومن بعدها الرومانية في الاستمرار بالرغبة في السيطرة على هذه الرقعة من مشرقنا العربي؟

بالمجمل إن البحث يجيب عن مجموعة من الأسئلة الإشكالية الآتية:

١. ما هي الأسباب التي دفعت الإسكندر المقدوني، الذي احتل الشرق والغرب، أن يرزق ببصره للخليج العربي؟ ويسعى سعياً حثيثاً لاستعمارهم؟
٢. هل فعلاً بعد أن احتل الإسكندر العراق ومصر، ورث طموحات الإمبراطوريات الشرقية التقليدية في السيطرة على بلاد العرب؟
٣. ما هي نسبة السيطرة اليونانية ومن بعدها الرومانية على الخليج العربي؟
٤. ما هي نسبة تأثير الثقافة الأجنبية على سكانه الأصليين؟
٥. ما هي حقيقة المكون السكاني للخليج في العصور الكلاسيكية؟
٦. ما هي اللغة والثقافة التي تبناها سكان الخليج طوال تلك الفترة؟
٧. ما هو مدى انعكاس السيطرة السلوقية على الأحوال العامة فيه؟
٨. ما هي العوامل التي ساعدت سكان الخليج العربي في الحفاظ على استقلالهم؟ وكيانهم؟ وهويتهم؟

مسلمات البحث:

١. سيطرة الخليج العربي على أهم ممر دولي للتجارة الدولية في العصور القديمة.
٢. ما كان يمكن أن تتحقق سيادة الإسكندر على تجارة الهند والشرق الأقصى دون أن يضع يده على الخليج العربي، بحكم أن الطريق المائي الأقصر بين الشرق والغرب.

٣. هوية الخليج العربي المستقلة عن بلاد الرافدين ممثلة في مملكة الجرهااء وتاييلوس وغيرها من الممالك والإمارات العربية في الشارقة وأم قوين.

٤. إدراك القوى الدولية التي أتت بعد الإسكندر (السلوقيون والرومان) لهذه الحقائق والمسلمات وسعيهم الدؤب للسيطرة على الخليج العربي (لاسيما السلوقيين)، يؤكد ذلك.

هدف البحث:

إن الهدف الأساسي للبحث هو تسليط الضوء على أهمية الخليج العربي، والتعمق في التعرف عليه خلال العصور الكلاسيكية، بصفته منطقة مهمة من تاريخ مشرقنا العربي القديم مثلها مثل غيرها من أقطاره وبلدانه، بينما تتنوع الأهداف الثانوية حول شرح سياسات اليونان والرومان الاستعمارية، ومحاولاتهم فرض سطوتهم العسكرية، ومد نفوذهم على أكبر رقعة جغرافية، ونهب أقطار وبلدان العالم القديم، بما فيها الأقطار العربية، وإن نجحوا في السيطرة على بعضها (سوريا، مصر، العراق، قرطاج)، إلا أنهم فشلوا في السيطرة على الرقعة الجغرافية موضوع البحث، أي على الخليج العربي، ولما كان هناك شبه غموض في تاريخ هذه المنطقة، بسبب عدم معرفتنا باللغات التي دونت فيها المصادر الكلاسيكية، وتأخر التنقيبات الأثرية فيه، كان الشائع أن الخليج العربي على هامش المعمورة، فأتى هذا البحث لتبديل المفهوم الشائع. علما أنه يوجد في المكتبة مجموعة من الكتب والأبحاث والدراسات المتفرقة التي تتناول الخليج العربي خلال هذه الحقبة الزمنية، من جوانب مختلفة. فسعى هذا البحث إلى جمعها وترتيبها وربطها ومحاكمتها وإهمال الضعيف منها، ومعالجة القضايا الإشكالية، وجمع الشواهد على فرضيات البحث، وعرضها بأسلوب علمي أكاديمي منظم، ضمن دراسة تاريخية-أثرية مترابطة ضمن أربعة فصول ومقدمة وخاتمة، على أمل أن يكون قد أتى بتكوين صورة متكاملة عن الخليج العربي خلال العصور الكلاسيكية، وعالج جمع متفرق، وترتيب مختلط، وإكمال نواقص. وهكذا سيكون مدخلا ومرجعا مفيدا للدارسين والراغبين في التعمق في تاريخ أمتنا العربية خلال حقبة العصور الكلاسيكية.

أهمية البحث ومسوغاته:

١ - أهمية البحث:

لا شك أن أهمية الموضوع هي انعكاس واقعي لأهمية الرقعة المكانية والزمنية المدروسة، ولا شك أن منطقة الخليج العربي ذات شأن في تاريخ أمتنا العربية، وفي تاريخ منطقة الشرق القديم ككل، حتى إن

الإسكندر المقدوني كان يرى في الخليج العربي فينيقيا الجديدة *Phoenicia en puissance*؛ مما يدل على مدى اهتمامه بالمنطقة ورغبته في السيطرة على النشاطات التجارية فيها، بهدف الوصول إلى أسواق الهند والصين والسيطرة على تجارتها، وهذا ما دفع الإسكندر لبناء مدينة الإسكندرية (والتي صارت تعرف فيما بعد باسم خاراكس/ ميسان) على ساحله الشمالي، وإرسال الحملات الاستطلاعية تمهيدا للحملة الشاملة التي كان ينوي إرسالها للسيطرة على كامل الخليج العربي، وتجدر الإشارة إلى أن التقارير المكتوبة عن تلك الرحلات تمثل معظم أساس المعرفة الجغرافية الخاصة بالخليج العربي في ذلك العصر.

إن الأهمية التي حظي بها الخليج العربي في عصر الإسكندر المقدوني، لم تتبدد في عهد خلفائه، وإن كانت وفاة الإسكندر المقدوني قد حالت دون استعمار الخليج العربي. فإن السلوقيين خلفاء الإسكندر المقدوني عمدوا إلى السيطرة على تجارة هذا الخليج، بعد أن استخلص سلوقس (أحد ضباط جيش الإسكندر) ممتلكات الإسكندر في آسيا (سورية وبلاد الرافدين وإيران) لنفسه، منذ أن دخل مدينة بابل في ١ أكتوبر ٣١٢ ق.م، وهكذا خلف السلوقيون الإسكندر في حكم منطقة سوريا وبلاد الرافدين والخليج العربي خلال المرحلة المؤرخة ما بين (٣١٢ - ١٤١ ق.م). وكانت أول مشاريعهم للسيطرة على هذا الخليج أن جعلوه ومنطقة مصب النهرين (دجلة والفرات) ولاية مستقلة عن ولاية بابل. وإذا كان الرومان قد عجزوا عن السيطرة على الخليج العربي عسكرياً، إلا أن حضورهم النقدي والاقتصادي والثقافي ماثل فيه، لاسيما أن تجار الخليج العربي سيطروا على تجارة روما في الهند والشرق الأقصى.

٢ - مسوغات الدراسة:

إن من أهم أسباب اختيار البحث هو تسليط الضوء على رقعة مهمة من تاريخ مشرقنا العربي، فحضارة إقليم الخليج العربي لا تقل عن حضارة أي إقليم آخر من أقاليم الشرق العربي القديم، سواء في بلاد الرافدين أم وادي النيل أم بلاد الشام أو حتى الجزيرة العربي والمغرب العربي. وبالتالي لا بد من إبراز هذه الأهمية والدور الذي قام به سكان الخليج العربي خلال هذه الحقبة من الزمن، مع التعرف على الممالك الكبرى فيه (ميسان، والجدهاء، وتايلوس)، وأهم النشاطات التي قامت بها، وعلاقاتها مع القوى العربية المؤثرة في الوسط المحيط (تدمر، والأنباط) ووصل تأثيرها الثقافي والنقدي (وربما السياسي) إلى سواحل الإمارات العربية المتحدة في جنوب الخليج العربي. ومكانتها على الساحة الدولية (روما، بلاد الإغريق، الهند، الصين).

مصطلحات البحث:

إن البحث كله يدور في فلك مصطلحين، الأول يعبر عن المكان، والثاني يعبر عن الزمان:

(١) مصطلح الخليج العربي: إن أهم المصطلحات التي يتناولها البحث هي مصطلح الخليج العربي، والذي يعرف بالبحر المر أو البحر الأدنى في مقابل البحر الأعلى (البحر المتوسط)، وهذا المصطلح هو الأهم لأنه يمثل الرقعة المكانية للبحث، والخليج العربي يشمل الجزر المنتشرة فيه والسواحل المطلّة على مياهه.

(٢) مصطلح العصور الكلاسيكية: هو مصطلح يأتي في الدرجة الثانية من الأهمية، والمقصود منها الحقبة الزمنية التي سيطرت فيها الحضارة اليونانية ومن بعدها الرومانية على العالم.

هذا بالإضافة إلى بعض المصطلحات الفرعية التي تعبر عن تطور الأحداث وتبدل التسميات وتخصيص رقعة مكانية منه دون الأخرى، كما هو الحال مع:

(١) مصطلح بلاد أرض البحر: ويقصد به الشاطئ الشمالي للخليج العربي، وسميت المنطقة بأرض البحر بسبب كثرة الأهوار فيها.

(٢) مصطلح تلمون/ تابلوس: وهو اسم دلمون محرفاً إلى اللغة اليونانية، ويشمل جزيرة البحرين في منتصف الخليج العربي.

حدود البحث:

١. **حدود زمنية:** تم تحديد الإطار الزمني للبحث بالعصور الكلاسيكية، (وهي العصور التي سيطر فيها الإغريق ومن بعدهم الرومان على العام، والتي تبدأ مع غزوات الإسكندر المقدوني للشرق سنة ٣٣٣ ق.م)، بما يتناسب مع فترة الأطماع اليونانية والرومانية في الخليج العربي، وبالتالي تم اعتماد سنة ٣٣٣ ق.م بداية له بحكم أنها السنة التي بدأ الغزو المقدوني للشرق القديم. وتم اعتماد سنة ٢٢٤م السنة التي سقطت فيها مملكة ميسان العربية المتأثرة ببد الفرس الساسانيين نهاية له، فمع هذا التاريخ انتهت التأثيرات الإغريقية والرومانية في الخليج العربي، وتبدلت المعطيات، وتغيرت العوامل المؤثرة والقوى الفاعلة في الساحة المحلية والإقليمية والدولية.

٢. **حدود جغرافية:** تم اعتماد منطقة الخليج العربي كحامل مكاني للبحث، والمقصود بالخليج العربي هو الخليج الفاصل بين الجزيرة العربية وقارة آسيا، يصب فيه نهرا دجلة والفرات من الشمال وينتهي بمضيق هرمز من الجنوب، ويمتاز بساحل رملي قليل العمق كثير التعاريج والخلجان مثل خليج بحر البنات والبحرين والكويت، وتكثر قبالاته الجزر مثل طُنْب الكبرى والصغرى وأبو موسى وداس والبحرين وفيلكا وبوبيان ... الخ، كما تكثر في الساحل البحيرات الشاطئية والسبخات الملحية. هذا من حيث الإطار الجغرافي.

٣. **الحدود الموضوعية:** تشمل المنطقة المدروسة في سواحل الخليج العربي المطلة على مياهه، وظهرها البري، والممالك التي قامت عليها، والطرق التي مرت فيها، والجزر المنتشرة قبالة سواحلها، خلال العصور الكلاسيكية فقط، من حيث الآثار والنقود التي خلفها الإغريق والرومان في هذه المنطقة. والأخبار والأوصاف التي تركتها لنا المصادر الكلاسيكية التاريخية والجغرافية.

الدراسات السابقة:

لا شك أن هناك دراسات سابقة أغنت البحث منها:

١- الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة.

تمثل دراسة الدكتور سامي الأحمد دراسة جامعية لطلاب السنة الأولى في جامعة البصرة، ولم يكن الهدف منها معالجة تاريخ الخليج العربي في العصور الكلاسيكية دون غيره، وتماشيا مع الهدف الذي وضع الكتاب من أجله لم تكن دراسة معمقة، وإنما دراسة رسمت الخطوط العامة لتاريخ الخليج العربي. وقد استفدت منها في كثير من المواضيع؛ في ترتيب أفكار البحث وتبويبه، ولا سيما أن المؤلف رجل أكاديمي مشهود له.

٢- بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج٢، من الإسكندر الكبير إلى ظهور الإسلام، ترجمة: إبراهيم خوري، تعليق أحمد السقاف، المجمع الثقافي في أبوظبي.

يعد هذا البحث أهم دراسة اعتمدت عليها، فرغم أنه كتاب موسوعي إلا أنه الأعمق والأكثر مصداقية وجدية، قضى مؤلفه سنوات عمره في دراسة تاريخ الخليج العربي في جميع مراحلها، وقد قدم الجزء الثاني منه صورة

تفصيلية لأهم الآثار الكلاسيكية المكتشفة في منطقة الخليج العربي، وما يؤخذ عليه فقط هو أن تاريخه قد صار قديماً نوعاً ما، وقد تداركت هذا النقص بالمقالات الحديثة التي أكملت نواقص متعددة، وأغنت بحثي.

٣- صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا من القرن ٣ ق.م إلى القرن ٧م، الجمعية التاريخية السعودية، سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية، الإصدار العشرون، الرياض.

انحصر هذا البحث في العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي من جهة وشبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا من جهة ثانية، إلا أنه لفت الانتباه إلى مدى عمق علاقات ممالك الخليج العربي مع القارة الآسيوية، وسيطرتها على تجارة هذه البلدان التي كانت تتبع أعلى المواد وأخفها ثمناً، مواد تعد أساسية في المعبد والصيدلية والمطبخ، إذ استنزفت خزانة الإمبراطورية الرومانية.

٤- العلي، جواد (١٩٧٦م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت.

تعد دراسة الدكتور جواد العلي (الاستاذ في جامعة بغداد) الأولى من نوعها في تاريخ العرب القديم، إلا أنها دراسة قديمة جداً، مضى عليها ما يزيد على نصف قرن، ولا يمكن الاعتماد على الجانب الأثري الذي قدمته، إلا أن معالجته لبعض المعلومات التي قدمتها المصادر الكلاسيكية تُعبر عن عمق في التفكير، وقوة عالية في المحاكمة يمكن الركون إليها والاعتماد عليها. وبالتالي كان لا بد من مقاطعة المعلومات مع بعضها والتأكد من مصداقيتها من خلال تأكيد تلك المصادقية بدراسة المصادر تنقيبات الأثرية.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن موضوع تاريخ الخليج العربي في العصور الكلاسيكية، منذ غزو الإسكندر المقدوني للشرق القديم في سنة ٣٣٣ ق.م حتى تاريخ سقوط مملكة ميسان (المتأثرة) سنة ٢٢٤م، لم يدرس دراسة تاريخية - أثرية متكاملة بصورة أكاديمية (ماجستير أو دكتوراه). فهذا البحث يختلف عن معظم الموضوعات التي تناولت تاريخ العراق في العصر الهلنستي؛ فهو يختص بدراسة تاريخ وآثار الوجود الإغريقي والروماني في الخليج العربي حصراً، ولا سيما في جزره الكبرى (كالبحرين وفيلكا وتاروت) وفي شواطئه الغربية (الجرهاء) والجنوبية (كإمارتي الشارقة وأم قوين) والشمالية (ميسان)، بعيداً عن العراق، وكذلك بعيداً عن قلب الجزيرة العربية وأقاليمها الأخرى التي كانت تعيش أحداثاً أخرى؛ كانت فيها هي المسيطرة على تفاصيل المشهد، وبالتالي فإن هذا البحث ينحصر في دراسة الخليج العربي.

منهج البحث وأدواته:

١ - منهج الدراسة:

تم الاعتماد على منهج استقرائي تحليلي من خلال جمع المعلومات المتعلقة بفرضية البحث وقراءتها وتحليلها، والبحث عن مصداقية المعلومات التي أشارت إليها المصادر الكلاسيكية في تقارير المنقبين الأثرية وأبحاث أساتذة الاختصاص، بهدف تكوين صورة متكاملة للأحداث، بعد ان استمكنت بصفات المؤرخ من موضوعية، وصدق، وأمانة، ملتزما بأصول الكتابة والتوثيق، وتوجهات أستاذي الكريم الدكتور: محمد الزين أطل الله في عمره وألبسه ثوب الصحة والعافية.

٢ - أدوات الدراسة:

أما بخصوص أدوات البحث التي اعتمدتها فكانت المصادر الكلاسيكية بالدرجة الأولى، وهي المؤلفات الإغريقية واللاتينية سواء التاريخية أم الجغرافية، التي دونها الإغريق والرومان، خلال الفترة الممتدة من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، لقد كتب بعضهم بدافع الاطلاع وحب المعرفة كما هو الحال مع هيرودوت Herodotus. بينما كتب الآخرون بدوافع متنوعة منها اهتمام بشواطئ المحيط الهندي وبلاد العرب، ومنهم من كتب بدوافع علمية من أمثال ثيوفراستوس Theophrastes وأجاثارخيدس Agatharchides، ومنهم من كتب بدوافع سياسية كما هو الحال مع أريانوس Arrianus، عموما لقد شهدت الكتابات الكلاسيكية مع حملة الإسكندر المقدوني على الشرق مرحلة جديدة، وقد ورث خلفاء الإسكندر عنه اهتمامه ببلاد العرب، كما سعت الدولة الرومانية إلى زيادة معرفتها بالجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها، لأسباب اقتصادية وسياسية متنوعة، وقد انعكس هذا على اهتمام الرحالة والكتاب والجغرافيين الإغريق والرومان بجزيرة العرب، ورغم أن أخبارهم وراياتهم قد تباينت، إلا أنها كانت أكثر دقة كلما اقتربت السلطات السياسية، سواء أكانت يونانية أم رومانية، أكثر من بلاد العرب. وهكذا كان كل ما تقدم دافعا وحافزا للرحالة والمؤرخين والجغرافيين الإغريق والرومان للكتابة عن بلاد العرب.

يأتي هيرودوت (٤٨٥ - ٤٢٥ ق.م)، صاحب كتاب التواريخ أو تمحيص الأخبار Iotopins Attoaeievs، والملقب بأبي التاريخ Pater Historiae في رأس القائمة، ورغم أن كتابه كان موجها بالدرجة الأولى لدراسة الحروب الفارسية - اليونانية (٥٠٠ - ٤٤٩ ق.م)، إلا أنه يقدم إضاءات متنوعة عن بلاد العرب، وحدودها بين الخليج العربي والبحر الأحمر الحالي الذي كان يسمى على أيامه خليج العرب،

وبعض عادات العرب وتقاليدهم الاجتماعية والدينية، كما يتحدث عن مُلك العرب، ويبيدي إعجابه الشديد بهم ويأخلاقهم، وينوه بأن التاريخ لم يعرف أمة تقدر العهود والمواثيق مثل العرب، وأن العرب هم الأمة الوحيدة التي لم ترضخ لأحد، بل عقدت المعاهدات على قدم المساواة، وقد وصل إعجابه بالعرب وبلادهم لدرجة أنه صرح بأن بلاد العرب تفوح بعطر سماوي. وهكذا أسهمت كتابته في الوعي الباكر للإغريق ببلاد العرب.

أما المصدر الثاني هو كتاب البحث في النباتات لـ ثيوفراستوس الذي عاش في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، في مدينة الإسكندرية في ظل الدولة البطلمية. وقد ضمن كتاباته ملحوظات ومعلومات قيمة عن بلاد العرب ونباتاتهم، ولاسيما عندما تحدث عن جزيرة تايلاس/ البحرين وبعض محصولاتها الزراعية. وبحارتها، والأخشاب التي كانت تصنع منها سفنهم.

أما المصدر الثالث هو كتاب حملات الإسكندر Anabasis Alexandri لـ أريانوس النيقوميدي (٨٥ - ١٦٠م) الذي دونه بعد أربعة قرون من وفاة الإسكندر باللغة اليونانية، ونجد في هذا الكتاب معلومات قيمة عن الخليج العربي ولاسيما رحلة العودة لجيوش الإسكندر من الهند عبر هذا الخليج، وعن استعداداته العسكرية تمهيدا للقيام بحملة عسكرية على بلاد العرب. إن معظم المعلومات التي يوردها أريانوس عن بلاد العرب تأتي في معرض حديثه عن أعمال الإسكندر. وقد اعتمد أريانوس على أخبار ومصادر معاصرة للإسكندر، وفاضل بينها، وانتخب الأجدر بالثقة منها، ولا يخفى على أحد أن أريانوس كان معجبا بالإسكندر المقدوني، فهو قائد عسكري لذلك أحسن تقدير طاقات الإسكندر حق إحسان، كما يتضح من تعليقه على موضوع رغبة الإسكندر بالدوران حول الجزيرة العربية.

أما المصدر الرابع: هو كتاب الجغرافيا لـ سترابون Stabo، الذي عاش في أواخر القرن الأول قبل الميلاد وأوائل القرن الأول الميلادي نحو سنة ٢٤م، وقد دون مؤلفه ربما سنة ١٨م، وقد اعتمد على الجغرافيين الذين سبقوه، من أمثال إراتوستينيس Eratosthenes وهيبارخوس Hipparchus ويتضمن كتابه معلومات قيمة عن بلاد العرب عرضها ما بين التاريخ والجغرافيا، إذ قدم معلومات قيمة عن الأنباط، وعن حملة الرومان على اليمن سنة ٢٤ق.م، وعن الجرهاء وثراءها، وعن ممالك اليمن القديمة، وبفضله تعرفنا على أهم المعلومات بخصوص رحلة نيارخوس قائد أسطول الإسكندر عند عودته من الهند.

أما المصدر الخامس: هو كتاب التاريخ الطبيعي Historia Naturalis لـ بلينيوس Plinius (٢٣- ٧٩م) أي أنه عاش هذا المؤرخ في القرن الأول الميلادي، وقد اهتم هذا المؤرخ بالجزيرة العربية، وتحدث

عنها بإسهاب عن بلاد العرب الجنوبية ووصفها بأنها بلاد العرب السعيدة، وتحدث عن ميسان، وتدمر، والخليج العربي، وعرج بإشارات عابرة للعرب سكان الرُّها، والثموديين، والعرب البدو سكان الخيام، وللابناط. وهو يقدم معلومات قيمة عن جغرافيا الجزيرة العربية وطوبوغرافيتها وشواطئها وجبالها وموانئها وكنوزها وثرواتها ونباتاتها العطرية وبخورها.

أما المصدر السادس: فهو كتاب الطواف حول البحر الإيتري وهو لمؤلف مجهول عاش في القرن الأول، واعتقد بعض المؤرخين أن هذا الكتاب كتبه جاسوس يعمل لصالح الرومان؛ لأنه اغفل ذكر اسمه، ومهما يكن من أمر الكاتب، فإنه يقدم معلومات قيمة عن الجزيرة العربية وموانئها وتجارها وبضائعها وعملاتها المتداولة، كأنه سجل تجاري ملاحى، مع اهتمام المؤلف بالإشارة إلى الواقع السياسي في بلاد العرب. ومع صغر حجم الكتاب الذي لا يتعدى ٢٥ صحيفة، عدّه بعضهم تقريراً مكتفاً عن بلاد العرب.

أما المصدر السابع: هو كتاب بلوتارخ Plutarch (٤٦م - ١٢٠م)، وهو مؤرخ يوناني عاش في كنف الرومان، ألف كتاب "حيوات متوازية" Parallel Lives باللغة اليونانية، والذي عرض فيها لعدد من الشخصيات اليونانية والرومانية المهمة، كان من بينها الإسكندر المقدوني، حيث كتب أخبار نحو ٤٠ شخصية ضمن علم كتابة السيرة، ومن خلال مؤلفه استطعنا التعرف على بعض دوافع الإسكندر المقدوني لغزو الخليج العربي. لكن بالعموم يعتبر بلوتارخ من الكتاب المقلين في الحديث عن الجزيرة العربية، حيث اكتفى بإشارات عابرة عنها.

بينما كان المصدر الثامن: كتاب عن البحر الإيتري لمؤلفه أجاثارخديس الكنيدي، الذي عاش في القرن الرابع الميلادي وهو آخر المؤرخين الكلاسيكيين العظام، وهو من أهم مؤلفي ورواد مدرسة الإسكندرية، ويعد كتابه من الكتب النادرة والمهمة التي تتحدث عن الجزيرة العربية وممالكها، وتوابلها وطيوبها وأماكن انتشارها، وقد خص البحر الأحمر، وخليج السويس، وباب المندب، واليمن بشيء من التفصيل.

أما عن كيفية التعامل مع هذه المصادر؛ فقد ترجمت كتب هيرودوت وبلوتارخ وسترابون كاملة إلى اللغة العربية عن ترجماتها من اللغات الأوروبية الحديثة، لكن الأهم بالنسبة لهذا البحث أن جميع ما قد ورد في المصادر الكلاسيكية عن العرب وجزيرتهم؛ تمت ترجمته مؤخراً (٢٠١٧م) عن النص اليوناني مباشرة إلى اللغة العربية على أيدي أساتذة مختصين، تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، الأستاذ في جامعة الملك سعود، ضمن مشروع «الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية» وهي ترجمات

علمية تم التعليق عليها، والاستفاضة في شرح مفرداتها من قبل مختصين أيضا. وبالإضافة للاعتماد على الترجمة الحديثة لكتاب **هيرودوت** (ترجمة السايح في الرياض)، تم الاطلاع على الترجمة الأولى التي قام بها عبد الإله الملاح، في أبوظبي عن النص الإنكليزي، كما تمت الاستفادة من مقدمة هذا المترجم، التي قدم بها لترجمته، فهي دراسة وافية عن المصدر؛ نبهت إلى المواضع التي تُكتنز فيها المعلومات التي تهم الرسالة بين طياته. أما كتاب **بلوتارخ** فمع الاطلاع على الترجمة الحديثة لما يخص الجزيرة العربية، التي قام بها رضا عبد الجواد في الرياض، تم الاطلاع كذلك على ترجمة جرجس فتح الله في بيروت سنة ٢٠١٠م. ورغم الاعتماد على الترجمة الحديثة لكتاب **أريانوس**، فإن ذلك لم يمنع من الاطلاع على ما ترجمه فؤاد جميل من مقتطفات من كتاب **أريانوس** في مجلة سومر. أما بخصوص **سُتْرَابُون** فبالإضافة إلى ترجمة حسان إسحاق الرائعة لكتاب الجغرافيا في دمشق، فقد تمت ترجمة كل ما يتعلق بالجزيرة العربية من هذا الكتاب على يد السيد جاد في الرياض أيضا. إن هذه الترجمات الحديثة للمصادر للكلاسيكية التي سبقت تسجيل بحثي بمدة زمنية قصيرة تشعرني بأني محظوظ، فهي وضعت بين يدي ترجمة علمية عن النص اليوناني مباشرة، مترجما ومشروحا من قبل أساتذة مختصين وبإشراف أستاذ مختص.

٣- مكونات البحث أو محتويات الدراسة:

لقد قسم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، يتضمن **الفصل الأول** اليونان والعرب ما قبل غزو الإسكندر المقدوني، ويتناول هذا الفصل بالشرح بدايات معرفة اليونان بالعرب وبلادهم، والخليج العربي قبيل الغزو المقدوني للشرق القديم. أما **الفصل الثاني** فإنه يتناول مشاريع الإسكندر المقدوني لغزو الخليج العربي، ويشرح كيف تعرف الإسكندر بالعرب، ويتحدث عن عودة أسطول الإسكندر من الهند عبر الخليج العربي، ويسهب في الحديث عن دوافع الإسكندر في احتلال هذا الذراع المائي والسيطرة على سواحلته والجزر المنتشرة فيه. والبعثات الاستكشافية التي أرسلها بهذا الغرض، كما يتناول أهم البقايا الأثرية التي خلفها الإسكندر في الخليج العربي. بينما يتناول **الفصل الثالث** علاقات السلوقيين بالخليج العربي لاسيما إقليم تايلاس (البحرين) وعلاقاتهم بمملكة الجرهاء، والنقود السلوقية في الخليج العربي. أما **الفصل الرابع** فإنه قد اختص بالحديث عن مملكة ميسان على الشاطئ الشمالي للخليج العربي، وطموحات الرومان في الخليج العربي وعلاقات تدمير بالخليج العربي، وتناول أهم المواقع الأثرية في إمارتي الشارقة وأم قوين في دولة الإمارات العربية المتحدة. وأخيرا اختصت **الخاتمة** في تقديم نتائج الدراسة والمقترحات والتوصيات.

الفصل الأول

اليونان والعرب ما قبل غزو الإسكندر المقدوني

أولاً: بداية معرفة اليونان بالعرب وبلادهم:

لقد بدأ الإغريق يتعرفون على العرب منذ وقت مبكر من تاريخهم، ولعل أقدم الإشارات التي ذكرت العرب قد وردت عند هوميروس Homer صاحب ملحمتي الإلياذة والأوديسة، والذي عاش خلال فترة مبكرة من تاريخ اليونان، يمكن تحديدها بالقرن الحادي عشر قبل الميلاد*. والإشارات التي وردت عن العرب في كتابات هوميروس تعد من أقدم الإشارات الأدبية عنهم عند اليونان الأوائل؛ ففي ملحمة الأوديسة، تُقابل إشارة تصف أحد الأتقوام بكلمة الإريمبيين Eremboi في حديث مينيلائوس Menelaus عن رحلة عودته من طروادة^(١)، ولقد ترجم سترابون اسم هؤلاء القوم (أي الإريمبيين) بالعرب قائلاً: «وهناك أشياء كثيرة تروى عن الإريمبيين، ولكن القائلين إنهم العرب أجدر بالثقة»^(٢) ويعتقد سترابون بهذا الرأي استناداً على آراء اثنين من أسلافه ناقشا هذه اللفظة، وهما زينون Zeno **، وبوسيدونيوس Poseidonius *** وخلصا إلى أن المقصود بها هم "العرب"، حتى إن زينون غير كلمة الإريمبيين في فقرة هزيود Hesiod **** إلى العرب، وأن تعديله كان مقبولا لدى الكثيرين من معاصريه ومن تبعهم^(٣).

يقول سترابون: «كذلك فإن صاحبنا زينون يقرأ بيت الشعر على الوجه الآتي: "ووصلت إلى الأثيوبيين والصيديين والعرب". ولكن ليس من الضروري تغيير البيت لأنه قديم، ومن الأفضل أن نثق أنه حدث تغيير في الاسم؛ لأنه أمر شائع وكثير الحدوث بين كل الشعوب. وفي الحقيقة فإن بعض العاملين بالبحر يفعلون ذلك أيضاً. ولكن بوسيدونيوس يذكر أفضل الآراء على ما يبدو، عندما ينظر هنا أيضاً إلى

* حول إشكالية الزمن الذي عاش فيه هوميروس انظر: عياد، محمد كامل (١٩٨٠م)، تاريخ اليونان، ج ١، ط ٣، سورية، دمشق، دار الفكر، ص ١٠٨.

(١) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني ببلاد العرب والجزيرة العربية، مجلة أوراق كلاسيكية، الصادرة عن جامعة القاهرة، العدد الخامس عشر، مصر، القاهرة، ص ١٠٨.

(٢) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١، الفصل ٢، الفقرة ٣٤. ترجمة حسان اسحق، منشورات دار علاء الدين، دمشق ٢٠١٧م.

* ينتمي زينون (٣٣٤ - ٢٦٢ ق.م) إلى مدينة كيتيوم Citium في جزيرة قبرص، وهو مؤسس المدرسة الرواقية.

* عاش بوسيدونيوس الأبامي في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد، وكتب كتاباً أسماه (عن المحيط: Peri Oikeanou) وقد اعتمد سترابون وغيره من المؤرخين اليونانيين على هذا الكتاب وتتميز معلومات بوسيدونيوس هنا بأنها تعتمد على معاشية فعلية؛ لأنه كان يقيم في سوريا.

* هو الحكيم هزيود (٨٤٦ - ٧٧٧ ق.م)، كان اليونان يمجدون في شعرهم هزيود في المقام الثاني بعد هوميروس، ولد في مدينة كومي على شواطئ أسيا الصغرى. وقد ألف كتاب الأعمال والأيام Works and Days، وكتاب أنساب الآلهة Theogonia، ويعبر هزيود في كتاباته عن المجتمع الريفي الواقعي. للمزيد عن هزيود انظر: عياد، محمد كامل (١٩٨٠م)، تاريخ اليونان، ص ١١٢ وما تلاها.

(٣) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٠٨.

صلة القرابة بين الشعوب وإلى اشتراكها في الأسماء، وهكذا فإنه على سبيل المثال يظهر التشابه الكبير بين أجناس جماعات الأرمن Armenioi والسوريين والعرب طبقاً للهجاتهم، وسبل العيش والسمات الجسدية، وبصفة خاصة لتجاور أماكن إقامة هذه الجماعات... ويعتقد بوسيدونيوس في حقيقة الأمر أن أسماء هذه الجماعات متشابهة. فهؤلاء الذين يعرفون لدينا باسم السوريين ويُطلق عليهم السوريون أنفسهم اسم الآراميين Arammaioi. ويتشابه ذلك مع أسماء الأرمن والعرب والإيرانيين. وربما أن هذا الأخير هو الاسم الذي أطلقه اليونانيون قديماً على العرب. وفي الوقت نفسه فإن اشتقاق الكلمة يُقوّي من هذه الفكرة. وهكذا فإن الكثيرين يشتقون اسم إيريمبوي من كلمات 'يدخل باطن الأرض التي تغيرت في الأجيال الآتية إلى الاسم الأكثر ظهوراً التروجلودوتيين Troglodytai وهؤلاء جماعة من العرب تقيم على الجانب الآخر من الخليج العربي [البحر الأحمر] المجاور لمصر أثيوبيا. ومن المحتمل لذلك أن يُذكر هؤلاء القوم عندما يقول إن مينيلأوس زارهم في معرض قوله: إنه زار الإثيوبيين لأنهم أيضاً يقيمون بالقرب من منطقة طيبة. وهو لا يذكرهم في مجال الحديث عن تجارة أو ربح (لأنه لم يكن هناك عندئذ كثير من أي منهما). ومن المحتمل أن ذلك كان لإطالة زمن الرحلة ولأجل الشهرة؛ لأن مثل هذا السفر البعيد كان محل تقدير في ذلك الوقت^(١)». كما تظهر لفظة Arybas أيضاً في الأوديسة (Odyssey. 15.426) كاسم علم لرجلٍ ووالدٍ لسيده فينيقية من صيدون/صيدا^(٢).

أما الإشارة الأخرى فإننا نجدتها في أشعار هزيود في القرن الثامن قبل الميلاد، حيث ترد في فهرس (كتالوج) النساء، إذ تظهر لفظة -ولكن في مجال أسطوري غير محدد- في سياق الحديث عن كاسيوبيا Cassiopeia ابنة أرابوس Arabus، الذي وفقاً لتخمين سترابون أعطى اسمه لبلاد العرب^(٣)؛ حيث يقول: «وابنة أرابوس Arabos التي أحضرها هيرميس Hermes المُكرَّم وثرونيا Thronia سليلة الملك بيلوس Belus، ويذكر إستيسيوخوروس Stesichorus ذلك الأمر أيضاً، وهكذا فإنه يبدو على هذا الأساس أن البلاد كانت تُعرف في ذلك الوقت باسم بلاد العرب نسبةً إليه، مع أن الاحتمال بعيد أن تكون معروفة بهذا الاسم في عصر الأبطال^(٤)».

(١) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١، الفصل ٢، الفقرة ٣٤.

(٢) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٠٨.

(٣) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، المرجع نفسه، ص ١٠٨.

(٤) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١، الفصل ٢، الفقرة ٣٤.

كما يستخدم أَيْسْخِيلُوس Aeschylus (٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م) أيضاً كلمة Arabus كاسم علم لرجل في مسرحية الفرس، التي تم عرضها في الربع الأول من القرن الخامس قبل الميلاد، وبما أن العرب كانوا يشكلون وحدة عسكرية ضمن قوات الإمبراطور الفارسي كسيركسيس Xerxes (٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م)، الذي تدور المسرحية حول هجومه على اليونان في موقعة سلاميس Salamis البحرية* سنة ٤٨٠ ق.م، فإن اللفظة تصبح إشارة جيدة إلى العرب، إلا أن أَيْسْخِيلُوس يجعل بلادهم في القوقاز: «وزهرة بلاد العرب المحاربة الذين يقطنون مدينةً فوق صخرةٍ عاليةٍ قرب القوقاز Caucasus، وجيشٌ مدمرٌ يعصفُ بأعدائه مستعملاً حرايةً المسنونة»، ويتبعها بوصف Magos التي تشير إلى الماغيين، وهم على الأرجح فئة دينية من ميديا Media ويعتبرون أنفسهم من الفرس. وهكذا يتضح من كل ما تقدم أن مفهوم بلاد العرب والعرب، لم يكن واضحاً بعد عند اليونان، وهذا ما يؤكد عدد الإشارات القليل عن تلك البلاد عند اليونانيين الأوائل، والأهم أن تلك الإشارات بالإضافة إلى قلتها، تحمل دلالة تاريخية واضحة، تبين أنه لم يكن بين العرب واليونان احتكاك مباشر في تلك الآونة، وبالتالي كان الحديث عن العرب في الكتابات اليونان القديمة حديثاً غامضاً أو مقتضباً وفي الغالب متأثراً بالأسطورة، نظراً إلى أن علم الجغرافيا لم يكن قد تطور بعد في تلك الأزمان. ولما بدأت المعرفة الجغرافية لليونانيين عن العرب تتراكم اعتباراً من نهاية القرن السادس قبل الميلاد، حاول الإغريق وضع العرب على خريطة العالم من حولهم^(١).

عموماً لقد حدث منذ أواسط القرن الخامس قبل الميلاد تقريباً؛ تغير كبير في تصور بلاد العرب لدى الشعوب والدول التي اهتمت -سبب أو لآخر- بالمنطقة، ويبدو أن هذا التغير قد ظهر واضحاً فيما تركه لنا الكتاب الكلاسيكيون، سواء أكانوا مؤرخين أم رحالة أم جغرافيين أم كتاب موسوعيين؛ في فرع أو آخر من فروع العلوم المختلفة، إذ شكلت أعمالهم التي دونوها باللغة اليونانية أول تحقیقات مفصلة وموضوعية عن أحوال الجزيرة العربية، وقد تنوعت هذه المصادر من حيث اختلاف تواريخ كتابتها والموضوعات التي تناولتها، ما أسهم في تعرف اليونان بالبلاد العربية، فقد سجلوا لنا بعضاً من دولها ومدنها وموانئها وقبائلها وأهم مصادر الثروة فيها، وطرق التجارة منها وإليها، وضمنوها في مؤلفاتهم ابتداء من القرن الخامس قبل

* سلاميس: معركة بحرية استمرت ١٢ ساعة، ضمن سلسلة معارك الحروب الفارسية - اليونانية، انتصر فيها أسطول أثينا على الأسطول الفارسي، وكان لها نتائج حاسمة على مجريات الحملة الفارسية على بلاد اليونان. انظر: باقر، طه، و رشيد، فوزي، و هاشم، رضا جواد، (١٩٧٩م) تاريخ إيران القديم، منشورات جامعة بغداد، العراق، بغداد، ص ٦٦.

(١) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٠٨، ١٠٩.

الميلاد^(١). كما تناولت هذه المصادر بالذكر التفصيلات الأولية حول الأحداث والموضوعات المتعلقة بشبه الجزيرة العربية، وقد كان لهؤلاء الكتاب اهتمام كبير ببلاد العرب^(٢).

لقد شددت التجارة العربية اهتمام هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين، ما دفعهم للتحري عن مصادر هذه التجارة وأنواع السلع المصدرة ومناطق إنتاجها وغيرها من الموضوعات ذات الصلة التي أكسبت العرب شهرة عالمية في الأسواق الدولية، كما تحدثوا عن ثراء العرب الأسطوري، وامتلاكهم للأموال والثروات الضخمة، التي ربحوها من تجارة المواد العطرية والتوابل وقد أثرت كتاباتهم على القادة العسكريين الطموحين كالإسكندر وبعض خلفاءه والقادة الرومان، وشجعتهم على إرسال الحملات العسكرية لغزو الجزيرة العربية^(٣).



خريطة رقم (١): خريطة أناكسيمندر، نقلا عن بحث عبد العظيم، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان.

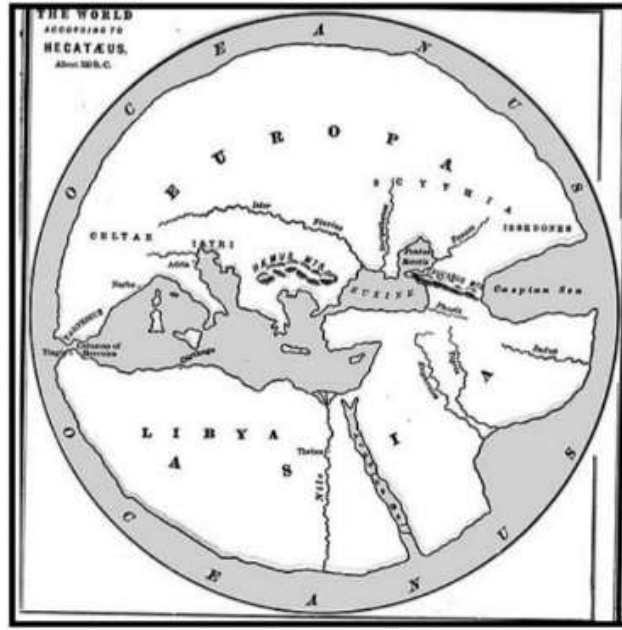
(١) مهران، إبراهيم محمد بيومي (د.ت)، منتجات الجزيرة العربية وتجارها الخارجية في كتابات هيرودوت، د.م، ص ٣، ٤.

(٢) النعيمات، سلامة (٢٠٠٠م)، تجارة اللبان والبخور عبر موانئ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، البحرين، المنامة، مجلة المنارة، مج ٥، عدد ١، ص ٣٠٦.

(٣) العبد الجبار، عبد الله بن عبد الرحمن (يناير ٢٠١٢م)، نظرة الكتاب الكلاسيكيين لتجارة الجزيرة العربية، السعودية، الرياض، مجلة الدرعية، العددان الحادي والثاني والخمسون، السنة الثالثة عشرة، ص ٢٢٦.

علما أن أول الكتابات الكلاسيكية التي تناولت بلاد العرب هي المؤلفات الجغرافية، حيث كانت كتب الجغرافيين الكلاسيكيين وخرائطهم أهم تلك المصادر الكلاسيكية عن البلاد العربية، وكان الجغرافي اليوناني **أناكسيمندر** Anaximander (٦١١ - ٥٤٧ ق.م) أول من أعد خريطة للعالم، جعل فيها بلاد اليونان في وسطها، وقد أظهرت تلك الخريطة بلاد العرب وجزيرتهم، وإن كان الخليج العربي قد ظهر كبحر خارجي، وليس على صورته الحقيقية^(١).

ونحو سنة ٥٠٠ ق.م قام **هيكاتيوس** برسم خريطة للعالم، تبين الأرض مسطحة على هيئة قرص مستدير يقع مركزه في دلفي في بلاد اليونان، ويقال إن هيكاتيوس قام بتحسين خريطة أناكسيمندر بإضافة تفاصيل إليها^(٢)، إلا أن بلاد العرب وأفريقيا قد ظهرت في خريطته كما في خريطة أناكسيمندر، إلا في المواقع الآتية: حيث ظهر البحر الأحمر في هيئة مستطيلة، وليس على هيئته الحقيقية كما في خريطة أناكسيمندر. كما ظهر نهر النيل في هيئة مستطيلة، ولم تظهر به ثنية فنا، كما في خريطة أناكسيمندر، وبدا الخليج العربي كبحر خارجي، لا على صورته الحقيقية^(٣).



خريطة رقم (٢): خريطة هيكاتيوس للعالم، نقلا عن عبد العظيم، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان.

(١) عبد العظيم، عبد العظيم أحمد (٢٠١٥م)، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان، بحث مقدم للندوة الدولية (العرب في أفريقيا قبل الإسلام) جامعة الحسن الثانية، المغرب، الدار البيضاء، ص ٨.

(٢) شريف، شريف محمد (١٩٦٩م)، تطور الفكر الجغرافي، ج ١، العصور القديمة، مصر، القاهرة، المكتبة الأنجلو المصرية، ص ٣٠٤.

(٣) عبد العظيم، عبد العظيم أحمد (٢٠١٥م)، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان، ص ١٠.

إن حجم وشكل شبه الجزيرة العربية لم يصبح معروفا إلا عندما تم الطواف حولها، وطبقا للمصادر اليونانية فإن أول شخص يوناني طاف حول بلاد العرب هو سكيلاكس Scylax من كَارْيَاثُوسادا Caryanda، أي من اليونانيين الأيونيين، ففي حوالي سنة ٥١٨ ق.م أو نحو ذلك، أرسله الملك الفارسي داريوس الأول Darius I (٥٢١ - ٤٨٥ ق.م) مع آخرين ممن يثق بإخلاصهم، في حملة استكشافية إلى شمال الهند للكشف عن مصب نهر السند، ولتقوم بالطواف من الهند مروراً بشبه الجزيرة العربية وحتى مصر، لمعرفة إمكانية إقامة طريق بحري قصير يكون بديلاً للرحلات البرية الطويلة وغير الآمنة، وبعد أن أبحرت هذه الحملة غرباً من مصب نهر السند بمحاذاة الشواطئ الإيرانية، اجتازت مدخل الخليج العربي (مضيق هرمز) ولم تمخر فيه، لأن الفرس يعرفونه جيداً، ولا حاجة لهم بإعادة استكشافه، وطافت هذه السفن حول جنوب الجزيرة العربية واكملت طريقها إلى البحر الأحمر، ووصلت في الشهر الثلاثين إلى ميناء أرسينوي Arsinoe بالقرب من السويس الحالية في مصر. ولقد كتب سكيلاكس تقريراً عن رحلته يعرف بالطواف Periplus^(١)، وكانت تلك الرحلة بداية لعصر جديد، لفت فيه الخليج العربي أنظار البحارة والجغرافيين والمؤرخين والأدباء وعلماء الطبيعة والقادة العسكريين إليه، وكان الإسكندر المقدوني أولهم^(٢).

وهكذا بدأت تتعدد الأسباب التي دفعت بالإغريق للتعرف على بلاد العرب، فبعد التجارة والجغرافيا أتت الحروب العسكرية التي كانت المحرض الأساسي على ميلاد علم التاريخ، حيث كانت الحروب الفارسية في القرن الخامس قبل الميلاد فرصة مناسبة ليتعرف فيها الإغريق على العرب سواء أكان وجهاً لوجه في أثناء الخدمة العسكرية في الجيش الفارسي، أم من خلال المؤرخين الكلاسيكيين الذي عكفوا على توثيق أخبار هذه الحرب، وفي مقدمتهم هيرودوت Herodotus (٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م) أبو التاريخ؛ كما يسميه شيشرون، والذي كان معجباً بإنجازات ملوك الفرس؛ لذلك خطّ لكتابة تاريخ الحروب التي شتوها على بلاد اليونان، والقيام بمسح جغرافي في إمبراطوريتهم. ولكنه سرعان ما سقط تحت تأثير جاذبية الديمقراطية الأثينية، وأدرك عظمة نصر اليونان على بلاد الفرس، وجعل هذا الموضوع المحور الرئيسي لكتاباتاته^(٣).

(١) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٠٩. وانظر: الجرو، أسهمان (٢٠١١م)، الصراع الدولي من أجل السيادة على المنافذ البحرية ومراكزها التجارية في الخليج العربي (القرن ٥ ق.م - القرن ٣ الميلادي)، النادي الثقافي، سلطنة عمان، ص ١.

(٢) الناصري، سيد أحمد علي (١٩٧٩م)، الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، تحرير عبد الرحمن الأنصاري، السعودية، الرياض، جامعة الملك سعود، ص ٤٠٥.

(٣) The oxford classical dictionary, (1970) London, second edition, oxford university, p.432.

انطلق هيرودوت من أثينا متجها إلى مصر، وتجول فيها جنوبا حتى وصل إلى أسوان، ثم غادر مصر إلى شبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر، ومنها عبر إلى بابل في سنة ٤٥٠ ق.م وبعد أن تجول في الشرق القديم عاد إلى أثينا^(١). وبلاد العرب عند هيرودوت تشمل أقالم متنوعة، حيث تضم أجزاء من سورية، وصحراء سيناء، وصحراء مصر الشرقية، بالإضافة إلى ما هو معروف بأرض العرب (الجزيرة العربية)^(٢)، التي يحدد موقعها قائلا: «وببلاد العرب تقع في أقصى الجنوب من العالم المأهول، وهي المكان الوحيد الذي ينتج البخور والمر myrrh والكاسيا casia والقرفة cinammon والصمغ الذي يسمى اللادن، ويعاني العرب في جمعها -باستثناء المر- مصاعب جمة»^(٣). وإذا كان هيرودوت هنا يعد أول من تناول صادرات الجزيرة العربية من البخور، إلا أنه لم يفدنا في ماهية الطرق التي كان يسلكها التجار برا أو بحرا، ونحن نستنتج من أكثر من موضع في حديثه أن التجار الفينيقيين في هذه الفترة كانوا لا يزالون هم الوسطاء في تجارة الطيوب والتوابل وغيرها من منتجات بين الجزيرة العربية والعالم اليوناني، حيث تصل البضائع إلى الموانئ الفينيقية، ثم يحملها التجار الفينيقيون إلى الموانئ اليونانية، وربما إلى مصر أيضا^(٤).

كما يؤخذ على كتابات هيرودوت عن الجزيرة العربية القديمة؛ أنها لم تنتج من الأفكار الساذجة التي سادت عصره، وغلفت كتابته وإن كانت نواتها حقيقية- بالمبالغة والتحريف، وأحيانا بالأساطير، كحديثه عن الأفاعي الطائرة، والسماك الذي يأكل الخيول^(٥)، حيث يقول «كنت قد زرت ذات مرة بقعة معينة في بلاد العرب، وتقع مقابل مدينة بوتو Buto لاستقصاء أمر الحيات الطائرة في بلاد العرب»^(٦). كما أنه يقدم حكايات أسطورية أخرى عن جزيرة العرب يشرح فيها الصعاب التي كان العرب يلاقونها في جمع محصول الطيوب، لكن تلك القصص الخيالية كانت تجذب اهتمام قطاع عريض من اليونان، لذلك كان الكتاب يستخدمونها عن طيب خاطر ويعتقدون بوجود تلك الثعابين المجنحة أو العنقاء التي ارتبطت ببلاد العرب،

(١) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٦م)، روايات هيرودوت عن بابل وآشور، دراسة تاريخية تحليلية، مجلة كلية التربية، تصدر عن جامعة واسط، العدد ٢٥ السنة التاسعة، تشرين الثاني، العراق، بغداد، ص ٢٠٠.

(٢) النعيمات، سلامة (٢٠٠٠م)، تجارة اللبان والبخور، ص ٣٠٦.

(٣) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٣، الفصل ١٠٧، الفقرة ١، ترجمة: إبراهيم السايح، تعليق: رحمة بنت عواد السناني، وإشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (١)، دار الملك عبد العزيز، السعودية، الرياض ٢٠١٧م. وانظر النسخة التي ترجمها الملاح عن الترجمة الإنكليزية: هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، قدم له: حمد محمد بن صراي، المجمع الثقافي في أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي ٢٠٠١م، ص ٢٦٨.

(٤) مهرا، إبراهيم محمد بيومي (د.ت)، منتجات الجزيرة العربية، ص ٢٨.

(٥) Philip S. Peek., (2018) Herodotus, Histories, Book V., All content following this page was uploaded on 25 May, p.4.

(٦) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٢، الفصل ٧٥، الفقرة ١.

وربما يرجع ذلك إلى فكرة جني محصول المر التي وصفت في قصة الطائر الخرافية. وهي قصص لا تصدق حيث ترافقت بمصاعب كبيرة وعراقيل شديدة في سبيل الحصول على العطور، ولا شك أن تلك القصص الخرافية كانت تخدم العرب بمنع أي منافسة تجارية محتملة لهم، وتكفل أسعارا عالية لبضائعهم. وربما أن العرب أنفسهم قد روجوا لتلك المعلومات الزائفة عن بلادهم والتي شاعت بدورها عند اليونان^(١).



خريطة رقم (٣): العالم كما وضعها هيرودوت ويظهر عليها الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية.

أما هيرودوت كجغرافي فقد قدم بعض المعلومات الجيدة عن بلاد العرب؛ كحديثه «إن نهر الفرات ينبع من أرمينيا وهو نهر عميق وشديد الجريان ويصب في البحر الإريثري»^(٢)، إذا بدّل (الخليج العربي) ورد مصطلح (البحر الإريثري Erythra Thalassa *) في النص اليوناني في كتاب هيرودوت^(٣)، ولتبديد هذا الالتباس تجدر الإشارة إلى أن مدلول هذه المصطلح (البحر الإريثري) عند هيرودوت وعند غيره من الكتاب والجغرافيين الكلاسيكيين في ذلك العصر؛ لم يكن يقتصر على البحر الأحمر الحالي فقط؛ بل كان يشمل كلا من البحر الأحمر الحالي، والمحيط الهندي وأجزائه ومتفرعاته بما فيها المنطقة المعروفة حالياً

(١) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١١٥.

(٢) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ١، الفصل ١٨٠، الفقرة ١.

* كلمة إريثري كلمة يونانية تعني "الأحمر".

(٣) الجناحي، قيس حاتم (٢٠١٦م)، روايات هيرودوت عن بابل وآشور، ص ٢٣٤.

ببحر العرب، وبحر الزنج، وخليج عمان، وكذلك الخليج العربي أيضاً^(١). وأما البحر الأحمر نفسه فإنه يطلق عليه هنا اسم "الخليج العربي". ولا يبدو هنا أنَّ هيرودوت كان قد أطلق اسماً خاصاً على الخليج العربي.

وما يؤكد ذلك هو خريطة العالم التي رسمها وثبت عليها نهري دجلة والفرات وهما يصبان في الخليج العربي. ورغم أهمية هذه الخريطة التي وضعها هيرودوت إلا أن عليها الكثير من الملاحظات، أولاً: عدم دقة الساحل الجنوبي لآسيا، فبدت الهند في شكل قوس متطرف نحو الشرق. ثانياً: جعل نهر السند يصب في الشرق. ثالثاً: بالغ في مساحة البحر الأسود. رابعاً: جعل نهر النيل متصلاً في الغرب بالنيجر. خامساً: ظهر الخليج العربي بأصغر من حجمه^(٢). وإذا كان تاريخ هيرودوت يُفيد في دراسة تاريخ العرب القديم وبلادهم، فهو قليل النفع بالنسبة للخليج العربي، ويرى عدد من المؤرخين أن سبب ذلك التقصير مرده إلى أن الخليج العربي كان لا يزال على عهده خارج اهتمامات السياسة الدولية للمصالح اليونانية^(٣).

ولا يكتفي هيرودوت بالتاريخ والجغرافيا بل يتناول **الأنثوغرافية** أيضاً، وإن القارئ العربي مدين له، إذ اهتم بتوثيق عادات العرب وتقاليدهم، وبين أن أصل الفينيقيين من منطقة الخليج العربي، وأنهم انتقلوا إلى الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط والذي يصفه في تاريخه بأنه يشكل الحد البحري لبلاد العرب، كما وصف أعمالهم ومهاراتهم ومعابدهم وبين بأوضح عبارة أنهم قد علموا الإغريق الأبجدية بالإضافة إلى ذلك فإن هيرودوت يصف لنا بلاد العرب وجغرافيتها وحدودها بين الخليج العربي والبحر الأحمر الذي كان يسمى على أيامه خليج العرب، كما يتحدث عن ملك العرب، ويبيدي إعجابه الشديد بالعرب والأخلاق العربية وبنوه بأن التاريخ لم يعرف أمة تقدر العهود والمواثيق مثل العرب وأن العرب هم الأمة الوحيدة التي لم ترضخ لأحد، بل عقدت المعاهدات على قدم المساواة، وقد وصل إعجابه بالعرب وبلادهم إلى درجة أنه يصرح بأن بلاد العرب تقوَّح بعطر سماوي^(٤).

ومما قاله هيرودوت حول المواثيق والعهود عند العرب نورد الآتي: «العرب هم أكثر الناس احتراماً للضمانات والعهود. وهُم يُعَبَّرُونَ عَنْ هذا الالتزام على النحو الآتي: يَقِفُ شخصٌ محايدٌ بين طرفي

(١) زيادة، نقولا (١٩٧٩م)، ليل البحر الإثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، تحرير عبد الرحمن الأنصاري، جامعة الملك سعود، السعودية، الرياض، ص ٢٦٣.

(٢) عبد العظيم، عبد العظيم أحمد (٢٠١٥م)، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان، ص ١١.

(٣) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان منذ عصر الإسكندر حتى بداية العصر الروماني، مركز الدراسات الإنسانية، قطر، الدوحة، ص ١١٩.

(٤) هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة الملاح، ص ٩.

الالتزام، ثم يخدش بحجرٍ حاد الجزء الداخلي من أيدي كلٍّ منهما في اتجاه الإبهام، ثم يأخذ خيطاً من عباءة كلٍّ منهما، ثم يلطخ بالدم سبعة أحجارٍ موضوعةٍ بينهما، ويفعل ذلك في أثناء الدعاء لديونيوسوس/ ديونيوسوس Dionysus *، وأورانيا Urania وبعد إتمامه ذلك العمل، يزكي الطرف الذي أخذ العهد على نفسه الغريب لدى أصدقائه أو أهل قبيلته، وبذلك يعد الأصدقاء أنفسهم أيضاً مسؤولين عن الالتزامات المقررة. وهم لا يتعبّدون إلا للمعبود ديونيوسوس فقط ومعهُ الربة أورانيا [أفروديتي]، ويقولون أيضاً: إنهم يقصّون شعورهم على طريقة ديونيوسوس نفسه، وإنهم يقصّونها بشكلٍ دائريٍّ، في حين يحلقون شعراً أصداغهم، وهم يعرفون ديونيوسوس باسم أوروتالت Orotalt وأورانيا باسم أليلات [اللات] Alilat^(١)».

وإذا كان اليونان يجهلون بلاد العرب وسرت بينهم الخرافات عن تلك البلاد القصية، إلا أنهم لم يجهلوا العرب كشعب، حيث احتكوا بهم وجهاً لوجه، فلا شك أن المرتزقة اليونان الذين خدموا في الجيوش الأخمينية، جنباً إلى جنب مع الجنود العرب راكبي الجمال، والذين كانوا يشكلون وحدة أساسية في الجيش الأخميني؛ كانوا مصدراً للمعلومات عن العرب، كما تعرف الإغريق مباشرة على المقاتلين العرب في صدامهم مع الجيوش الأخمينية، وكان ذلك في أثناء الحملة الفارسية على بلادهم سنة ٤٩٠ - ٤٨٠ ق.م، وتجدر الإشارة إلى أن هيرودوت تحدث عن الموضوع وقال إن الفرس جعلوا العرب من ركبان الجمال في مؤخرة جيشهم، حتى لا يثير منظر جمالهم الخيول التي كانت تجفل منها^(٢)، وهذا نص ما أورده هيرودوت: «وكان جميع الفرسان الآخرين مصطفىين مع جماعاتهم، أمّا العرب فكانوا في الصفوف الأخيرة. ولأنّ الخيول لم تكن تطيق الجمال فإنّ مكانها كان في المؤخرة حتى لا تجفل^(٣)».

كما يذكر هيرودوت أن العرب اشتركوا في معركة ثيرموپولي Thermopylae * البرية في شهر آب سنة ٤٨٠ ق.م في شمال بلاد اليونان بين الفرس والإغريق والتي انتصر فيها الإغريق، ولم يذكر

* ديونيوسوس: إله الخمر عند الإغريق، وهو ابن الإله زيوس، جاء به سفاحاً من سيميلية، وهي من البشر بنت قدموس ملك طيبة، انظر: عجيب، أحمد علي (٢٠٠٤م)، دراسات في الأدب الوثنية القديمة، مصر، القاهرة، دار الآفاق العربية، ص ١٦٦.

(١) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٣، الفصل ٨، الفقرة ١-٣.

(٢) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر تجاه بلاد العرب والجزيرة العربية (٣٣٢ - ٣٢٣ ق.م)، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، قطر، الدوحة، ص ١٢.

(٣) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٧، الفصل ٨٧، الفقرة ١.

* ثيرموپولي: من المعارك الفاصلة في الحروب الفارسية اليونانية، تصدت فيها القوات الإسبارطية لجيوش الفرس عند ممر ثيرموپولي وهو ممر ضيق بين الجبال والبحر يبلغ طوله ٩ كم، يعتبر المنفذ الوحيد إلى كل بلاد اليونان الشرقية، انظر: عياد، محمد كامل (١٩٨٠م)، تاريخ اليونان، ص ٣٠٦.

هَيَرُودُوت عددًا محددًا لتعداد جنود الفيلق العربي المشارك مع جيش الملك الأَحْمِينِيّ لغزو المدن اليونانية، بل جعل تعدادهم مع عنصرٍ آخر، هم الليبيون من راكبي العربات الحربية، بنحو ٢٠ ألف مقاتل^(١). وإذا لم يقدم هيرودوت رقما محددًا عن تعداد الجنود العرب، إلا أنه يقدم وصفا قيما عن لباس المقاتلين العرب، حيث يرتدي المقاتل العربي ثوب سابغ الطول يثبت بواسطة حزام، كما تحدث عن أسلحة المقاتلين العرب في الجيش الفارسي إذ يقول «إن سلاحهم القوس يضعونه على جانبهم الأيمن وهو كبير نوعا ما كما أنهم قد يتسلحون بالسيوف الطويلة^(٢)». ولا شك أن قوة العرب وشجاعتهم التي أبدوها في الحرب، قد أثارت فضول اليونان في معرفة هؤلاء القوم ودراستهم، والاحتكاك بهم عن قرب^(٣).

كما أن أسرى هذه الحرب من اليونان تم إسكانهم بين العرب، ومن المؤكد أن الإغريق قد عرفوا أخبارا عن العرب من خلال الجماعات اليونانية من الأيونيين (الكاريين وأهل ميليتوس) الذين نقلهم الملك داريوس الأول في سنة ٤٩٤ ق.م من بلادهم وأسكنوهم عند رأس الخليج العربي، وكان هؤلاء الإغريق قد احتكوا احتكاكا مباشرة بعرب الخليج^(٤). حيث أجبروا على القيام بالخدمة في الأسطول الفارسي الذي كان داريوس قد احتفظ به بصورة دائمة في الخليج، كما أسس هذا الملك الفارسي ميناء أجينيس Aginis على رأس الخليج، والذي عرف أيضاً باسم أمبي Ampe^(٥)، وعلى ما يبدو أن داريوس كان معجبا بالقدرات الملاحية البحرية للإغريق والكاريين، فأراد أن يستثمر خبراتهم في مجال الملاحة، لا بل أنه لم يكتف بذلك حيث يكشف لنا نقش عن استخدامه للأيونيين والكاريين في نقل أشجار الصنوبر من لبنان إلى بابل^(٦).

ومهما يكن من أمر يبقى ما كتبه المؤرخون الكلاسيكيون منذ عهد هيرودوت مؤشرا واضحا لاهتمام الإغريق بالجزيرة العربية، وبسكانها، وقد أدى إلى هذا الاهتمام عاملان رئيسيان: أحدهما هو أن أول احتكاك كبير بين اليونان والعالم الشرقي لم ينته بانتهاء الصدام العسكري مع الإمبراطورية الفارسية، الذي وقع في الربع الأول من القرن الخامس قبل الميلاد، والذي ظهرت فيه وحدات عسكرية عربية ضمن قوات

(١) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٧، الفصل ١٨٤، الفقرة ١-٥. وانظر: التعليق على المعلومة في هامش ص ٩٢ من ترجمة السايح.

(٢) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٧، الفصل ٦٩، الفقرة ١-٣. وانظر: جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، هامش ص ١٢. وانظر: علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ط ٢، العراق، بغداد، ص ٦٢٧.

(٣) عبد الحي، صلاح السيد (٢٠٠٦م)، الغارات اليونانية والعربية بين الحقيقة التاريخية والصياغة الأدبية، مجلة أوراق كلاسيكية، الصادرة عن جامعة القاهرة، العدد السادس، مصر، القاهرة، ص ٦٥٨.

(٤) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٣.

(٥) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي، ص ١٣.

(٦) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٣.

هذه الإمبراطورية، وإنما ظل التوتر كامناً ومستمرًا، فثار مرة أخرى في أواسط القرن ذاته، في حرب دامت سجالاً بين الأثينيين من جهة، وبين الفرس يعاونهم الأسطول الفينيقي من جهة أخرى، ولا بد أن يكون هذا قد أثار في أذهان اليونانيين، والمتقنين منهم، رغبة واضحة في التعرف على هذا العالم الشرقي واستكشاف هويته^(١).

ولاسيما أن الإغريق قد نظروا إلى الفينيقيين على أنهم عرب، وأنهم وفدوا إلى ساحل البحر المتوسط من سواحل الجزيرة العربية^(٢)، وقد أتى هذا الرأي صريحا عند هيرودوت في معرض حديثه عن أسباب الحروب الفارسية عندما قال: «كان هذا الشعب الفينيقي **Phoenicians** يعيش من قبل على سواحل البحر الإريتري، ثم هاجروا إلى البحر المتوسط، واستقروا في الأجزاء التي يسكنونها حاليا^(٣)». بينما قدم سترابون عليه أدلة أثرية وشهادات وقرائن يرى أنها أدلة قطعية على أن أصل الفينيقيين من الخليج العربي، في معرض حديثه عن رحلة نيارخوس (قائد أسطول الإسكندر المقدوني في الخليج العربي) عندما قال: «ويقابل المرء بعد ذلك في رحلته جزرا أخرى مثل صور وأرواد [المحرق] اللتين فيهما معابد تشبه المعابد الفينيقية. وإذا كان لنا أن نصدق الناس المقيمين في هذه الأماكن فإنهم يقولون إنهم هم أنفسهم الذين أسسوا المدن والجزر الفينيقية التي تحمل الأسماء نفسها، وتبعد هذه الجزر من تيريديون **Teredon** [الأبله] مسيرة عشرة أيام بحرا، ومن قمة الخليج الموجودة عند ماكاي/ ماكيتا **Maceta** [تحريف لاسم ماجان/ عمان] مسيرة يوم واحد^(٤)».

وأما العامل الآخر فهو الازدياد الكبير في حجم تجارة الإمبراطورية الأثينية في القسم الشرقي للبحر المتوسط، وبخاصة بعد الضربة التي تلقاها النشاط التجاري الفينيقي في المنطقة عقب الهزيمة التي حاقت بالأسطول الفينيقي على يد الأثينيين على شواطئ قبرص سنة ٤٤٩ ق.م، فقد انعكس هذا الازدياد في شكل رخاء عم كل جوانب الحياة في أثينا، مركز هذه الإمبراطورية، وكان من بين مظاهره استهلاك متزايد في الطيوب والتوابل، التي كانت تأتي من الجزيرة العربية عن طريق ميناء غزة، الذي كان بيد التجار العرب، في وقت كان فيه هذا النوع ضرورة يومية في المنزل والمعبد والأعياد والاجتماعات السياسية والاحتفالات

(١) مهرا، إبراهيم محمد بيومي (د.ت)، منتجات الجزيرة العربية، ص ٤، ٥.

(٢) حامدة، أحمد (٢٠٠٧م)، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، ط ٤، منشورات جامعة دمشق، سورية، دمشق. ص ٨.

(٣) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ١، الفصل ١، الفقرة ١.

(٤) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٤.

الرياضية والمناسبات الاجتماعية^(١). حيث لعب العرب دورا بارزا في التجارة الدولية في ذلك الوقت، عن طريق الوساطة في شراء سلع ومنتجات من أسواق إفريقيا الشرقية، وأسواق شبه القارة الهندية، ومن ثم نقلها إلى ممالك ودول شمال بلاد العرب، أو بيعها في غزة إلى التجار اليونان مباشرة. كما أنهم تميزوا بإنتاج زراعي تحول إلى منتجات وبيع رائجة، كالبخور وغيره، وكان يعتبر من الصناعات الخفيفة، وقد حقق تمييزا ونال إعجاب تلك الممالك والدول، فازداد الطلب عليه، مما حقق للعرب ثراء ملحوظاً^(٢).

أما الأدلة الأثرية التي تؤكد اهتمام اليونان المتزايد بالمنطقة العربية، والمؤرخة بالقرن الخامس قبل الميلاد، يمكن أن نجدها في التأثيرات اليونانية التي ظهرت في الجزيرة العربية، ولاسيما في حضارة سبأ، حيث تجلت بشكل واضح في النقود، الذي كان أبرز ما تجلّى به ذلك التأثير^(٣)، حيث أمست العملة اليونانية التي اعتمدتها أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد عملة دولية، وقد تم العثور على عملة سبئية باليمن عليها تأثيرات أثينية جلية، وترجع هذه العملة ربما إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وقد جاء على وجه هذه العملة رأس الإلهة اليونانية أثينا، متدلّيا من أذنيها قرط، وعلى ظهر العملة وجدت صورة البومة رمز الربة أثينا مع صورة الهلال، وغصن زيتون به ورقتان في وسطهما حبة زيتون ثم الحرفان الأولان من اسم الربة أثينا (الألف والثاء) مكتوبان بالأبجدية اليونانية، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على مدى عمق الاتصال بين التجار اليونان وعرب جنوب الجزيرة العربية وتأثرهم بالاقتصاد والعملة اليونانية. وإذا كان نشاط التجار اليونان في فترة مبكرة مقصورا على شرق البحر المتوسط، فإنه قد امتد في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد إلى البحر الأحمر، مما أدى إلى احتكاك اليونان مباشرة بالعرب هناك^(٤).

ونظرا لتزايد الاهتمام بالعالم العربي، فإن الإشارات إلى بلاد العرب وسكانها يمكن العثور عليها أيضا في الأعمال اليونانية الدرامية في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، فلقد ورد التلميح لبلاد العرب السعيدة Arabia Felix في مسرحية "الطيور"، التي ألفها الشاعر الكوميدي أريستوفانيس Aristophanes (حوالي ٤٤٥ - ٣٨٦ ق.م) سنة ٤١٤ ق.م، ويشير فيها إلى مدينة سعيدة على البحر الأحمر^(٥).

(١) مهران، إبراهيم محمد بيومي (د.ت)، منتجات الجزيرة العربية، ص ٤، ٥.

(٢) مهران، إبراهيم محمد بيومي (د.ت)، المرجع نفسه، ص ١٣.

(٣) جواد، حسن حمزة (٢٠٠٨م)، نشوء الدولة السلوقية وقيامها (دراسة تاريخية ٣١٢ - ٦٤ ق.م)، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير

في التاريخ القديم، جامعة بغداد، العراق، بغداد، ص ١٠٦.

(٤) عبد الحي، صلاح السيد (٢٠٠٦م)، الغارات اليونانية والعربية، ص ٦٥٦.

(٥) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٢٠.

كما أشار يوريبديدس Euripides (٤٨٥ - ٤٠٦ ق.م) إلى بلاد العرب السعيدة، عندما عدد الأقطار التي زارها الإله ديونيسيوس Dionysus، في المسرحية التراجيدية عابدات باخوس في الأبيات من ١٣- ١٩ فيقول على لسان ديونيسيوس: «وذهبت إلى فارس المتوهجة بأشعة الشمس، وإلى مدن باكتيريا ذات الأسوار، وإلى أرض الميديين حيث الزمهرير، وإلى بلاد العرب السعيدة وإلى جميع مناطق آسيا التي تقع على طول ساحل البحر المالح حيث الإغريق والأجانب مختلطون سوياً وحيث توجد المدن مليئة بالأبراج الجميلة^(١)». وعلى ما يبدو أن يوريبديدس يضع بلاد العرب في الشرق، ضمن عدد من البلدان الممتدة من باكتيريا إلى آسيا الصغرى. ومن الحقائق الجديرة بالملاحظة أنه في الأدب اليوناني ترتبط عبادة ديونيسيوس ببلاد العرب السعيدة، وليست مقدمة يوريبديدس لمسرحية عابدات باخوس هي الدليل الوحيد على هذا الارتباط. فلقد اعتقد بعض الكتاب اليونانيين من بينهم انتيماخوس Antimachus الكولفوني (٤٤٤ - ٣٦٥ ق.م) أن ديونيسيوس قد ولد في نيسا Nysa في بلاد العرب^(٢). وهذا الاعتقاد ربما أنه قد أخذ به عن هيرودوت الذي يقول: «الذين يعيشون حول مدينة نيسا/ نوسا المقدسة، حيث ديونيسيوس هو المعبود الذي يكرمونه في أعيادهم^(٣)». ورغم أن هيرودوت يشير إلى نيسا ليست في بلاد العرب، وإنما في أثيوبيا، لكن ارتباط عبادة هذا الإله بالجزيرة العربية سيستمر زمناً طويلاً، وسيفصل موضوعه عند الحديث عن دوافع الإسكندر الدينية لغزو الجزيرة العربية.

لقد كان وعي الإغريق ببلاد العرب في تنامي مستمر، ويظهر هذا من خلال الكتابات اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد، وتعد الإشارة المتكررة إلى البخور في هذه الكتابات دليلاً واضحاً على هذا الرأي، فعندما تصف الترنيمة الدلفية الأولى لأبوللون Apollon *، كيفية انتشار البخور العربي في أوليمبوس، فإنها تمثل دليلاً على استخدام الطيوب، وربما أيضاً ذلك اللبان المستورد من بلاد العرب، في طقوس العبادة في دلفي Delpi في القرن الرابع ق.م. كما يوجد في كتاب تاريخ الحيوانات لأرسطو Aristoteles (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) أقدم وصف للجمل، ويوجد تمييز واضح للجمل ذي الحذبة الواحدة (السنم) عن الجمل الباكثيري

(١) يوريبديدس، عابدات باخوس - أبون - هيبوليتوس (١٩٩٧م)، ترجمة ودارسة وتقديم: عبد المعطي شعراوي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، القاهرة، ص ١٢١.

(٢) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٢٠.

(٣) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٣، الفصل ٩٧، الفقرة ٢.

* الإله أبوللون: من أشهر آلهة اليونان، وكان أبوللون في عقائد اليونان إلهاً متعدد الاختصاصات. فكان إله الموسيقى، والرمية، والتبؤ، والطب، والشمس. ويدعى ابنًا لزيوس، وقد أقيمت له المعابد في مختلف المدن، وخاصة معبد دلفي، حيث كان الناس يأتونه من كل مكان، ولم يكن هناك معبد يفوقه في الذيع والانتشار والشهرة. انظر: عجيبة، أحمد علي (٢٠٠٤م)، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ص ١٥٦.

ذي السنامين، ومعلومات أخرى متفرقة عن العرب مثل أن فصل التزاوج عند العرب محدد في شهري أكتوبر (١٠) ونوفمبر (١١)، ويبدو هذا الوصف وكأنه يعكس الأوضاع في بلاد العرب الجنوبية أكثر منه في الشمالية. وفي مؤلفه عن الظروف الجوية يذكر أرسطو إن فصل سقوط الأمطار في بلاد العرب وأثيوبيا هو فصل الصيف، وهو ما يشير أيضا إلى طبيعة سقوط الأمطار في اليمن في جنوب بلاد العرب. عموما في الفترة ما بين هيرودوت والإسكندر، نحصل فقط على مجرد تلميحات عن العلاقات بين العرب واليونانيين^(١).



صورة رقم (١): الإله أبوللون إله الشمس عند الإغريق حاملا في يده إكليل الغار.

(١) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٢٠.

ثانياً: الخليج العربي قبيل غزو الإسكندر المقدوني:

لقد كان الخليج العربي ميداناً رائعاً للملاحة بين جنوب غرب آسيا والشرق الأقصى والهند، ولا سيما أنه كان مدرسة قديمة للملاحة، وما زاد من أهميته وجود مصايد اللؤلؤ فيه، واعتماد أهله على البحر في معاشهم، وكان النشاط البحري الواسع فيه، قبل العصر الكلاسيكي، تقليداً عريقاً يمتد تاريخه إلى الألف الثالث قبل الميلاد وعصر الحضارة السومرية^(١). وكانت منطقة الخليج العربي ولا تزال محط أنظار الدول الكبرى، وذلك لما تمتعت به هذه المنطقة من أهمية استراتيجية واقتصادية، بحكم موقع الخليج العربي على أهم شرايين التجارة في العالم القديم ما بين الشرق والغرب، هذا بالإضافة لما يحتويه من ثروات بحرية كبيرة مثل اللؤلؤ والمرجان وغيرها. إلا أنه لم تظهر فيه خلال العصور القديمة دولة قوية، مما جعل سكانه يدفعون الجزية إلى حكومات بلاد الرافدين، وبذلك أبعداً الخطر عن أنفسهم وعن مصالحهم التجارية^(٢). وقد اشتغل أهل الخليج العربي بتجارة البخور والتوابل واستخراج اللؤلؤ منذ أقدم العصور، لكن هذه التجارة كانت دائماً تتأثر بظروف البلدان المحيطة به^(٣).

لقد كانت أولى الانكماشات التي عصفت بالخليج العربي قد بدأت في عصر الفرس الأخمينيين إذ انتكست حركة التجارة فيه، بسبب التبادلات السياسية والعمليات العسكرية التي قادها الفرس في الشرق القديم، وقبل الاستطرد في شرح تلك الأحداث، أود الإشارة إلى أن الخليج العربي خلال هذه الحقبة بالذات صار يعرف بإقليم أو بلاد أرض البحر، وهذا واضح من خلال ما ورد في النصوص المسمارية، وقد اعتقد معظم الباحثين بأن الإقليم يتألف من أراضي المنطقة المحيطة بشطآن الخليج العربي، بالإضافة إلى منطقة الأهوار في جنوب العراق، إلا أن الدكتور طه باقر بعد دراسة مستفيضة بين أن إقليم "أرض البحر" لا يقتصر على شطآن الخليج، بل يشمل جزءاً من الجزيرة العربية، ولا سيما الركن الشمالي الشرقي منها، وربما أنه كان يمتد في جهة الجنوب حتى حدود بلاد دلمون^(٤).

(١) غلاب، محمد السيد (١٩٧٩م)، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، تحرير عبد الرحمن الأنصاري، السعودية، الرياض، جامعة الملك سعود، ص ١٩٦.

(٢) جواد، حسن حمزة (٢٠٠٨م)، نشوء الدولة السلوقية وقيامها، ص ١٠٦.

(٣) النعيمات، سلامة (٢٠٠٠م)، تجارة اللبان والبخور، ص ٣٠٤. وانظر: غلاب، محمد السيد (١٩٧٩م)، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، ص ١٩٦.

(٤) باقر، طه (١٩٤٥م)، علاقة بلاد الرافدين بجزيرة العرب، مجلة سومر، ج ١، ٢، العراق، بغداد، ص ١٤٥ - ١٤٨.

وبالعودة للحديث عن الاضطرابات في منطقة الشرق القديم، والتي تراكمت مع صعود القوة الأخمينية، وأثرت سلباً على الخليج العربي، تجدر الإشارة إلى أن الملك الفارسي قوروش Cyrus الكبير قد احتل بلاد أرض البحر، قبل أن يحتل بلاد بابل نفسها في تشرين الأول سنة ٥٣٩ ق.م، لا بل إنه احتل آسيا، ثم أسرع إلى بابل في السنة السابعة عشرة من حكم الملك نابونيد (٥٥٦ - ٥٣٩ ق.م)، وما يؤكد تلك الحقيقة هو ما ذكره كسينوفون Xenophon في كتابه (كروبيديا) (Cyropaeda) عن حياة قوروش^(١)؛ بأن قوروش كتمهيد لاحتلال بابل قد «أخضع السوريين والآشوريين والعرب والكبادوكيين إليه»^(٢). وربما جعل كسينوفون بلاد أرض البحر ضمن بلاد العرب، وهو أمر منطقي خاصة بالنسبة للساحل الغربي من الخليج العربي. عموماً المعلومات قليلة هنا، لكن من المؤكد أن إقليم أرض البحر قد خضع للهيمنة الفارسية وصار جزءاً من أراضي الإمبراطورية الأخمينية. وأن مدينة شالامو Shalamu في بلاد العرب كانت ضمن الإمبراطورية الأخمينية في السنة الثامنة من حكم قوروش (٥٥٠ ق.م) أي قبل غزوه بابل بكثير^(٣).

كما يتضح مما كتبه كسينوفون أن قوروش قد جند العرب في صفوف قواته، مثل ما فعل ذلك مع غيرهم من الأقوام التي احتل بلادها: «سجلوا أنه قد جند بالفعل عدداً من التراقيين ممن يبارزون بالسيف، وأن المصريين قد ركبوا البحر لينضموا إليهم، وقد قدر عددهم بنحو مئة وعشرين ألف رجل مسلحين بالتروس التي تبلغ أقدامهم، وبرماح ضخمة مثل تلك التي يحملونها في الوقت الحالي، وبسيوف المبارزة. إضافة إلى ذلك، كان يوجد أيضاً جيش القبرصيين Cyprian وقد كان كل الكيليكيين حاضرين بالفعل، علاوة على كل من الفريجيين Phrygians واللاكونييين Lycaonians والبالاجونييين Paphlagonians والكبادوكيين Cappaadocians والعرب والفينيقيين وكل الآشوريين تحت قيادة ملك بابل، والأيونيين Ionians كذلك الإيوليين Aeolians ومعظم إغريق المستوطنات في آسيا قد أجبروا على الانضمام إلى قوروش، وكان قوروش قد أرسل إلى لاكيدايمون Lacedaemon / إسبارطة؛ كي يعقد معهم حلفاً»^(٤).

(١) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، العراق، جامعة البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ص ٣٠٩.

(٢) كسينوفون، تربية قوروش، الكتاب ١، الفصل ١، الفقرة ٤. ترجمة: نجلات عزت، تعليق زياد الشрман، إشراف وتحرير د. عبد الله بن عبد الرحمن العيد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (١٥)، السعودية، الرياض، دار الملك عبد العزيز ٢٠١٧م.

(٣) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٠٩.

(٤) كسينوفون، تربية قوروش، الكتاب ٦، الفصل ٢، الفقرة ١٠.

كانت تجارة الخليج العربي تتأثر بظروف البلدان المحيطة به؛ وكان أسوأ هذه الظروف هو سقوط بابل بيد قوروش الكبير ملك الفرس سنة ٥٣٩ ق.م، ويبدو أنه من قبلها كان الخليج العربي قد خضع، بما فيه دلمون (البحرين)، للسيطرة الفارسية؛ بحكم أن بابل كانت في حالة ضعف مطبق، وتبعية دلمون لبابل موثقة ومثبتة في نص مسماري من بابل مؤرخ بالسنة الحادية عشرة من حكم نابونيد Nabonidus آخر ملوك بابل، يبين أنه قد تم تكليف شقيق حاكم دلمون بالعناية بالطريق التجاري بين دلمون وبابل. ولما سقطت بابل فقدت دلمون أملها بالاستقلال. إن ما يدعم حقيقة خضوع دلمون ومعها الخليج العربي قاطبة للمهيمنة الأخمينية هو الدليل الأثري، فأهم موقع في دلمون (قصر دلمون)، الموقع المعروف في يومنا هذا باسم (قلعة البحرين)، والسويات الأثرية من هذا الموقع؛ التي تؤرخ بعصر الاحتلال الأخميني، ويرمز لها علماء الآثار بالرمز IVC-d، أظهرت نوعاً من الفخار الأخميني، وكان علماء الآثار قد درسوا هذا الفخار، وتوصلوا إلى نتيجة أنه فخار نمطي فارسي، صنعه الفرس في البحرين، باستخدام الصلصال والنقوش البحرينية، وربما أنه صنع من قبل الفرس الذين وفدوا إلى البحرين لإدارتها، وهو دليل على أن المرزبان الفارسي وحاشيته قد سكنوا قصر دلمون^(١)، (الذي صار يعرف اليوم باسم قلعة البحرين في أوساط علماء الآثار). وقد ذكر كسينوفون صراحة أن قوروش قد عين والياً على بلاد العرب: «اختار أولئك الذين بدا أنهم مناسبون وأرس لهم بوصفهم ولاة، فأرسل ميجابازوس Megabazus إلى بلاد العرب^(٢)».



صورة (٢): قصر دلمون (قلعة البحرين) في الألف الأول قبل الميلاد

(١) Potts, D. T., Achaemenid Interests in the Persian Gulf., 2010, p.523, 524.

(٢) كسينوفون، تربية قوروش، الكتاب ٨، الفصل ٦، الفقرة ٧.

لقد كان لهذا الاحتلال السبب المباشر في تبدل اسم الخليج العربي، فعلى الرغم من أن ذكره جاء عند هيكتاتئوس في حوالي سنة ٥٠٠ ق.م باسم الخليج العربي إلا أن فكرة الإغريق عن هذا الخليج ظلت محدودة، وكانوا يطلقون عليه اسم الخليج الفارسي Persikos Kolpos، نظرا لخضوعه للهيمنة الفارسية في تلك الآونة^(١).

أما في السنة الأولى من حكم قمبيز Cambyzes (٥٢٨ - ٥٢١ ق.م) فإننا نقرأ عن رجل اسمه دايان شار أوصور Daian-Shar-usur، وهو اسم أكادي، حيث تم تعيينه كنائب لحاكم بلاد أرض البحر، والظاهر أن الأخمينيين قد اتبعوا السياسة الكلدانية من العصر السابق في إدارة المنطقة، ولا نعرف إن كان حاكم أرض البحر من المنطقة نفسها، وربما كان الحاكم فارسيا ونائبه من سكان المنطقة^(٢). كما تم في عهد هذا الملك الفارسي الاندفاع بالتوسعات العسكرية نحو الغرب إلى مدى أوسع مما وصل إليه أبوه (قوروش)، فاحتل مصر وتوغل في النوبة والحبشة (أثيوبيا)^(٣).

أما في عهد الملك داريوس الأول (٥٢١ - ٤٨٥ ق.م) الذي خلف قمبيز على الحكم، وإمعانا في سيطرته على مصر أمر بحفر قناة من البحر الأحمر إلى نهر النيل، بهدف ربط فارس بمصر عبر طريق بحري مباشر، عبر الدوران حول إقليم شبه الجزيرة العربية، وقد عثر على مجموعة اللوحات التذكارية التي تخلد حفر هذه القناة منها اللوحة التذكارية التي عثر عليها في شادوف إلى الجنوب من البحيرات المرة: وقد كتب عليها «أنا دايوس الفارسي مع قوات فارس، غزت مصر وأمريت بحفر قناة تمتد من النيل وتجري بمصر حتى البحر، وتخرج من فارس، وحُفرت القناة، كما أمريت وأبحرت السفن إلى فارس طبقا لما أريد»^(٤). كما عثر على لوحة أخرى أفضل حالا من سابقتها عثر عليها في تل المسخوطة، تؤكد اللوحة السابقة، وهي مكتوبة باللغة الهيروغليفية، وقد جاء فيها: «أصبح الآن بالإمكان للسفن أن تبحر مباشرة من النيل إلى بلاد فارس عن طريق بلاد سبأ»^(٥)، بمعنى أن هذا الطريق البحري الذي ينتهي في بلاد فارس كان يمر حكما في الخليج العربي، ما نشط الحركة التجارية والملاحية فيه^(٦). كما يُذكر عن هذا الملك أنه

(١) فرح، أبو اليسر (٢٠٠٢م)، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، عين للدراسات، القاهرة، ص ٣٦.

(٢) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٠٩.

(٣) فرزات، محمد حرب (٢٠٠٥م)، مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة، منشورات جامعة دمشق، سورية، دمشق، ص ٨٤.

(٤) داجنت، روجيه جوانت (٢٠١٣م)، تاريخ البحر الأحمر من موسى حتى بونابرت، ترجمة حسن نصر الدين، مراجعة محمد عفيفي،

المركز القومي للترجمة، مصر، القاهرة، ص ١٣٠.

(٥) الناصري، سيد أحمد علي (١٩٧٩م)، الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، ص ٤٠٥.

(٦) داجنت، روجيه جوانت (٢٠١٣م)، تاريخ البحر الأحمر، ص ١٣١.

تمكن من السيطرة على جميع آسيا، ولكن العرب كانوا مستثنين من تقديم فروض الطاعة المذلة، لعلاقتهم الطيبة به، ولمساعدتهم الفرس على احتلال مصر، ولمعرفتهم بالمسالك الصحراوية المؤدية إلى النيل، مقابل وعود تم تبادلها بين الطرفين^(١). وقد جاء عند هيرودوت: «وهكذا أصبح داريوس بن هيستاسبس Hystaspes ملكاً، وخضعت له كل أراضي آسيا التي احتلها قورش في البدء ومن بعده قمييز إلا العرب؛ فهؤلاء لم يخضعوا له خضوع العبيد للفرس، بل كانوا يرتبطون بهم ب صداقة؛ لأنهم ساعدوا قمييز على الوصول لمصر التي ما كان الأخمينيون ليدخلوها من دون موافقة العرب^(٢)».

ورغم علاقة داريوس الطيبة مع العرب إلا أنه احتفظ بأسطول دائم في مياه الخليج العربي، كما أسس ميناء أجينيس Aginis على رأس الخليج والذي عرف باسم أمبي Ampe أيضاً^(٣). وفي كتابات هذا الملك يظهر أن اللفظة (بلاد العرب) كانت تشمل أيضاً بلاد أرض البحر في عهده، أو أن اللفظتين (بلاد العرب وبلاد أرض البحر) كانتا مترادفتين خلال فترة حكمه. وكما تقدم قام هذا الملك بإسكان جماعات من أسرى اليونان في ميناء أجينيس Aginis، بهدف استثمار خبراتهم الملاحية في الأسطول الفارسي. كما قام داريوس بإنفاذ رحلة الملاح اليوناني سكيلاكس (التي تقدمت الإشارة إليها) للإبحار من مصبات السند والطواف حول الجزيرة العربية. وإن كان ما أدعى به داريوس في كتابات برسوبوليس Persopolis؛ بأنه سيطر على الخليج العربي، وصفا غير دقيق: «هذا الجانب من النهر المر وذلك الجانب من النهر المر»^(٤)، إلا أن ذلك يظهر بجلاء طموحات هذا الملك الأخميني في السيطرة على كامل الخليج العربي سياسياً، والهيمنة على طرق التجارة فيه، ولكن الثورات التي قامت في وجهه حالت دون تحقيق أطماعه. ضف إلى ذلك رفض العناصر السكانية في الجزيرة العربية للحكم الأجنبي، ورغبتهم في الاستقلال، ما كان سبباً في فشل مشروع داريوس الاستعماري^(٥).

هذا فيما يخص الجزء الشمالي من الخليج العربي أما في الجزء الجنوبي منه، فقد أشارت النقوش الأخمينية إلى وجود علاقة بين الأخمينيين وبلاد (كادي)، ولا شك أن كادي البلد الوارد ذكرها في النقوش

(١) العتيبي، نوره صالح محمد (٢٠١٨م)، علاقة الجزيرة العربية بالدولة الأخمينية والدولة الفرثية، مجلة تاريخ العلوم، العدد الحادي عشر، الصادرة عن جامعة الملك سعود، السعودية، الرياض، ص ١٧.

(٢) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٣، الفصل ٨٨، الفقرة ١.

(٣) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي، ص ١.

(٤) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٥) العتيبي، نوره صالح محمد (٢٠١٨م)، علاقة الجزيرة العربية، ص ١٨.

الآشورية سواء أكان ذلك في (لوح عشتار) أم في نقش (آشور بانيبال) مع ذكر أن عاصمتها أركي، هو ذاته البلد الذي تذكره نقوش داريوس الأول، حيث يرد ذكره في نقشين هما؛ نقش رستم ونقش سوسا Susa؛ في نقشين يرد اسم البلاد بصيغة (ماكا) الفارسية القديمة، بقصد ماجان بعد تحريف الاسم؛ أي عمان القديمة. وقد ثبت وجود قوم يعرفون بماكا أو مسية mač في فارس الجنوبية وشمال عمان معاً، وتكرر ذكر (مكا) الفارسية القديمة في ستة نصوص من نصوص تحصينات (برسيبوليس) العائدة للملك داريوس الأول وجميعها توحى بأن (ماكا) كانت ولاية تابعة للدولة الأخمينية. كما كثر تكرار الإشارة إلى اسم (ماكا) في عهد أحشويرش الأول (٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م) وداريوس الثاني (٤٢٤ - ٤٠٥ ق.م) وأرتخششتا الثاني (٤٠٥ - ٣٥٩ ق.م) وداريوس الثالث (٣٣٦ - ٣٣١ ق.م)، تلك المعطيات مجتمعة تشير إلى أن المقصود بماكا (شمال عمان) الجزء الخاضع للنفوذ الفارسي؛ إلا أن ذلك الوجود لم يتعد الشريط الساحلي، حيث ظلت المنطقة الداخلية مستقلة دوماً عن النفوذ الفارسي^(١).

ولا شك أن الجهود الفارسية في السيطرة على الخليج العربي قد أسهمت في عرقلة التجارة والملاحة العربية فيه، هذا ناهيك أن الإمبراطورية الأخمينية كانت إمبراطورية برية بالدرجة الأولى، وسيطرتها على مساحات برية واسعة ممتدة من الهند شرقاً إلى مصر والبحر المتوسط غرباً؛ ما أسهمت في ازدهار الطرق البرية التجارية، ولاسيما طريق الحرير، وهو الطريق الذي يمتد من الصين شرقاً إلى آسيا الصغرى غرباً، ما أسهم في المقابل تراجع دور وأهمية الطرق البحرية^(٢). لا بل إن الأمر لم يتوقف عند ذلك الحد، إذ يحدثنا سترابون عن عرقلة الفرس للملاحة حتى في نهري دجلة والفرات حيث يقول: «يذكر بوليكليتوس Polycleitus أن باللوكوپاس Pallacopas ويولايوس Eulaios تصب جميعاً في بحيرة ثم تصب بعد ذلك في البحر. وفي جوار البحيرة سوق؛ لأن الأنهار لا تستقبل البضائع من البحر، ولا هي ترسلها إليه، ويرجع السبب في ذلك إلى الحواجز المقامة عن عمد. ولهذا فإن التجار ينقلونها برا^(٣)». ونجده في موضع ثاني يتحدث قائلاً: «كذلك فإن المنطقة تروى من أنهار كثيرة، ولكن أكبر هذه الأنهار هما نهرا دجلة والفرات، وإن النهرين صالحين للملاحة صعوداً مع مجريهما، نهر دجلة صالح للملاحة حتى أوبيس [قرب بغداد اليوم] وسلوقية المعاصرة، والفرات حتى بابل، على مسافة تزيد على ثلاثة آلاف إستانديون،

(١) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي، ص ١-٣.

(٢) غلاب، محمد السيد (١٩٧٩م)، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، ص ١٩٧. وانظر: الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي،

ص ٢.

(٣) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٥، الفصل ٣، الفقرة ٤.

ولكن خوف الفرس من الاعتداءات الخارجية، ورغبتهم في إعاقة الملاحة صعودا في هذين النهرين دفعهما إلى بناء شلالات صناعية هناك [يوضع الصخور في مجرى النهر]، ولما جاء الإسكندر عمل على إزالة تلك الشلالات حيث كان ذلك ممكنا، خاصة على الطريق إلى أوبيس^(١)، حيث تعد منطقة أوبيس مركزا تجاريا لمنطقة الضواحي.

وكان أريائوس قد سبق سترابون إلى الحديث عن هذا الموضوع عندما قال: «واصل إبحاره إلى أوبيس وهي مدينة مأهولة بالسكان وتطل على دجلة. وفي أثناء رحلته أعلى النهر هدم الإسكندر الحواجز المقامة على النهر، وبهذه الكيفية جعل منسوب المياه متساويا. وكان الفرس قد أقاموا هذه الحواجز حتى يحولوا دون أن يبحر أحد من البحر صاعدا النهر لكي يسيطر على الإقليم بأسطول بحري. وقد لجأ الفرس إلى هذه الوسائل لأنهم لم يكونوا قوة بحرية وهكذا فإن الحواجز المقامة بعضها بجوار بعض كانت تجعل الإبحار في أعلى النهر أمرا مستحيلا. ولكن الإسكندر قال: إن هذه الوسائل غير ملائمة لرجال يحكمون بقوة السلاح، وأنها بالتأكيد لن تزوده بمثل هذه الحماية التي أوضح بعمله أنها ليست جديرة بالاسم، وهدم المنشآت الفارسية من دون صعوبة^(٢)».

وبالإضافة لجهود الفرس في عرقلة الملاحة في الخليج العربي، كان يعاني هذا الخليج من منافسة البحر الأحمر له كطريق للتجارة، إذ إن المصريين والفينيقيين اهتموا بتجارة البحر الأحمر كطريق من طرق التجارة مع الجزيرة العربية، وقد نشط الأنباط في نقل تجارة الحجاز واليمن. وهكذا تراجعت أهمية الخليج العربي كطريق مائي مهم خلال الفترة التي سبقت غزو الإسكندر المقدوني للمنطقة، وتراجع دوره كشريان تجاري يربط الهند بغرب المتوسط^(٣). لكن ما حافظ على انتعاش الحالة الاقتصادية في الخليج العربي هو أن الثروة السمكية فيه، وفي نهري دجلة والفرات كانت وفيرة، بحيث كان من الممكن تصدير الفائض منها بعد تملّحه وتقده^(٤).

(١) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ١، الفقرة ٩.

(٢) أريائوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٧، الفصل ٧، الفقرة ٧.

(٣) النعيمات، سلامة (٢٠٠٠م)، تجارة اللبان والبخور، ص ٣٠٤. وانظر: غلاب، محمد السيد (١٩٧٩م)، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، ص ١٩٧.

(٤) شاشة، إيمان وبالنور، عبد الحق (٢٠١٩م)، الملك داره وبوره في بناء قواعد التجارة الأخمينية (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م)، رسالة معدة لنيل

درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي، الجزائر، ص ٤٥.

الفصل الثاني

الإسكندر المقدوني ومشاريع غزو الخليج العربي

أولاً: بدايات تعرف الإسكندر على العرب:

لقد كانت منتجات العرب سببا في التعرف عليهم، وكانت أول منطقة إغريقية وصل لها اللبان من الجزيرة العربية هي قبرص، حيث كان يحرق في معبد أفروديتي (عشتار) ربة الحب والجمال عند الإغريق. وشاعت عادة احراق اللبان والبخور خلال الطقوس الدينية في العصر الهيليني، كنوع من خدمة الآلهة وعبادتها، وقد استمرت هذه العادة سارية في عهد الإسكندر المقدوني^(١)، ولا شك أنه كان معلوما أن هذا البخور مصدره بلاد العرب، وأن هذه البلاد تقع في أقصى المعمورة، استنادا إلى ما كتبه هيرودوت (وتمت الإشارة له فيما سبق)، وهكذا كان مصطلح بلاد العرب لا يزال غامضا بعض الشيء حتى عصر الإسكندر. وإن مطالعة سيرة الإسكندر في كتاب (تاريخ فلاسفة وأباطرة الإغريق)؛ يدفع في هذا السياق، إذ يقول بلوتارخ: «إن ليونيداس كان يقف قريبا من الإسكندر في أثناء قيامه بالتضحية ذات مرة فأراه يتناول ملء كفيه من البخور ويقذف بها إلى النار فقال له عليك أن تكون أشد حرصا في تقدماتك وأن لا تكون كثير البذل إلى أن تغدو سيد تلك البلاد التي ترد منها هذه التوابل واللبان الزاكي الرائحة»^(٢).

لا شك أن هذا الخبر من وحي مخيلة الكتاب الكلاسيكيين؛ لأن به جانبا من السذاجة والشعوذة، فالإسكندر قد يحرق البخور للآلهة، وهذا ليس مستبعدا، وقد يبالغ في إحراقها، وهذا ليس مستبعدا أيضا، لكن ليس من المعقول أن مربيه ليونيداس، كان عنده حدس أن بوسع هذا الفتى أن يصل بجيوشه إلى أقصى المعمورة في الجنوب. لا بل إن الإسكندر نفسه في أوج قوته -بعد أن سيطر على الإمبراطورية الأخمينية- لم يكن يخطط لأكثر من حملة تأديبية على أراضي الإمبراطورية الفارسية، كغرض دعائي بعد أن تزعم الحلف الكورنثي، الذي تشكل أساسا للثأر من الفرس، أما البلاد العربية التي تنتج البخور لم تكن ضمن طموحاته، ولا حتى في الخيال، والإسكندر الذي زحف بقواته إلى آسيا الصغرى في ربيع سنة ٣٣٤ ق.م؛ لم يكن يفكر بأكثر من إبعاد جيوش الملك الفارسي عن تراقيا والمضائق، لا بل إنه لم يكن يستطيع أن يعين بدقة، عند بدء حملته، برنامج هذه الحملة^(٣)، وما يؤيد تلك الحقيقة هو تطور خطاب الإسكندر وسقف طموحاته فعندما كان الإسكندر لا يزال في آسيا الصغرى كان يتظاهر بأنه المدافع عن السلام والنظام والحامي له، بينما في مراسلاته مع داريوس بعد معركة أيسوس Issos، في شهر تشرين الثاني سنة ٣٣٣ ق.م، كان يتصرف

(١) النعيمات، سلامة (٢٠٠٠م)، تجارة اللبان والبخور، ص ٣١٢.

(٢) بلوتارخ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ج ٣، ترجمة جرجس فتح الله، الدار العربية للموسوعات، لبنان، بيروت، ص ١٢٧٨.

(٣) زهيراتي، متوديوس (١٩٩٩م)، الإسكندر الأكبر وفتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سورية، دمشق، ص ٧٢.

تصرف المنافس له على عرش الأخمينيين^(١)، وهكذا تبدلت طموحات القائد الذي كان ينوي شن حملة تأديبية، إلى أن أعلن عزمه في أواخر سنة ٣٣٣ ق.م أنه سيحتفظ بالمقاطعات التي اكتسبها، وأنه يملك آسيا كلها بحق الغلبة والسيف، وأنه حل في مكان دارا الذي كسره مرتين^(٢).

وهذا الخبر الذي أورده بلوتارخ وغيره من المؤرخين الكلاسيكيين المتأخرين، على فرض صحته؛ فإن المقصود ببلاد العرب هو بلاد العرب المعروفة في ذلك الوقت؛ من خلال ما أتت به المصادر الكلاسيكية؛ بأن بلاد العرب تتألف من شرق مصر (شرق النيل) حتى شرق الدلتا، بالإضافة إلى سيناء كلها، والنقب، وصولاً إلى ساحل البحر المتوسط؛ أي المنطقة الممتدة على طول ساحل سيناء من بين بحيرة سيربونيس Serbonis حتى كادييتيس Cadytis / غزة. وكان على هذا الساحل؛ امتداد قصير محصور بين غزة وينيسوس Ienysus (خان يونس)، كانت توجد فيه الموانئ التجارية التي تتبع العرب^(٣).

وما يؤكد تلك الحقيقة -أن بلاد العرب في ذهن الإسكندر حتى ذلك الوقت، أي وقت اقتحام غزة، كان المقصود بها تلك المنطقة التي حددتها المصادر الكلاسيكية- هو تنمة الرواية التي دونها بلوتارخ في سيرة الاسكندر المقدوني عن بخور غزة، فبعد أن تمكن الإسكندر من احتلال غزة قام «ببعث جزء كبير إلى أصدقائه دون استثناء ومنهم ليونيداس معلمه، الذي نال ما وزنه خمسمئة تالنت من البخور، وما وزنه مئة تالنت من المرّ، تذكيراً له بالآمال التي عقدها عليه، عندما كان الإسكندر لا يزال صبياً ... وكتب يقول له: لقد بعثنا إليك الكثير من المرّ والبخور حتى لا تكون في المستقبل بخيلاً على الآلهة»^(٤).

كما إن أريائثوس يؤكد ذلك المفهوم المكاني لبلاد العرب عندما يبرر أسباب استسلام مازاكيس Mazaces والي مصر الفارسي «الذي علم بكيفية سير المعركة في إيسوس، وباداريوس كيف فرّ فراراً مشيناً، وكيف أن فينيقيا وسوريا والجزء الأكبر من بلاد العرب أصبحت جميعها في قبضة الإسكندر»^(٥). إذا جعل أريائثوس من منطقة غزة الجزء الأكبر من بلاد العرب، وكل ما تقدم يؤكد عن قصور إدراك الإسكندر والكتاب الكلاسيكيين بماهية بلاد العرب. وربما أن سبب اعتقاد الكتاب الكلاسيكيين بأن غزة وما

(١) فيزهوفر، يزف (٢٠٠٩م)، فارس القديمة ٥٥٠ ق.م - ٦٥٠م، (التاريخ، الحضارة، العبادات، الإدارة، المجتمع، الاقتصاد، الجيش)، ترجمة: محمد جديد، مراجعة: زياد منى، شركة قدمس للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ص ١٣٦.

(٢) زهيراتي، متوديوس (١٩٩٩م)، الإسكندر الأكبر، ص ٧٢.

(٣) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١١٦، ١١٧. وانظر: هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٣، الفصل ٥، الفقرة ٣-١.

(٤) بلوتارخ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ج ٣، ص ١٢٧٨.

(٥) أريائثوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٣، الفصل ١، الفقرة ٢.

تشرف عليه من صحراء سيناء والنقب هو الجزء الأكبر من بلاد العرب، بحكم أن غزة هي الميناء العربي الوحيد على ساحل المتوسط، ويؤكد كل من الدكتور عبد العظيم والدكتورة فاطمة تلك الحقيقة بأن ميناء غزة كان المركز الرئيسي للتجار العرب على البحر المتوسط، فإليه تنتهي التجارة العربية، ومنه يتسوق التجار العرب البضائع التي ترد إليه من موانئ هذا البحر. ولما تم اقتحام المدينة من قبل قوات الإسكندر بعد ذلك الحصار الشاق، وجد اليونان فيها مقادير كبيرة من المر واللبن وحاصلات جنوب الجزيرة العربية، فاستولوا عليها، فخسر التجار العرب بذلك خسارة فادحة^(١).

إن بدايات معرفة الإسكندر الحقيقية بالعرب؛ كانت مع أول صدام له معهم، في سلسلة جبال لبنان الشرقية، في أثناء حصار صور، فبينما كان معظم الجيش أمام صور، قام الإسكندر بشن حرب خاطفة على العرب الساكنين في جبال لبنان الشرقي، وقد تعرضت حياته في أثناء الهجوم عليهم لخطر أكيد، عندما قام بإنقاذ معلمه ليسيماخوس الذي أصر على مرافقة تلميذه الإسكندر. عموماً إن القصة عند بلوتارخ أشبه ما تكون بالأسطورة فهو يحدثنا قائلاً: «بعدما الإسكندر تطرف عن رفاهة في المؤخرة، بسبب أنه كان يبت روح الحماسة في المتعبين والمسنين منهم فوجد نفسه بعيداً عن بقية القطعات مع عدد قليل من الأتباع، وأضطر إلى قضاء ليلة شديدة البرد والعملة وفي وضع غير مريح مطلقاً، وعندما شاهد وهو على هذا الحال نيراناً عديدة كبيرة للعدو منتشرة في رقعة واسعة من الأرض، وضع ثقته في خفة حركة مستهدفاً زرع الثقة في جنوده، واتجه رأساً إلى أقرب نار وأردى بخنجره اثنين من العرب كان يجالسان يصطليان حولها واختطف مشعلاً ملتهباً وعاد به إلى رجاله، فأوقد به ناراً عظيمة أوقعت الرعب في قلب العدو؛ فهرب معظمهم، أما الذين ثبتوا للقتال فقد هزموا^(٢)».

فما هي الأسباب التي دفعت الإسكندر لمهاجمة هؤلاء العرب في أثناء حصاره لصور؟ كان الإسكندر قد رأى أن يبني جسراً إلى صور البحرية (جزيرة صور)، وكان بحاجة لخشب الأشجار حتى يبني الرصيف، ويرفع سوانر للجنود الذين كانوا يقومون بذلك العمل، وبالتالي أرسل فرقة من جنوده إلى جبل لبنان لتقطع منه أشجار الأرز، التي اشتهر بها منذ زمن سحيق، ويبدو أن الصوريين قد بعثوا للقبائل العربية التي كانت تقطن في البقاع وتعمل في الزراعة لعرقلة عمل الإسكندر، وربما أن هذه القبائل كانت ممتعة من

(١) عبد العظيم، عبد العظيم أحمد (٢٠١٥م)، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان، ص ١١. وانظر: موسى، فاطمة صلاح

الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١١٩.

(٢) بلوتارخ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ج ٣، ص ١٢٧٧.

الإسكندر، لأنه أتى لقطع هذه الأشجار كما لو أنها ملكه^(١). فما كان من المزارعين العرب arabum agrestes إلا أن هاجموا المقدونيين، مما أسفر عن مقتل ثلاثين منهم وأسر الباقين. لقد استفز ذلك العمل الإسكندر، ودفعه لأن يترك عمليات الحصار في يد اثنين من قادة جيشه وهما برديكاس Perdikkas وكراتروس Craterus، وقاد بنفسه على الفور قوة من الفرسان، والقوات المسلحة الخفيفة، والرماة، وسار نحو بلاد العرب إلى جبل يسمى جبل لبنان الشرقي. واستولى على بعض المناطق الموجودة فيه بالقوة، بينما خضع له بعضهم الآخر طواعية، وعاد في غضون عشرة أيام إلى صيدا ليستعين بأسطولها على أخذ صور^(٢)، ويتحدث أريثانوس عن تلك الحملة، فيقول: «أصبح معه فرقة الفرسان المجودة وحرسه الشخصي من حملة الدروع، والأجريانيين، وحملة السهام، وقام بحملة على بلاد العرب على الجبل المعروف باسم أنتيليبانوس Antilibanus واستولى على بعض المناطق الموجودة هناك بالقوة، في حين خضع له بعضها طواعية، وفي عشرة أيام عاد إلى صيدون^(٣)».



صورة رقم (٣): صورة تخيلية للإسكندر عندما أتى بالمشعل

ويشير الدكتور جواد علي إلى أن هؤلاء الأعراب الذين تصدوا للإسكندر في لبنان ربما هم الإيطوريون/اليطوريين Ituraea؛ وهم عرب لبنان القدماء، الذين كونوا لأنفسهم إمارة أو مملكة في البقاع،

(١) Abbott, J., (2018) **Alexander the Great**, Reproduced by Sani H. Panhwar., p.65.

(٢) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، **تطور الوعي اليوناني**، ص ١٢٣.

(٣) أريثانوس، **حملات الإسكندر**، الكتاب ٢، الفصل ٢٠، الفقرة ٤-٥. ترجمة: السيد جاد، تعليق حمد بن محمد بن صراي، إشراف وتحرير د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٣)، السعودية، الرياض، دار الملك عبد العزيز.

وكان حكامها رجال دين؛ أي أن الحاكم عندهم يكونون كهانًا وملكًا في آن واحد، وقد عرفنا منهم رجال اسمه Mennaios وهو اسم قريب من الأسماء العربية، ربما أنه (معن)، وربما أنهم ارتحلوا من شرق الأردن شمالًا مرورًا بسهل حوران حتى استقروا في البقاع في لبنان^(١).

أما حادث الصدام الثاني والأعنف، الذي حدث بين الإسكندر والعرب، فقد كان في مدينة غزة، التي كانت الميناء العربي الأهم لتجارته على ساحل المتوسط (كما سلف الحديث)، وربما الوحيد في ظل سيطرة الفينيقيين على باقي موانئ بلاد الشام، «وكانت [غزة] واحدة من أكبر مدن سورية» كما وصفها بلوتارخ^(٢). «وكان الإسكندر قد قرر أن يقوم بحملة على مصر، وكانت جميع أرجاء فلسطين المعروفة بالسورية الفلسطينية قد أصبحت خاضعة له في ذلك الوقت. لكن باتس Batis حاكم غزة لم يعلن بعد خضوعه للإسكندر، بل ضم إلى صفوف قواته مجموعة من القوات العربية، وجهز قدرًا من المؤن يكفي لحصار طويل الأمد ثقة منه أنه لا يمكن للإسكندر الاستلاء على البلدة بالقوة، وقرر ألا تستقبله داخلها أبدًا^(٣)».

وقد اختلف الباحثون في جنسيته فمنهم من قال إنه فارسي، ومنهم من قال إنه عربي واسمه باطش، لكن حور اسمه عند نقله إلى اليونانية، وكان باطش يعتمد على جيش من العرب، ربما من التجار الأنباط الذين يقيمون في المدينة، وعندما وصل الإسكندر إلى أسوار غزة وضرب عليها الحصار في صيف ٣٣٢ ق.م، أبدت المدينة مقاومة ضارية في الدفاع عن نفسها، واستمر الحصار شهرين دارت خلاله معارك شديدة جرح الإسكندر في إحداها بسهم في كتفه، وبجرح خفيف من خنجر عربي كان يتظاهر بالاستسلام، وبعد مقاومة عنيفة استسلمت المدينة له ووقع حاكمها العربي في قبضته أسيرًا، فما كان من الإسكندر إمعانًا منه في التشدد في عقاب باتس إلا أن ثقب قدميه وسحله في شوارع المدينة، تمامًا كما فعل أخيل Achilles عندما سحب جثة هيكتور Hector بعريته. لا شك أن المقاومة العنيفة التي أبدتها غزة ضد الإسكندر تعود إلى أنها المدينة العربية الوحيدة التي كان يملكها تجار الجزيرة العربية على ساحل المتوسط، وبالتالي لم يكن العرب مستعدين لخسارة مينائهم التجاري الوحيد على هذا الساحل^(٤).

(١) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٤٤٤.

(٢) بلوتارخ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ج ٣، ص ١٢٧٨.

(٣) أرتيائوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٢، الفصل ٢٥، الفقرة ٤.

(٤) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٢٩.

وبعد أن هزم الإسكندر العرب مرتين، كان ينتظر خضوعهم الطوعي، إلا أن العرب اتبعوا سياسة المقاومة السلبية، فبعد سقوط غزة لم يحبذ العرب فكرة إرسال وفد لاسترضاء الإسكندر لجملة من الأسباب، **أولها:** تقتهم بمناعة صحرائهم، وألا طاقة للإسكندر ولا غيره بخوض فيافيها الشاسعة، **ثانيا:** هو امتعاضهم من تصرفات الإسكندر الحمقاء في تدمير غزة وتمثيله بجثة حاكمها، **ثالثا:** لم تكن الإمبراطورية الفارسية قد سقطت بعد، **رابعا:** كان معظم سكان الجزيرة العربية تجارا ولم يجدوا في تصرفات الإسكندر إلا تدميرا منظما لتجارتهم، حيث بدأ بهدم صور وغزة، وقام بتحويل نشاط هاتين المدينتين التجاريتين إلى مدينة الإسكندرية التي بناها على الساحل المصري قرب مصب النيل؛ ليجعلها مخزنا لتجارة الشرق، وإنشاء إقليم هيرونوليس الإداري المطل على خليجي العقبة والسويس. وقد شعرت القبائل العربية الكبرى كقبيلة قيدار Qedar (جنوب فلسطين) وغيرها بمضاعفات الغزو المقدوني على الجزيرة العربية؛ حيث تأثرت مصالحها بهذا الغزو بعد أن اضطرب طريق تجارة القوافل ذو الدخل الكبير، نتيجة أعمال الاسكندر العسكرية في المنطقة، وتهديد تجارة معين ومستوطنيها في شمال إقليم الحجاز. ومن المؤكد أن هذه الإجراءات التي اتخذها الإسكندر قد أفهمت العرب أنهم في طريقهم لفقدان تجارة غرب آسيا كلها وانتقال التجارة العالمية من أيديهم إلى أيدي الإغريق والمقدونيين^(١)، وقد رأى الإسكندر أن يؤجل صدامه مع العرب حتى ينهي أمر داريوس.

إذا لم يتابع الإسكندر زحفه باتجاه بلاد العرب، بل كان عليه أن يواجه داريوس في معركة جديدة بعدما رفض كل العروض التي عرضها داريوس للصلح، وفي شهر هيكاتومبيون Hecatombaion (تموز-آب) من سنة ٣٣١ ق.م لحق الإسكندر بقائده بارمينيون الذي كان يربط على ضفة الفرات الغربية، وعندما وصل الإسكندر إلى تابساكوس Thapsacus (قرب مدينة الرقة السورية، ربما الطبقة) وجد عندها جسرين محمولين على القوارب، قائمين على النهر، وكان مازايوس Mazaeus يقوم بحراسة هذين الجسرين بأمر من الملك داريوس، مع ثلاثة آلاف فارس، منهم ألفان من المرتزقة الإغريق، لكن ما أن وصل الإسكندر إلى هناك حتى أطلق هذا القائد الفارسي ساقيه للريح هاربا^(٢). وهكذا عبر الإسكندر نهر الفرات ثم نهر دجلة دون مقاومة، متجها صوب قرية صغيرة في شمال العراق تدعى جاجملا Gaugamela على بعد ٥٠ كم شمال مدينة أربيل، حيث كان داريوس قد عسكر على مقربة منها^(٣).

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، المرجع نفسه، ص ٣٠.

(٢) جميل فؤاد (١٩٦٥م)، أرياثوس يدون أيام الإسكندر الكبير في العراق، مجلة سومر، مج ١ و ٢، ج ١ و ٢، العراق، بغداد، ص ٢٦٧.

(٣) سارة، خليل (٢٠٠٩م)، تاريخ الوطن العربي القديم في العصور الكلاسيكية، سورية، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ص ٧١.

لقد دارت بينهما معركة حامية الوطيس حسمها الإسكندر لصالحه، وتقهقر داريوس شرقاً، وعلى إثر هذه المعركة ضم الإسكندر بلاد الرافدين سلماً بعد استسلام واليها الفارسي وصار الإسكندر ملكاً على بابل Šar Babilli وملكاً على البلاد كلها طبقاً للمفهوم البابلي وعبدة الإله مردوك، وليؤكد شرعيته كحاكم في نظر شعوب الشرق القديم^(١). ولا نعلم إن كانت القبائل العربية في العراق قد قدمت فروض الطاعة للإسكندر، حيث كان هناك عدد من القبائل التي نزلت في غرب بابل، وقد أطلق عليها سترابون اسم «العرب الإسكينائي Skenitai»^(٢) والتي ترجمها المختصون بـ «سكان الخيام»، وسترابون يكتفي بهذه الإشارة لهم، دون أن يحدد موقفهم السياسي من الإسكندر. وإن كان الظاهر أن الإسكندر لم يكن يرغب في مواجهتهم فداريوس لا زال على قيد الحياة ولا بد من تعقبه هذا أولاً، أما الأمر الثاني هو أنه لم يكتثر بهم؛ بحكم أنه سيطر على العاصمة بابل، ونال الشرعية من كهنتها، واستسلم واليها له، ووضع يده على كنوزها. ويبدو أن بابل قد فتحت أبوابها للإسكندر، لأن البابليين كانوا مستائين من الحكم الفارس لبلادهم، وعانوا منه لسنوات، فكان أي تغيير لهذا الحكم، أمراً إيجابياً بالنسبة لهم، من أية جهة كانت، وأنه سيكون أفضل من الحكم الفارسي لهم^(٣). كما أن هذه القبائل لم تكتثر بالإسكندر، الذي لم تطل إقامته في بابل أكثر من ٤ أسابيع.

ويؤكد الدكتور إبراهيم جندي أن كل عرب بلاد الرافدين والتخوم لم يقدموا فروض الطاعة والولاء للإسكندر، فقد كان هناك قبائل وعشائر تعيش حياة البداوة وتحارب على الجبال، وأن السلطة المقدونية النافذة لم تتعد في وجودها مدينة بابل الحاضرة والمقر لكل من الوالي والقائد العسكري، وما يجاورها فقط، بينما كانت السيطرة اسمية على المناطق البعيدة، والسبب الرئيسي في ذلك إهمال نظام الري في منطقة بلاد الرافدين في الفترة الأخيرة من عصر الدولة الأخمينية، وطوال فترة خضوعها للإسكندر وحتى عودته إلى بابل بعد غزوه لجانب من الهند. فقد كان من الصعب الاتصال بالمناطق الجنوبية المتاخمة للجزيرة العربية بسبب كثرة المستنقعات فيها، وعدم تصريف المياه، وتصحر مناطق أخرى كانت خضراء لعدم وصول المياه إليها، ولذا فقد تم هجرها هجراً نهائياً، مما أدى إلى صعوبة السيطرة على العرب وقبائلهم المقيمين فيها^(٤).

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٣١.

(٢) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ١، الفقرة ٨.

(٣) الحفصي، محمد الأسعد (٢٠٠٣م)، الغزو اليوناني لبلاد الرافدين ٣٣١-١٢٦ ق.م. رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، العراق، جامعة الموصل، ص ٤٨.

(٤) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٣٢.

ويصف لنا سترابون المنطقة، فيقول: «تبدأ العربية من جهة بابل من ميسان، وعلى أحد جوانب ميسان تقع الصحراء العربية، وتقع على جانبها الآخر المستنقعات التي تقع قبالة منطقة الكلدانيين، وهي المستنقعات التي تشكلها فيضانات مياه نهر الفرات، ويقع الخليج العربي على جانبها الثالث، وهواء هذه البلاد فاسد وغير صحي، ويغطيها ضباب دائم، وتهطل فيها أمطار غزيرة، لكن القيص يلفحها في الوقت نفسه، بيد أنها مع ذلك تنتج غلالا رائعة، فدايات العنب تنمو هناك في المستنقعات، إذا فرشت في أقفاص مجدولة من القصب كمية كافية من التراب. ولذلك ليس نادرا أن يسحب الماء الدالية، فيعمدون عندئذ إلى تحميلها على أوتاد لتعود ثانية إلى مكانها^(١)».

والأهم من عرب العراق وفلسطين كان عرب اليمن، أصحاب الدولة المنظمة والإرث الحضاري التليد في سبأ، فلم يكن العرب كلهم من البدو الرحل، بل إن جزءا كبيرا منهم وبخاصة في اليمن وفي بعض جهات الحجاز ونجد يسكنون القرى، وكانوا يشيرون المعابد والقصور وسدود المياه، وكانوا على درجة كبيرة من الحضارة والتقدم المعماري^(٢). وقد رفض أهل سبأ تقديم فروض الطاعة أو الإذعان للإسكندر، بل تحدوه، ما جعله يثور ويغضب ويتوعدهم بالغزو حين يحين الوقت^(٣). إن رفض عرب اليمن لتقديم تلك الفروض؛ كان إيمانا منهم أنهم سيخسرون استقلالهم وحريتهم إذا ما أرسلوا وفودا للإذعان وإعلان الولاء. ثم إن عرب اليمن كانوا يدركون أن الإسكندر لا يزال بعيدا عنهم، والذين عرفوا الإسكندر منهم كانوا مدركين أنه ليس لدى قواته القدرة العسكرية والتدريب المناسب لمهاجمتهم، فقواته بحاجة إلى التدريب على عبور الصحراء وحربها، ومواجهة المقاتلين العرب راكبي الجمال، التي تجفل الخيول من رؤيتها ورائحتها، كما رأى العرب أن الإسكندر لم يعمل على إقامة أي نقاط ارتكاز عسكرية حقيقية متقدمة على أطراف بلادهم ليستند إليها في حال قرر الهجوم عليهم، وإنما اتخذ من إجراءات كان بغرض حماية وتأمين ما أخضعه من المناطق المتاخمة للمناطق العربية فقط، وعلى الرغم من أن الإسكندر توعد العرب في عقر دارهم وفي وطنهم الأم في الجنوب، جزاء لهم على عدم إرسالهم فروض الطاعة له، إلا أن ذلك لم يربعهم^(٤).

(١) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٤، الفقرة ١.

(٢) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١١٨.

(٣) الناصري، سيد أحمد علي (١٩٧٩م)، الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، ص ٤٠٥.

(٤) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٣٧.

ثانياً: عودة أسطول الإسكندر من الهند عبر الخليج العربي:

ما لبث الإسكندر بعد أن وصل إلى نهر السند حتى أعد أسطولاً بقيادة نيارخوس Nearchus أحد كبار قادة جيشه، وبدأ الأسطول سيره نازلاً في نهر Jhelum (الحالي) وهو أحد الروافد العليا لنهر شناب Chenab الذي هو بدوره أحد روافد نهر السند. وبعد صعوبات كبيرة هبط الأسطول نهر السند حتى بلغ مصبه في المحيط الهندي في خليج باتالا Pattala صيف سنة ٣٢٥ ق.م.^(١) ونيارخوس هذا هو ابن أندروتيموس Androtimos من كريت، ولد وفيها ثم ارتحل إلى مقدونيا، ونزل في مدينة أمفبوليس Amphipolis في عهد فيليب الثاني والد الإسكندر، وكان أحد المستشارين الأكبر سناً للإسكندر الشاب، وفي أثناء حكم الإسكندر كلف بمهمات مختلفة أهمها أنه عُيِّنَ والياً على ليكا Lykia وعلى بامفيليا Pamphylia، لكن أهم المهمات التي كلف بها هي قيادة الحملة البحرية والأسطول المقدوني الذي بني في هيداسبس في الهند سنة ٣٢٦ ق.م لاستكشاف الخليج العربي^(٢).

ويقدم لنا أريانوس وصفاً دقيقاً لرحلة الأسطول في نهر السند، حيث يقول: «بعد أن جهز الإسكندر كل ما يحتاج لأجل الرحلة أمر كراتيروس Krateros أن يسير بمحاذاة أحد جانبي نهر هيداسبس مع جيشه البري بمن فيهم من المشاة والفرسان، وكان هيفايستيون Hephaestion قد بدأ مسيرته على الجانب الآخر من النهر مع جيش آخر أكبر من الجيش المصاحب لكراتيروس، وقاد هيفايستيون معه الفيلة التي كان تعدادها يبلغ نحو مئتين. واصطحب الإسكندر معه حرسه الخاص من الجنود المعروفين باسم حملة الدروع، وجميع حاملي السهام، ومن الفرسان المجموعة المعروفة باسم الرفقاء، وكان مجموعهم نحو ثمانية آلاف. وأما الجنود الذين كانوا مع كراتيروس وهيفايستيون فقد أمرهم أن يتقدموا، وأن ينتظروا وصول الأسطول. وأرسل الإسكندر فيليبوس Philippos الذي عينه حاكماً على هذا الإقليم إلى جسر نهر أكسينيس مع جيش كبير. وقد تبعه إلى هناك قوة تعدادها مئة وعشرين ألفاً من المحاربين الذين أحضرهم بنفسه من ساحل البحر، وأيضا القادة الذين أرسلهم لجمع الجنود، وحضروا مع من جنودهم من المقاتلين. وهكذا فإن الإسكندر كان يقود عندئذ كل القبائل الأجنبية الذين كانوا مسلحين بكل أنواع الأسلحة. وكان الإسكندر قد أمر السفن أن تبحر جنوب نهر هيداسبس حتى مكان التقاء نهر أكسينيس مع هيداسبس، وكان مجموع السفن لديه يبلغ ثمانمائة سفينة؛ تجمع بين السفن الحربية

(١) شريف، شريف محمد (١٩٦٩م)، تطور الفكر الجغرافي، ج ١، ص ٢٦٧.

(٢) Thomas, C. G., (2007) Alexander the Great in his World, First published by Blackwell Publishing Ltd., Oxford., p.10.

الطويلة والسفن التجارية البيضوية، وثلاثة لنقل الخيول ورابعة للمؤن وغيرها لنقل الجنود. وأما كيفية إبحار الأسطول جنوب النهر، وكل ما حدث في أثناء الرحلة البحرية، والشعوب التي هزمها الإسكندر في أثناء مسرته فقد عرضتها من قبل في كتابي التاريخي الآخر (حملات الإسكندر) المدون باللهجة الأتيكية. أما كتابي هذا فيحتوي على قصة الرحلة البحرية التي أتمها نيارخوس بنجاح مع أسطوله بعد أن أبحر من مصبات السند عبر المحيط إلى الخليج العربي الذي يسميه بعض الناس البحر الأحمر^(١)».



صورة رقم (٤): منحوت يمثل وجه الإسكندر المقدوني

لم يكن الإسكندر يهدف عندما أمر قائده نيارخوس بالإبحار عبر المحيط، باستخدام الطريق الساحلي المؤدي إلى الخليج العربي، هو نقل جزءاً من جيشه من الهند إلى الخليج العربي بحرًا، بل كان يهدف إلى التعرف على جميع المدن الموجودة على هذا الساحل، أي المناطق مسكونة فيه، وأي المناطق مهجورة فيه، فالإسكندر كان يرغب في تأسيس صلة وصل قوية بين ممتلكاته في فارس ومكتسباته في الهند^(٢)، فلا شك أن للإسكندر أهدافاً اقتصادية كان يريد بها إرساء قواعد التجارة بين أجزاء امبراطوريته عبر الطرق البحرية، لاسيما بين الهند وبلاد الرافدين^(٣). وإنا نجد هذا الرأي عند أريائوس إذ يقول: «إن الإسكندر لم يرسل

(١) أريائوس، كتاب الهند، الفصل ١٩، الفقرة ١-٩.

(٢) Boardman, A. P., (1999) **An analysis of the generalship of Alexander III of Macedon: undermining or underlining greatness?** Durham theses, Durham University., p.42.

(٣) شريف، شريف محمد (١٩٦٩م)، تطور الفكر الجغرافي، ج ١، ص ٢٦٧.

الأسطول لأنه كان من الصعب عليه أن يعود بكل قواته بسلام سيرا على الأقدام؛ وأرسل السفن لذلك الغرض. ولكنه كان يرغب في أن يستكشف بدقة السواحل الموجودة على خط الرحلة والموانئ والجزر الصغيرة، وأي خليج يمرون به، وأي مدن مظلة على الساحل، ومعرفة أي المناطق مثمرة وأي المناطق صحراوية^(١)».

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل كان أسطول الإسكندر على معرفة بالطريق؟ أم أنه كان يسير في المجهول؟ لا شك أن الطريق البحري الواصل بين الخليج العربي والهند معروف منذ القديم، ثم أن الفرس قد سلكوا هذا الطريق في عصر الإمبراطورية الأخمينية، لقد كان هذا الطريق جديدا على الإغريق فقط، ورغم ذلك يشير المنطق إلى أنه من المستحل أن يغامر الإسكندر بجزء كبير من جيشه على متن أسطول بحري في رحلة في المجهول، في وقت كان في أرض غريبة، وبعيدا عن وطنه، لا شك أن الإسكندر أو نيارخوس، أو البعثة الثقافية اليونانية التي رافقت جيش الإسكندر كانت على علم بتفاصيل هذا الطريق، ومصدرهم عن ذلك الطريق هو رحلة سكيلاكس، ذلك اليوناني الذي أبحر من مصبات السند حتى ميناء السويس، ولما كان أرسطو على إطلاع جيد بتفاصيل هذه الرحلة، فإن من الطبيعي أن يكون تلميذه الإسكندر على علم بها، وهذا ما دفع الإسكندر لبناء أسطول وإرسال نيارخوس على رأسه، وإن كان هذا الرأي يبدو صحيحا، فيجب عدم المبالغة في القول إن تقرير سكيلاكس كان بيد نيارخوس^(٢)، بمعنى أن الاسكندر أراد أن يعيد استكشاف هذا الطريق أو ربما دراسته عن كثب، وإلا لماذا أمر الإسكندر نيارخوس برسم خريطة للساحل فيما بين مصب السند ومصب الفرات، ليتم الاسترشاد بها فيما بعد^(٣).

ثانيا ربما أن الإسكندر حصل على معلومات عن هذا الطريق عن طريق اليونان الذين أسكنهم الفرس على ساحل الخليج العربي الشمالي عندما كان في بلاد الرافدين، إذ تشير الدلائل أن هؤلاء الإغريق لم يعلموا على متن سفن الخليج العربي فقط، بل أبحروا إلى أبعد من مناطق الشواطئ العربية، حيث وصلوا إلى مصيرة، ثم بعد ذلك إلى شواطئ جيدوروسيا وإلى موسارنا Mosarna والتي كانت مركزا بحريا هاما بين الهند والأراضي الفارسية، كما أن الإسكندر ربما قد جمع معلوماته مسبقا من كبار الموظفين الفرس الذين خضعوا له والذين ربما قد قاموا برحلات بحرية على الجانب الفارسي من الخليج، ثالثا: إذا كان هذا الطرق

(١) أرْيَانُوس، كتاب الهند، الفصل ٣٢، الفقرة ١١.

(٢) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، هامش ص ٧٤.

(٣) شريف، شريف محمد (١٩٦٩م)، تطور الفكر الجغرافي، ج ١، ص ٢٦٧.

مجهولاً للشعب اليوناني فإنه لم يكن كذلك بالنسبة لأبناء المنطقة الذين استخدموه للتجارة منذ الألف الثالث قبل الميلاد على أيام الحضارة السومرية. فلا بد أن يكون الإسكندر قد حصل على معلومات دقيقة من ربانة السفن والبحارة الهنود عن أحوال الملاحة في المحيط^(١). ولا بد أن نيارخوس قد اصطحب ملاحين هنود على متن أسطوله كأدلاء، فهذا أمر منطقي، ولا شك أن هؤلاء البحارين أكدوا للإسكندر إمكانية الإبحار حتى مصبات الفرات، ولا غنى عن الأدلاء والمرشدين لأي أسطول في التاريخ.

لقد كان في جيش الإسكندر مجموعة من المهندسين، كان أشهرهم ديمتريوس ودياد اللذين كانا متخصصين في صنع الآلات الحربية، وقد برزا في حصار صور وغزة، وأقاما الجسور لعبور نهر الفرات، قرب تابساكوس (ربما الطبقة) ودجلة وقرب نينوى وعملا كثيرا في نصب المجانيق لذلك الحصون وضرب القلاع الشاهقة في إيران الشرقية. وقد ضم الإسكندر إلى هذه الجماعة عندما كان في السند مهندسين صناعة السفن، أتى من فينيقية وقبرص ومصر، وهم الذين أنشأوا له المركب، لهبوط الجيش نهر الهندوس، وأعدوا سفن رحلة أمير البحر نيارخوس من مصب هذا النهر إلى آخر الخليج العربي^(٢).

لقد اختلفت الروايات حول عدد سفن تلك البعثة، فأريائوس لا يحدد عدد السفن، إلا أن كلمة أسطول يستشف منها عددا كبيرا من السفن^(٣)، ولا شك أنه أسطول كبير، حيث بلغ تعداد في بعض الأدبيات ٤٧ سفينة، اثنتان منها بخمسة صفوف من المجاذيف، وثلاثة سفن ذات أربعة صفوف من المجاذيف، واثنتا عشرة سفينة من السفن الثلاثية المجاذيف، والثلاثون الباقية بثلاثين مجداف فقط، مضافا إليها السفن الأصلية في أسطول نيارخوس^(٤)، وهكذا زاد عدد السفن عن ٤٠٠ سفينة، وربما أنه كان أكبر أسطول عرفه الخليج العربي حتى تاريخه، وكانت تلك السفن مشحونة ببخارة فينيقيين ومصريين وقبارصة. وقد استغرقت الرحلة سنة كاملة ما بين مصب نهر السند ومصب نهر الفرات، ولسوء الحظ فإن أعمال نيارخوس مفقودة، لكن الخطوط العريضة بقيت محفوظة بفضل ما نقله أريائوس^(٥).

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، هامش ص ٧٥.

(٢) زهيراتي، متوديوس (١٩٩٩م)، الإسكندر الأكبر، ص ٧٦.

(٣) كليب، مهيبوب غالب أحمد (٢٠١٠م)، تطور خطوط الملاحة البحرية حول الجزيرة العربية بين الألفين الثالث والأول قبل الميلاد، مجلة الوثيقة، مجلة علمية محكمة، مج ٢٩، عدد ٥٧، البحرين، المنامة، ص ١٢٢.

(٤) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٢٩. وانظر: كليب، مهيبوب غالب أحمد (٢٠١٠م)، تطور خطوط الملاحة البحرية، ص ١٢٣.

^٥) Kowalski, Jean-Marie., (2019) Sailing the Indian Ocean in Ancient Times: Angles, p.3.

لقد قدم لنا أريائوس وصفا دقيقا لانطلاق الرحلة وتوقيتها، إذ يقول: «وعندما هدأت الرياح الموسمية التي تهب طوال فصل الصيف آتية من البحر باتجاه اليابسة التي تجعل السفر بحرا غير ممكن لهذا السبب، عندئذ بدأوا في تقويم كيفيسودوروس Cephisodoros في أثينا في اليوم العشرين من شهر بويدروميون Boidromion (أيلول/ تشرين أول من سنة ٣٢٦ ق.م) طبقا لحساب الأثينيين. أما طبقا لحساب المقدونيين والآسيويين فقد كان في السنة الحادية عشرة من حكم الإسكندر. وقدم نيارخوس الأضاحي لأجل رحلته للمعبود زيوس سوتر Zeus Soter وأقام أيضا ألعابا رياضية^(١)».

بينما انقسمت بقية القوات البرية إلى قسمين قسم سار شمال صحراء جيدروسيا Gedrosia، أما القسم الثاني فقد اخترق الصحراء الإيرانية بقيادة الإسكندر بطريق موازي للساحل الإيراني، وقد واجهت كل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث بعض الصعوبات الحادة، كان أكبرها الخسائر الجسمية التي تعرضت لها القوات البرية التي كانت بقيادة الإسكندر وعبر بها صحراء جيدروسيا. وصل الإسكندر والباقون على قيد الحياة إلى كارمينا Carmania قرب مضيق هرمز بوابة الخليج العربي، حيث اجتمعت القوات البرية مرة ثانية^(٢)، وهناك في كارمينا أقام الإسكندر المأدوبات لآلهة كارمينا لانتصاره في الهند ولأنه تمكن من عبور صحراء جيدروسيا^(٣). أما الأسطول فقد مخر بموازة الساحل حتى وصل إلى ساحل مكران الذي سكنته قبائل الأوريتاي Oreitai، وقد حصل نيارخوس على ربان (من المنطقة دون شك) اسمه هيدراكس Hydrakes وصل بهم حتى هذه المنطقة. وإن سهولة حصول نيارخوس على ربان كدليل مرشد لهم يقود إحدى السفن وليعمل كدليل ومرشد لهم، تدل على تقدم علم الملاحة ومعرفة سكان تلك الجهات بالبحر وأحواله المناخية والطبوغرافية. وعندما مخر أسطول نيارخوس من أمام ساحل بارنا Barna وجد الكثير من النخل والبساتين والرجال الذين نسجوا أكاليل ورد لشعورهم، ورأى بساتينا غناء وأناس متحضرين. وفي كوفاس وجد ماء عذبا وشاهد صيادي الأسماك فيها يستعملون في صيدهم قوارب صغيرة تسير دونما مجاديف بل مغارف Paddles^(٤).

(١) أريائوس، كتاب الهند، الفصل ٢١، الفقرة ٢-١.

² Thomas, C. G., (2007) Op. Cit., p.19.

³ Blázquez Martínez & José María., (2006) Arabia, the Arabs and the Persian Gulf. A Dissertation of Ancient Sources., Gerión, p.16.

(٤) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٢٩، ٣٣٠.

لقد كانت رحلة الاغريق في مياه المحيط الهندي عملا رائعا بالنسبة لهم، حيث تعرفوا لأول مرة في المحيط الهندي على ظاهرتي المد والجزر، وخبروا الرياح الموسمية دون أن يعرفوا نظامها، وصنعوا عندما شاهدوا الحيتان تشرع برؤوسها من الأعماق، عقب ما رأوه من نوافر مائية تعلو سطح اليم^(١). ويحدثنا سترابون عن ملاحظات أخرى سجلها نيارخوس في أثناء إبحاره من المحيط قائلا: «ويشير نيارخوس إلى كبر حجم السرطانات والقناذ البحرية هنا، وهي على وجه العموم ظاهرة عامة في كل أنحاء البحر الخارجي كله، فالقناذ البحرية هناك أكبر من الكافسوس، والسرطانات وزن واحد كوتيلان، كما رأى حوتا مرميا على الشاطئ طوله ٥٠ ذراعا^(٢)».

يتضح من تقرير نيارخوس، كما حفظ في مؤلف أريائوس أن الإسكندر كان على علم بوجود محتمل لطريق الخليج العربي؛ وأنه كلف نيارخوس بالبحث عن ذلك الطريق الذي يربط الهند ببلاد الرافدين عبر هذا الخليج، وإذا أمكن لاستكشافه. وهكذا عندما وصلت الحملة إلى مضيق هرمز، غير نيارخوس مساره من الغرب إلى ما بين الغرب والشمال، من أجل الدخول إلى الخليج، الذي أقر بأنه الخليج العربي. ومن المثير للاهتمام هو حدوث خلاف حصل بين نيارخوس ومساعدته، قائد الدفة، المدعو أونيسيكریتوس Onesicritus الذي يبدو أنه لم يكن على علم بأوامر الإسكندر، فقد زعم أن الخليج ليس له أهمية تذكر، فأصدر أوامره للإبحار عبر لسانه وتجاوز مضيق هرمز والهبوط إلى السواحل الشرقية والجنوبية الشرقية من شبه جزيرة عمان. غير أن نيارخوس أصرّ على ضرورة امتثال أوامر الإسكندر ورفض أن يفسدوا التزامهم بها، وأن عليهم الدخول إلى الخليج واستكشافه. ومن ثم انتقلت الحملة إلى الطرف الشرقي من الخليج العربي، وتابعت مسارها حتى انضمت أخيرا إلى الاسكندر بالقرب من سوسة^(٣).

يقول أريائوس: «بعد أن غادر الأسطول منطقة آكلي الأسماك دخل كارمانيا Carmania [كرمان] وهناك ألقوا بمراسيهم في أول نقطة في إقليم كرمان، وتوقفوا في عرض البحر، لوجود خط طول من الأمواج القوية في البحر بمحاذاة الساحل. ومن هناك لم يسروا في خط مباشر باتجاه مغرب الشمس بل انعطفوا وحولوا مقدمة سفنهم في خط جديد بين مغرب الشمس والدب القطبي [الشمالى]، ومنطقة كرمان ذات أشجار أكثر مما في منطقة آكلي الأسماك والأوريتيين، وهي أكثر غزارة في ثمارها وبها أعشاب أوفر

(١) زهيراتي، متوديبوس (١٩٩٩م)، الإسكندر الأكبر، ص ٩٥.

(٢) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٧.

(٣) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٢٤، ١٢٥.

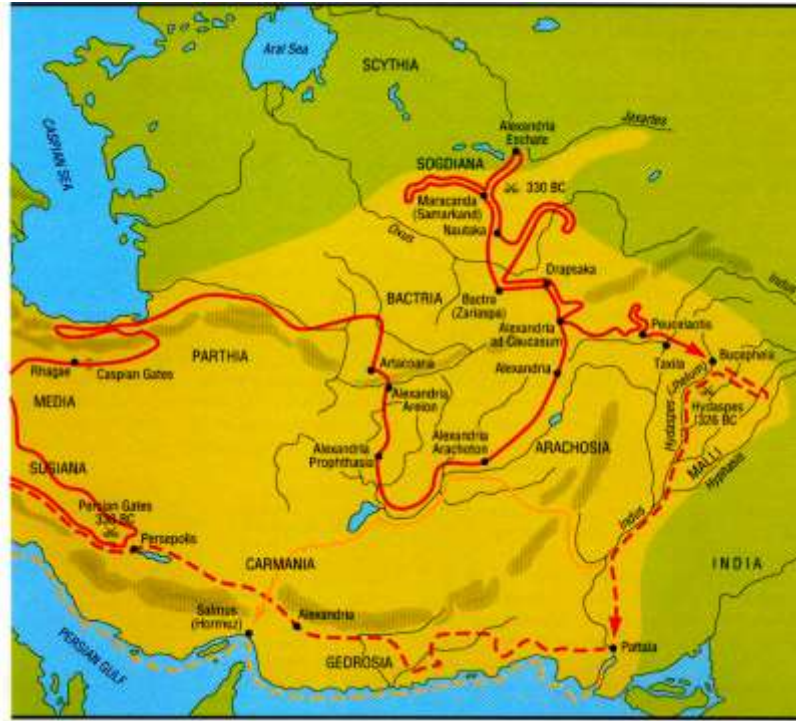
ومياه غزيرة وقد ألقوا بمرساتهم في مكان يعرف باسم باتيس Batis [جنوب شرق بندر عباس اليوم] وهو مكان مأهول بالسكان في كرمان وبه أشجار كثيرة مزروعة إلا الزيتون، وبه كروم جيدة وقمح. ومن هنا واصلوا ابصارهم وقطعوا مسافة ثمانمائة إستاديون، وتوقفوا أمام ساحل صحراوي. فرأوا لسانا طويلا ممتدا لمسافة كبيرة في المحيط، وتراءى لهم أن اللسان نفسه يبعد مقدار إبحار يوم. وذكر الذين لديهم معرفة جيدة ببلاد العرب أن هذا اللسان يمتد فيها، وأنه يسمى ماكيتا، وأن القرقة والتوابل الأخرى المشابهة كانت تنقل من هناك إلى بلاد الآشوريين. ومن هذا الساحل نفسه حيث توقف الأسطول في عرض البحر، ومن الرأس البارز الذي شاهدوه ممتدا في مواجهتهم في المحيط يمتد الخليج في الداخل، ويبدو وكأنه البحر الأحمر، وهذا رأيي، ورأي نيارخوس أيضا، وعندما شاهدوا هذا اللسان أمرهم أونيسيكريتيوس Onesikritos أن يبحروا تجاهه؛ حتى لا تجشموا مشقة الدوران حول الخليج. ولكن نيارخوس اعتقد أن أونيسيكريتيوس أحمق لو كان لا يعرف السبب ف إرسال الإسكندر للأسطول. وإنه [أي الإسكندر] لم يرسل الأسطول لأنه كان من الصعب عليه أن يعود بكل قواته بسلام سيرا على الأقدام، وأرسل السفن لذلك الغرض. ولكنه كان يرغب في أن يستكشف بدقة السواحل الموجودة على خط الرحلة، والموانئ والجزر الصغيرة، وأي خليج يمر به، وأي مدن مطلة على الساحل، وأي المناطق مثمرة وأيها صحراوية. ولهذا فإنه ليس من المفيد لهم أن يتجاهلوا هذه المهمة، خصوصا أنهم كادوا يقتربون من إنجاز مهمتهم، ولأهم إضافة إلى ذلك لا يواجهون أية صعوبات بشأن المون في رحلتهم السياحية. وكان نيارخوس يخشى أنهم سيجدون الأراضي هناك بلا ماء وشديدة الحرارة؛ لأن اللسان يمتد مسافة طويلة باتجاه الجنوب. وقد تغلبت وجهة النظر هذه؛ وإنني أعتقد أن نيارخوس أنقذ الجيش بفكرته هذه؛ لأن الرواية تذكر اللسان والأراضي الواقعة فيما وراءه كانت صحراء قاحلة وأنها كانت خالية تماما من المياه^(١).

ويصف لنا سترابون نقلا عن إراتوستينيس Eratotheres القوريني (٢٧٦ - ١٩٤ ق.م)، الذي بدوره ينقل عن أندروستينيس Androsthene التاسوسي، الذي كان مرافقا لنيارخوس في رحلته من الهند إلى مصب الفرات، مدخل الخليج العربي على النحو الآتي: «مدخل الخليج ضيق إلى درجة تمكننا من رؤية رأس ماكاي البحري [رأس مسندم] في العربية، من هرمز ورأس كرمان البحرية، والساحل الذي على يمين مدخل الخليج مستدير الشكل يميل في الأول عن كرمان قليلا نحو الشرق ثم نحو الشمال^(٢)». عموما لقد

(١) أرثانوس، كتاب الهند، الفصل ٣٢، الفقرة ٢-١٣.

(٢) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٢.

فضل أسطول الإسكندر الجهة الشرقية من الخليج العربي بعدما تراءت له استحالة حصوله على التموين من الساحل الغربي - العربي^(١). وبعد يومين من الإبحار على طول الساحل الشرقي للخليج العربي وصل نيارخوس إلى فم أناميس Anamis حيث أوقف أسطوله للراحة، وهذا النهر لا بد أن يكون نهر مينا، ويجري هذا النهر في منطقة غنية خصبة. وإن الاسم هارموزيا الذي ذكره نيارخوس لا يزال موجودا حتى الآن في اسم مضيق هرمز. ويذكر نيارخوس أنه أرسل خبرا بسلامة وصول الأسطول إلى الإسكندر الذي كان معسكرا على نفس الجهة من ساحل الخليج العربي وعلى مسافة خمسة أيام، وكانت منطقة خصبة في الداخل تقع على بعد ٨٥ ميلا عن فم نهر مينا^(٢).



خريطة رقم (٤): توضح هذه الخريطة الطريق البري الذي اتبعه الاسكندر في أثناء حملته العسكرية في الشرق، وكذلك طريق العودة، والطريق الذي اتبعه قائده الملاح نيارخوس بالخط المتقطع.

¹⁾ Adil Hashim Ali., (2017) Alexander the great and the Hellenistic naval presence in south Mesopotamia and the gulf., The Journal of Arab Gulf Volume 45, Issue 1-2, p.8.

^(٢) (الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٢٩.

عندما كان الإسكندر مقيماً في قصر الملك في كارمانيا Carmania التقى بقائد أسطوله نيارخوس في أيلول ٣٢٥ ق.م^(١)، وصف بلوتارخ اللقاء: «وفور وصوله قصر الملك في جيدروسا أراح نفسه وأمر بالمأدبات والحفلات لجيشه، وفي يوم ما بعد أن شرب كمية كبيرة من الخمر، قيل إنه خرج لرؤية مسابقة في الرقص.... وهنا جاءه أميراله نيارخوس وأشاع السرور في نفسه عندما قص عليه أخبار رحلته البحرية، حتى أنه قرر إكمال رحلته بحراً حتى فم الفرات بأسطول كبير يدور به حول جزيرة العرب وأفريقيا ثم يدخل البحر المتوسط في أعمدة هرقل. ولأجل ذلك أمر ببناء مختلف أنواع السفن في ثابساكوس وجمع كميات كبيرة من الأرزاق والبحارة والملاحين من كل مكان. لكن أنباء المصاعب التي عاناها في حملته الهندية والمخاطر التي تعرض لها شخصياً واضطراب الأمور في بلاد اليونان ومقدونيا^(٢)».

وبعد أن أكمل نيارخوس احتفالاته في هذه المنطقة بسلامة الوصول رجع إلى الساحل ليكمل إبحاره، فذكر لنا أنه رأى سفناً تجارية، وبعد مروره بفم نهر أناميس يذكر أرياثوس أن نيارخوس مرّ بجزيرة اسمها أورجانا Organa وعرة الأرض^(٣) وربما أنها جزيرة هرمز، حيث يقول أرياثوس: «بعد أن أدى نيارخوس واجباته الدينية، وقام بها خير قيام أمر برفع المراسي، والانطلاق عبر البحر قريبا من ساحل جزيرة كبيرة وعرة وصحراوية، وهي مأهولة بالسكان. وقد لاقته هذه الجزيرة على بعد ثلاثمائة إستاديون من نقطة الانطلاق وتسمى هذه الجزيرة الصحراوية أورجانا Organa^(٤)». ثم وصلوا بعدها إلى جزيرة أكبر حجماً وأكثر خصبا ومسكونة اسمها أواراكتا Ouarakta والتي لا بد أن تكون جزيرة قشم في مدخل الخليج العربي والتي ذكر أنها تنتج العنب والتمر والحبوب^(٥). حيث يقول أرياثوس: «تنمو على هذه الجزيرة أشجار الكروم والنخل، وتنتج الذرة، ويبلغ طولها نحو ثمانمائة إستاديون ويسمى حاكم الجزيرة مازن Mazenes^(٦)».

ويحدثنا سنترابون: «أن نيارخوس التقى ميثروباستيس Mithropastes ومازن، وكان هذا المازن حاكماً على جزيرة ما في الخليج العربي، وكانت هذه الجزيرة تدعى أواراكتا Ouarakta / Oracta، وعلى هذه الجزيرة وجد ميثروباستيس ملجأً واستقبالا ودياً بعد فراره من أوجريس Ogyris [فروجيا]، كما

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٥١.

(٢) بلوتارخ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ج ٣، ص ١٣١٥.

(٣) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٢٩.

(٤) أرياثوس، كتاب الهند، الفصل ٣٧، الفقرة ١.

(٥) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٢٩.

(٦) أرياثوس، كتاب الهند، الفصل ٣٧، الفقرة ٢.

اتفق ميثروياسنتيس مع مازن على أن يزكّيه هذا الأخير لدى المقدونيين للعمل في أسطولهم، وكان مازن يحكم إحدى الجزر في الخليج العربي، ونشأت علاقة ود بينه وبين المقدونيين، فقد غدا مازن مرشدا لهم في إبحارهم^(١).

أما بليينيوس فقد كتب: «وبعد ذلك يوجد رأس كارمانيا الذي يبلغ الطريق منه إلى قبيلة الماكايين العربية على الساحل المقابل خمسين ميلاً؛ كذلك فإنه توجد ثلاث جزر من بينها فقط جزيرة أوراكتا Oracta هي الوحيدة الآهلة بالسكان، وتبعد من البر الرئيس خمسة وعشرين ميلاً، ولديها مورد مياه عذبة. هنالك أيضاً أربع جزر في الخليج قبالة إقليم فارس Persia وفي المنطقة المجاورة لهذه الجزر تتسبب ثعابين البحر التي يبلغ طولها عشرين ذراعاً وتسبح بالقرب منها في دعرٍ شديد للأسطول^(٢)». وبالعودة لما كتبه سترابون فإننا نجد في موضع آخر من كتابه يعرفنا بهذا المنفى، فيقول سترابون: «يقول نيارخوس: ميثروياسنتيس بن أرسيتيس Arsites والي فروجيا Phrygia، وكان منفياً من بلاده، نفاه داريوس وقد عاش في هذه الجزيرة، وانضم إلى المقدونيين عندما رسي أسطول هؤلاء في الخليج العربي، باحثاً عن فرصة تمكنه من العودة إلى وطنه^(٣)».

ولا شك أن لهذه الجزيرة رمزيتها في الخليج العربي، وإلا لما كان قد لجأ إليها والي فروجيا بعد أن نفاه داريوس. وإننا نجد هذه المكانة عند أريانوس، إذ يقول: «ويقال: إن في هذه الجزيرة ضريح أول رئيس معروف لهذه المنطقة، ويسمى إريثريس Erythres ومنه جاءت تسمية البحر الإريثري^(٤)» والمعلومة نفسها نجدها عند سترابون، إذ يقول: «ويذكر نيارخوس وأورثاجوراس Orthagoras أنه بالقرب من كرامانيا جزيرة أوجوريس/ أوجيريس Ogyris باتجاه الجنوب في عرض البحر على بعد نحو ألفي إستاديون، وفيها قبر إريثرا Erythra وهو تل مرتفع مغطى بالنخيل البري، وكان هذا الرجل يحكم هذه الأرجاء، ومنه حمل البحر اسمه^(٥)». ومن هناك رفعوا المراسي متجهين جنوباً. وبينما هم في مقابل الساحل الساحل بنحو مئتي إستاديون من تلك الجزيرة لمحوا جزيرة أخرى، تبعد من تلك الجزيرة الكبيرة بنحو أربعين

(١) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٧.

(٢) بليينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٢٦، الفقرة ٩٨. ترجمة علي عبد الجيد، تعليق زياد السلامين، إشراف وتحرير د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٧)، السعودية، الرياض دار الملك عبد العزيز، ٢٠١٧م.

(٣) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٥.

(٤) أريانوس، كتاب الهند، الفصل ٣٧، الفقرة ٣-٤.

(٥) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٤.

إستاديونا، ويروى أنها تعد حرماً مقدساً للإله بوسيديون، ومحرم أن تطأها أقدام الإنسان^(١). وقد تكون هذه الجزيرة جزيرة هنجام^(٢).

ويكمل لنا أريثائوس وصف الرحلة، إذ يقول: «ثم اتجهوا بحرين جنوباً، فصادفهم انحسار المد عنهم بقوة وهذا ما دفع بثلاث سفن إلى الانجراف نحو الشاطئ، إذ اجتازت بسرعة في أرض جافة. وأما بقية سفن الأسطول فإنها لاقت بعض الأمواج التي سهلت لها الإبحار في المياه العميقة. وأما السفن الثلاثة الجانحة فإنها بقيت تنتظر موجات المد العالي المقبلة، ثم انطلقت مبحرة لتلتحق ببقية الأسطول في اليوم التالي. ثم ألقوا مراسيهم في جزيرة أخرى تبعد عن الساحل نحو ٣٠٠ إستاديون بعد رحلة إبحار بلغت أربع مئة إستاديون وبعدها وصلوا إبحارهم عند الفجر جنوباً حتى بلغوا جزيرة أخرى من جهة مينائها، وهي جزيرة صحراوية تسمى بيلورا Pylora [جزيرة طناب الكبرى] فألقوا مراسيهم عند بلدة صغيرة مهجورة ليس فيها سوى الماء والسمك تسمى صيدا/ صيصيدونا Sisidona، وليس لأهلها غذاء سوى الأسماك شأوا أم أبوا، لأنهم في منطقة معزولة فتزودوا بالمياه العذبة، ثم إبحروا حتى وصلوا رأس تارسيساس Cape Tarsias الممتد مباشرة في البحر، بعد رحلة ٣٠٠ إستاديون، ومن هناك اتجهوا صوب جزيرة صحراوية منخفضة تعرف باسم كاتايا Cataea [ربما جزيرة قيس]، ويروى أن بها حرماً مقدساً للمعبودين هرميس Hermes وأفروديتي Aphrodite وبلغت الرحلة إليها ٣٠٠ إستاديون. وفي كل عام يقوم الأهالي بجولة حول الجزيرة، ثم يبعثون بالأغنام والماعز قرابين لهرميس وأفروديتي، ويمكن للشخص أن يلاحظهم وهم يقومون بذلك. والآن مع مرور الوقت لم تعد فيها مثل تلك الطقوس»^(٣).

ثم يذكر بعد ذلك مروره بعدة جزر ومدينة صغيرة على الساحل اسمها سيسيدوث (ربما تكون دوان) وعلى الشاطئ الشرق بعد المرور بجزيرة صحراوية تسمى كايكندر Kaikander (هندرابي) وزار جزيرة صغيرة لم يعط اسمها وقال إنها مشهورة بمصائد اللؤلؤ الذي يخرجونه بنفس الطريقة كما في المحيط الهندي^(٤). وقد جاء عند سترابون عن رحلة نيارخوس في الخليج العربي «أن في بداية الإبحار على طول شواطئ الخليج العربي جزيرة فيها كم كبير من اللؤلؤ الثمين، وفي الجزر الأخرى حجارة ثمينة شفافة

(١) أريثائوس، كتاب الهند، الفصل ٣٧، الفقرة ٣-٤.

(٢) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٢٩.

(٣) أريثائوس، كتاب الهند، الفصل ٣٧، الفقرة ٥-١١.

(٤) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٢٩.

لامعة^(١)»، وهذه أول إشارة نعرفها إلى مصائد اللؤلؤ في الخليج العربي، وصار السير في الخليج العربي بعد هذا حسب قول نيارخوس صعبا ومعقدا حيث الساحل كما يقول ملئ بالصخور والمياه الضحلة والجزر المرجانية وهي خاصية لا تزال موجودة، ثم توقفوا عند فم ستياكوس (موند الحالي) لمدة ٢١ يوما لإصلاح بعض السفن التي معهم، وبعد ذلك مر في شبه جزيرة اسمها ميسمبريا التي لا بد أن تكون موقع بوشير الحالي، وقال إنها كثيرة البساتين الغنية بأنواع الفاكهة. ثم نهر كرانيس Granis (رودحلة) وقربه قصر. ولاحظ حوتا قال أن طوله ٥٠ ذراعا ومعه الكثير من سمك الدلفين. ثم توقف نيارخوس بعد ذلك عند بريزانا ثم نهر أرونيس (طالب الحالي أو هنديان) الذي يقول عنه أنه أكبر الأنهار^(٢).

وعندما وصل نيارخوس ورفاقه أخيرا إلى لسان الفرات وجدوا أن قرية تيريدون؛ التي يسميها نيارخوس باسم ديريدوتيس Diridotis، في الطرف الداخلي للخليج العربي، وطبقا لأريائوس، الذي حصل على معلوماته بالضرورة من نيارخوس، كانت مركزا لتجارة البخور القادم من بلاد العرب^(٣)، حيث يقول «وكان اسمها ديريدوتيس، وهناك كان التجار يجمعون معا البخور من الأراضي المجاورة ومختلف الأعشاب العطرية الأخرى التي تنتجها بلاد العرب^(٤)». لا بل إن ما لفت انتباه نيارخوس عندما وصل إلى مصب الفرات في الخليج العربي أنه وجد: «في الجزر الواقعة مقابل مصبات الفرات شجر يفوح منه رائحة البخور، وعندما تكسر جذوع هذا الشجر يسيل منها عصير^(٥)». أما الملاحظة الثانية المهمة التي يقدمها لنا نيارخوس ساعة وصوله؛ أن نهر الفرات (باللوكوباس)، كان يصب زمانه بصورة مباشرة في رأس الخليج العربي^(٦)، لا في شط العرب كما هو عليه الحال اليوم.

لقد استغرقت رحلة نيارخوس قرابة الخمسة أشهر (١٤٦ يوما) ما بين مصب السند ومصب الفرات^(٧)، الفرات^(٧)، وقد كتبت عنها ثلاثة تقارير، حررها كل من نيارخوس وأورثاجوراس وأنيزيكريتس. ولم تصلنا أي من تلك التقارير، وإنما نعلم عنها من خلال أعمال الكتاب المتأخرين التي وصلتنا. ومهما يكن من أمر فقد كانت رحلة استكشافية بامتياز، وكان من أهم نتائجها؛ رسم نيارخوس لخريطة لسير الأسطول بكثير من

(١) سترابون، **الجغرافيا**، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٧.

(٢) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، **تاريخ الخليج العربي**، ص ٣٢٩، ٣٣٠.

(٣) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، **تطور الوعي اليوناني**، ص ١٢٥.

(٤) أريائوس، **كتاب الهند**، الفصل ٤١، الفقرة ٧.

(٥) سترابون، **الجغرافيا**، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٧.

(٦) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، **تاريخ الخليج العربي**، ص ٣٣٠.

(٧) زيادة، نقولا (١٩٧٩م)، **دليل البحر الإثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية**، ص ٢٦٠.

الدقة، حيث سجل عليها الكشف الجغرافية لمعالم هذا الساحل من مصب السند إلى مصب الفرات، كما تم وصف الأجزاء الغربية من الهند، بالإضافة للخليج العربي، وكذلك تم دوين أسماء الأماكن بدقة^(١). وبفضل هذه الرحلة حصلنا على كثير من المعلومات الجغرافية المهمة عن الخليج العربي، فقد كتب سترابون بالاعتماد على نتائج هذه الرحلة؛ وصفا دقيقا لساحل الخليج العربي: «والساحل الذي على يمين مدخل الخليج مستدير الشكل يميل في الأول عن كارمانيا قليلا نحو الشرق، ثم نحو الشمال، وبعدها نحو الغرب وصولا إلى تيريديون ومصبات الفرات، ويشمل الساحل شاطئ الكارمانيين [نسبة إلى كرمان] وجزئيا الشاطئ الفارسي، والسوسيين [نسبة إلى سوسة عاصمة عيلام] والبابليين على امتداد ما يقارب ١٠ آلاف مرحلة... على حد قول أندروستينيس الفاسوسي كما نقل عنه إراتوستينيس، فأندروستينيس رافق نيارخوس في إبحاره، كما أبحر لوحده على طول ساحل العربية^(٢)».

يذكر أريائوس عن نيارخوس أن طول الرحلة البحرية على طول الشاطئ الشرقي للخليج العربي «أربعمئة وأربعة آلاف إستاديون» ويذكر أريائوس -عن نيارخوس- أن الساحل الشرقي للخليج ينقسم إلى ثلاثة أقسام: «وتنقسم الأراضي الفارسية، كما يقولون، إلى ثلاث مناطق مناخية. وتتصف المنطقة الواقعة بجوار البحر الأحمر بأنها رملية، ولا أشجار فيها بسبب شدة الحرارة. وبعد ذلك المنطقة الممتدة باتجاه الدب القبطي والرياح الشمالية، وهي ذات مناخ معتدل، وفيها أعشاب ومروج مورقة وأعشاب كثيرة، ومختلف أنواع الفواكه الأخرى ما عدا الزيتون. كذلك تزهر بكل أنواع الحدائق، وتجري في أراضيها أنهار وبحيرات وهي ملائمة لكل أنواع الطيور التي تعيش حول الأنهار والبحيرات والخيول، وبها مراعى لكل الحيوانات المستأنسة الأخرى وبها أخشاب جيدة وحيوانات صيد كثيرة^(٣)».

ويقدم لنا أريائوس -نقلا عن نيارخوس- وصفا للشاطئ الشمالي للخليج العربي فيقول: «وبعد أن عبروا مسافة خمسمئة إستاديون ألقوا مراسيهم عند مدخل بحيرة مملوءة بالأسماك، تسمى كاتاديربيس Cataderbis [إحدى البحيرات المتكونة في جنوب العراق] وكانت عند المدخل جزيرة صغيرة وكان اسمها الجزيرة مرجستانا Margastana [جزيرة ديري بونه في شط العرب اليوم] ومن هناك أبحروا عند الشروق في منطقة ضحلة، وعبروها في صف تسير فيه سفينة تلو أخرى، وكانت المنطقة الضحلة محددة على

(١) شريف، شريف محمد (١٩٦٩م)، تطور الفكر الجغرافي، ج ١، ص ٢٦٧.

(٢) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٢.

(٣) أريائوس، كتاب الهند، الفصل ٤٠، الفقرة ٢-٤.

كل من الجانبين بعوارض خشبية مثبتة من أسفل تماماً كما هي الحال في المضيق بين جزيرة ليوكاس Leucas وأكارنانيا Acarnania حيث وضعت علامات للبحارة حتى لا تصطدم السفن بقاع البحر. وعلى أية حال فإن المناطق الضحلة بالقرب من ليوكاس رملية، وتسمح للسفن التي تصطدم بالقاع فيها أن تخرج بسرعة، أما هنا فالطمي عميق ولزج على جانب من الممر الملاحي، حتى إن السفن التي تصطدم به لا تستطيع الخروج بأية وسيلة. فالقوائم الخشبية لا تفيد البحارة بشيء لأنها تنغرس في الطمي؛ ومن المستحيل عليهم أن يغطسوا في الماء لكي يدفعوا السفن؛ لأنهم كانوا سيغوصون حتى صدورهم في الطمي. وهكذا فإنهم أبحروا بصعوبة شديدة، وعبروا ستمئة إستاديون وبحارة كل سفينة لا يبرحونها، وبعد ذلك فكروا في تناول الطعام وقد تصادف أن حالفهم الحظ في أثناء الليل، ووصلوا مياها عميقة، واستمر ذلك في اليوم التالي أيضاً حتى المساء. وقطعوا مسافة تسعمئة إستاديون وألقوا مراساتهم عند مصب نهر الفرات في قرية في منطقة بابلونيا، وكان اسمها تيريديون/ ديريدوتيس Diridotis وهناك كان التجار يجمعون معا البخور من الأراضي المجاورة ومختلف الأعشاب العطرية الأخرى التي تنتجها بلاد العرب^(١).

وتجدر الإشارة أن هذه المدينة أي تيريديون، التي يسميها بليينيوس ب الأبله Aple «هناك قرية على البحيرة الكلدانية تُسمى أبله/ الأبله وتبلغ المسافة بينها وبين سوسة اثنين وستين ميلاً ونصف الميل^(٢)»، وكذلك العرب يسمونها الأبله، ويعتقد كثير من الباحثين أن ملك بابل نبوخذ نصر (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) قد بناها عند مصب نهر الفرات قرب أرض العرب، وذلك لمواجهة هجومهم^(٣). لكن هذا الرأي قد جانب الصواب؛ لأننا نجدها اسمها مدوناً في النصوص الأكادية بلفظ Ubulum. كما ورد في نص آشورية يعود إلى أيام تجلات بلاصر الثالث اسم قبيلة U-bu-lu، وورد هذا الاسم على هذه الصورة U-bu-lum في جملة أسماء القبائل التي انتصر عليها شاروكين الثاني^(٤). وفي العصر الأخميني المتأخر استقرت حول الأبله القبائل والعشائر العربية، كما استقرت في أجزاء كثيرة من بلاد أرض البحر الواقعة على ساحل الخليج، ولذلك فقد اعتبر نيارخوس الأبله ضمن الجزيرة العربية. كما كان العرب قد انساحوا في المنطقة

(١) أرْيَانُوس، كتاب الهند، الفصل ٤١، الفقرة ١ - ٧.

(٢) بليينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٣١، الفقرة ١٣٤.

(٣) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٣٣.

(٤) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٠.

الواقعة غرب العاصمة الفارسية سوسة كلها، حتى أمست القبائل العربية سيدة المكان في المنطقة الواقعة ما بين سوسة وشط العرب^(١).

كما تفيد **الجغرافية التاريخية** للمنطقة أن شاطئ الخليج العربي الشمالي كان أيام الإسكندر المقدوني (القرن الرابع قبل الميلاد) أبعد أكثر بكثير في جهة الشمال مما هو عليه اليوم، وكان الفرات يصب فيه مباشرة بمصب خاص فيه قرب بلدة ترديدون Teredon الواقعة حوالي ٢٠ كم شمال جزيرة **فيلكا*** Failaka (إيكاروس Ikaros). وإن معظم أنهار جنوب بلاد الرافدين كانت تصب في المستنقعات الكلدانية التي كانت تسمى بلاد أرض البحر. أما بخصوص نهر دجلة فربما أن شط العرب كان مجراه الأساسي، وقد انفصلت البحيرات التي شكلتها أنهار جنوب بلاد الرافدين عن الخليج العربي بحزام طيني، وفي أثناء القرن الأول والثاني انضم نهر الفرات إلى نهر دجلة في شط العرب وصارا يصبان مياههما معا في الخليج العربي، حيث تعرضت المستنقعات الكلدانية للجفاف والظمي والتلاشي فيما بعد بسبب تصريف مياه الأنهار من خلال شط العرب، ويسبب تراكم الطمي الذي يحمله النهر (لاسيما الفرات) في هذه المستنقعات^(٢).

وبالعودة للإسكندر المقدوني؛ فقد زحفت القوات البرية تحت قيادته باتجاه بزرگادة Pasargadai، ووصلتها في وقت متأخر من سنة ٣٢٥ ق.م، وفي ربيع السنة التي تلتها انتقل الإسكندر إلى العاصمة الفارسية سوسة^(٣)؛ الواقعة في إقليم الأحواز في الركن الشمالي الشرق من شاطئ الخليج العربي. وعندما كان نيارخوس في ترديدون، وعلم أن الإسكندر قد وصل إلى سوسة، لذلك كان عليه أن يعود لمقابله في هذه المدينة، مستخدماً نهر باستيجريس Pasitigris للإبحار فيه؛ من الخليج إلى تلك المدينة^(٤)، ويقول بلينيوس: «وتبلغ المسافة من سوسة إلى الخليج العربي مئتين وخمسين ميلاً. وبالقرب من هذه البقعة دنا أسطول الإسكندر من باستيجريس متجهاً إلى مدينة سوسة^(٥)». وكان ذلك النهر عبارة عن قناة تتفرع من

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، **سياسة الإسكندر الأكبر**، ص ٣٣.

* تقع جزيرة فيلكا قبالة ساحل الكويت مباشرة، ولا تبعد عنها أكثر من ٢٠ كم، يبلغ طولها ١٢ كم، وعرضها ٦ كم على شكل مثلث مستطيل الأضلاع، بها تلال أثرية ومياها عذبة، وترتبتها خصبة، لها موانئ طبيعية حسنة صالحة لحماية المراكب عند هبوب الرياح. وحيث أنها كانت واقعة على طرق التجارة البحرية بين بلاد الرافدين وجزر وموانئ الخليج العربي، فقد توفرت لها جميع الأسباب لقيام حضارة غنية فيها. وعلى ضوء المكتشفات الأثرية المهمة في البحرين، قررت حكومة الكويت استدعاء بعثة أثرية دنماركية للتقيب فيها أي في جزيرة فيلكا. انظر: **التقرير الشامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا**، (١٩٥٨-١٩٦٣م) الصادر عن وزارة الإرشاد والاثاء، إدارة الآثار والمتاحف، الكويت، ص ٩.

^٢ Adil Hashim Ali., (2017), Op. Cit., p.6.

^٣ Thomas, C. G., (2007), Op. Cit., p.19.

^٤ Adil Hashim Ali., (2017), Op. Cit., p.8.

(٥) بلينيوس، **التاريخ الطبيعي**، الكتاب ٦، الفصل ٣١، الفقرة ١٣٤.

دجلة باتجاه الشمال الشرقي قبل المكان الذي يلتقي فيه دجلة بالفرات اليوم، لقد حدث ذلك في آذار من سنة ٣٢٤ ق.م، علما أن الجيش المقدوني كان يضم نحو ٢٥ ألف جندي مشاة وخمسة آلاف فارس^(١)، «وهكذا فإنهم أبحروا جاعلين أرض سوسا على يسارهم، وساروا بمحاذاة البحيرة التي يجري فيها نهر دجلة^(٢)»، «ويقول نيارخوس في وصفه للطريق إلى سوسة أنها مليئة بالمستنقعات^(٣)».



خريطة رقم (٥): الحدود الشمالية القديمة للخليج العربي في القرن ٤ ق.م: A. Hashim Ali., (2017), Op. Cit., p.7.

أما أرتانوس فإنه يصف لنا بدقة أكبر رحلة نيارخوس إلى سوسة؛ حيث مقر الإسكندر، عبر نهر باسيتيجرس، إذ يقول: «ويبلغ طول الرحلة من البحيرة شمالاً إلى النهر نفسه ستمئة إستاديون وهناك قرية في منطقة سوسة يسمونها أجينيس Aginis وهي على بعد خمسمئة إستاديون من سوسة. وطول الرحلة النهرية عبر إقليم سوسة إلى مصب نهر باسيتيجرس هو ألفا إستاديون. ومن هناك واصلوا إبحارهم مسافة مئة وخمسين إستاديون ألقوا بمرساتهم في انتظار الكشافة الذين أرسلهم نيارخوس حتى يتعرفوا مكان الملك. وقدم هو نفسه [نيارخوس] الأضاحي للآلهة المنقذة، وأقام ألعاباً رياضية، وشعر كل

¹⁾ Adil Hashim Ali., (2017), Op. Cit., p.8.

^(٢) أرتانوس، كتاب الهند، الفصل ٤٢، الفقرة ٢.

^(٣) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٧.

أفراد القوة البحرية بالسورور. وعندما وصلتهم الأخبار أن الإسكندر يقترب منهم واصلوا إبحارهم ثانية أعلى النهر، وألقوا بمرساتهم أمام الجسر العائم الذي كان الإسكندر ينوي أن يعبر بجنوده إلى سوسا، وهناك التقى الجيش، وقدم الإسكندر الأضاحي شكرا على سلامة السفن والرجال، وأقيمت ألعاب رياضية. وحيثما كان نيارخوس يظهر في المعسكر كانت تلقى عليه الورود والأشرطة. وبعد ذلك توج الإسكندر كُلا من نيارخوس وليوناتوس بتاجين ذهبيين. نيارخوس لأجل سلامة الأسطول، وليوناتوس لأجل انتصاره على الأوريتيين والبرابرة المقيمين بجوار الأوريتيين. وهكذا حُفظ للإسكندر أسطوله الذي بدأ رحلته من مصب نهر الهند^(١). إذ تم تكريم نيارخوس، وعاد إلى أسطوله لإتمام المهمة التي كلف بها.

لقد كان أولى الخطوات التي قام بها نيارخوس بعد أن عاد من عند الإسكندر في سوسا أن أبحر باتجاه بابل، فكيف تم ذلك؟! لقد مخر نيارخوس صاعدا صوب بابل في نهر بالوكوباس، وهذا النهر كان فرعا من نهر الفرات، يتشعب من ضفته اليمنى في جنوب مدينة المسيب الحالية، ثم يسير في اتجاه شط الهندية الحالي، وقد صار هذا الفرع يؤدي وظيفة المصرف لمياه الفرات الزائدة في موسم الفيضان. وقد عرف اسمه في المدونات البابلية باسم "نار - بالوكات"، وهو نفسه الذي سماه الإغريق "نهر بالاكوباس" وسمته العرب شط الكوفة، وهو الآن شط الهندية^(٢). «يذكر نيارخوس أن طول الرحلة من مصب نهر الفرات إلى بابل هو ثلاثة آلاف وثلاثمائة إستاديون^(٣)». ويشير فؤاد جميل إلى أن طول هذا النهر الذي كان يصب في البحر مباشرة نحو ٩٠٠ كم، ولا يعلم من شق هذا النهر العظيم، كما لا يعلم على التحقيق أي من الأنهر الدوارس اليوم يمثل مجرى نهر الفرات الأصلي، ومن المؤرخين العرب -ياقوت الحموي- من ينسب شقه إلى نبوخذ نصر أو إلى كسرى أنو شروان، ويرى غيره أن مجرى شط الهندية يمثل المجرى الأصلي لنهر الفرات^(٤).

أما الإسكندر فقد تقدم يرافقه هيفاستيون Heaphastion والجيش، وأبحروا أعلى الخليج العربي، وبعد تحديد موضع لبناء مدينة الإسكندرية* (ميسان) عند مصب دجلة، أبحر الإسكندر في مياه نهر دجلة،

(١) أرْيَانُوس، كتاب الهند، الفصل ٤٢، الفقرة ٤-٩.

(٢) سليمان، شيماء نبيل داوود (٢٠٠٢م)، آثار العصر الهلنستي في المدن السومرية والبابلية (الوركاء، نقر، بابل)، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، العراق، جامعة بغداد، ص ٢١

(٣) أرْيَانُوس، كتاب الهند، الفصل ٤١، الفقرة ٨.

(٤) جميل فؤاد (١٩٦٥م)، أرْيَانُوس يدون أيام الإسكندر الكبير في العراق، هامش ص ٢٨٧.

* لا يعلم على وجه اليقين موقع مدينة الإسكندرية/ خراكس/ ميسان، حيث تباينت آراء المؤرخين، لكن الصور الجوية الحديثة في سنة ٢٠١٦م، ونتائج التنقيبات الأثرية الأولية التي قامت بها جامعة مانشستر، والمسح الجيوفيزيائي الذي قام به فريق مختص من جامعة ميونخ

حتى وصل إلى مدينة أوبيس (قرب بغداد اليوم)، وفي أثناء إبحار الإسكندر أمر بتنظيف مجاري الأنهار وقنوات الري وتحسينها، لتسهيل عملية الملاحة التجارية والعسكرية فيها^(١). ويصف لنا أريائوس تفاصيل دخول الإسكندر إلى الخليج العربي «أمر الإسكندر هيفاستيون أن يقود الجزء الأكبر من الجنود المشاة حتى يصل إلى الخليج العربي. وحين كان أسطولهم يواصل تقدمه صاعداً النهر في أراضي سوسة أبحر هو نفسه مع حرسه الشخصي من حملة الدروع، وحرسه الشخصي من المشاة، وبعد أن وضع على متن السفن أيضاً عدداً ليس بالكبير من الفرسان الرفقاء أبحر جنوباً في نهر يولايوس Eulaeus باتجاه البحر، وعندما أصبح قريباً من المصب حيث تفيض المياه في البحر ترك هناك أغلب سفنه، بما فيها تلك السفن التي كانت بحاجة إلى إصلاح، وأبحر هو نفسه مع السفن السريعة التي كانت بحاجة إلى إصلاح، خارج نهر يولايوس حتى وصل إلى مصب نهر دجلة. أما السفن الأخرى فقد نقلت عبر نهر يولايوس حتى القناة التي تربط بينه وبين نهر دجلة. وبهذه الكيفية وصلت إلى نهر دجلة^(٢)».

وإننا نجد وصفاً مشابهاً عند سترابون أيضاً، إذ يقول: «لقد صعد الإسكندر إلى الأعلى مع مجرى النهر ورافقته حاشية كبيرة، وكان يقود السفينة بنفسه، ويتفحص القنوات وأمر بتنظيفها وعلى النحو نفسه أمر بإغلاق فوهات وبفتح أخرى، إذ لا حظ أن فوهة إحدى القنوات يصعب الوصول إليها، وهي الفوهة التي تتجه أساساً نحو المستنقعات والبحيرات التي أمام العربية، وليس من السهل إغلاقها، إذ أمر بفتح فوهة أخرى جديدة عرضها ٣٠ مرحلة وقد اختار مكاناً تربته صخرية ساق المياه إليه، ولكنه اتخذ هذه الإجراءات لكي لا تغزو العربية حصينة منيعة على مهاجمتها عبر البحيرات والمستنقعات، ولأن غزارة المياه تجعل من هذه البلاد جزيرة^(٣). وقد خصص الاسكندر لتلك المهمة مهندسين وفنيين وعمالاً بغية دراسة وتحسين طرق الاتصال بين بابل والخليج العربي، وإزالة كل ما من شأنه أن يعرقل حركة الملاحة في مياه دجلة والخليج. ولقد أنشأ عند مصب نهر دجلة مدينة سماها الإسكندرية (التي كان قد حدد موضعها

= الألمانية؛ رجحت أن يكون موضع هذه المدينة المفقودة في مكان يسمى مغلوب إلى الجنوب الشقي من تلال خيابر في مدينة البصرة، وقد تركت الحروب آثارها عليها، حتى أن بعض أجزائها مغطى بمنشآت عسكرية لا تزال قائمة إلى اليوم، بالإضافة إلى عوامل التعرية والأنشطة الزراعية والسرقات التي تمثل تهديدات أخرى، وقد أظهرت النتائج الأولية للتقنيات فيها من خلال الخرائط الجيوفيزيائية أن محلات كاملة من المدينة تكمن تحت السطح، ودلت بعض اللقى فيها على ثراء وأهمية المدينة. انظر: الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان منذ النشوء إلى نهاية الدولة الأموية، دار آشور بانيبال، العراق، بغداد، ص ٢٠.

^{١)} Adil Hashim Ali., (2017), Op. Cit., p.8.

^(٢) أريائوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٧، الفصل ٧، الفقرة ١-٢.

^(٣) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ١، الفقرة ١١.

بنفسه) ليتخذها مركزاً عسكرياً تجارياً يربط بين أهم المدن الواقعة على الخليج العربي مع بابل وسوسة^(١)، وقد أسسها بعد أن جلب إليها سكان مدينة دورين Durine القريبة (دور-ماكين)، ونفراً من الجنود الذين سرحهم؛ إما لكبر سنهم أو بسبب تعرضهم لعاهات دائمة تمنعهم من متابعة الخدمة العسكرية في صفوف قواته، وقد بنيت المدينة على تل صناعي على يمينها نهر دجلة، ونهر Eulseus على يسارها باتساع ثلاثة أميال^(٢).

ويقدم لنا بلينيوس وصفاً دقيقاً لمدينة ميسان (خراكس)، إذ يقول: «ومدينة خراكس في الطرف الأقصى من الخليج العربي، ومنها تمتد بلاد العرب السعيدة، وهي مبنية على مرتفع من صنع يد الإنسان بين نهر دجلة على اليمين، ونهر يولايوس Eulaeus على اليسار [مجرى الفرات القديم] عند النقطة التي يلتقي فيها النهران، ويبلغ اتساع الرقعة التي تقوم عليها ثلاثة أميال. وقد استعان الإسكندر الأكبر في تأسيس المدينة الأصلية بسكان مستعمرات أحضرهم من مدينة دورين، وكذلك بجنود جيشه العاجزين الذين تركهم هناك. وأمر أن يُطلق عليها اسم الإسكندرية، وأن تُسمى المنطقة الإدارية بيلا على اسم مسقط رأسه، وأن تُخصَّص للمقدونيّين فقط^(٣)».



صورة رقم (٥): صورة جوية لموضع ميسان نقلاً عن بحث: Adil Hashim Ali., (2017) Op. Cit., p.10

عندما وصل الإسكندر إلى بابل وجد أسطول نيارخوس قد سبقه إليها، وفي بابل أخذ الإسكندر يخطط لاستقرار فيها بغرض اتخاذها نقطة ارتكاز لتنفيذ بقية خططه الرامية لغزو الجزيرة العربية، هذا إذا

(١) الجنابي، قيس حاتم (د.ت)، الإسكندر المقدوني ومشروعه العالمي في بابل، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج ٥، عدد ١، ص ٢٢٠. وانظر: الناصري، سيد أحمد علي (١٩٧٦م)، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، من حضارات كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م، ص ٥٥٣. وانظر: موسى، فاطمة (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١٢١.

(٢) Adil Hashim Ali., (2017) Op. Cit., p.10.

(٣) بلينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٣١، الفقرة ١٣٨.

كان الإسكندر أصلاً يمتلك خططا مسبقة، فربما أن كل تحركاته كانت بما تمليه الظروف عليه، وفق هدف عريض؛ وهو احتلال العالم، هذا الهدف الذي تبلور في ذهنه بعد أن قوض أركان الإمبراطورية الأخمينية، ومهما يكن من أمر فقد شرع الإسكندر في وضع خطة لاحتلال بلاد العرب^(١). فأمر ببناء حوض كبير بمثابة مرسى للسفن التجارية في بابل، يتسع لألف سفينة، ويعد ذلك خطوة أخرى نحو السيطرة على الخليج العربي، وبذلك يكون الإسكندر قد جعل من مدينة بابل المحور المركزي التجاري والبحري الأهم في آسيا. فضلا عن أنه قام بدراسة الطرق المائية في الفرات وروافده ومدى استغلالها في تنشيط الملاحة مع الخليج العربي، وتوطيد طريق التجارة الدولي بين بابل والهند عبر مياه الخليج العربي^(٢).

كما يفيد سترابون: «أنه بنى عددا من السفن في فينيقية وقبرص وكانت هذه السفن مفككة إلى أجزاء ومجمعة في حزم خشبية نقلت في سبعة أيام، إلى تابساكوس Thapsacus [قرب الرقة] ومنها عبر النهر إلى بابل أما باقي سفن الحملة فقد بناها في بابل من خشب السرو الذي ينمو أدغالاً في الحدايق، رغم أن هذه البلاد تعاني من نقص في الأخشاب الصالحة للبناء السفن، إلا أن منطقة الكاشيين [جبال زاغروس] وبعض المناطق الأخرى فيها ما يكفي من موارد الغابات^(٣)». ويقدم لنا أريثاوس وصفا تفصيلا للأمر أكثر من سترابون، فيقول: «عندما وصل الإسكندر إلى بابل وجد أسطول نيارخوس الذي مخر عباب الخليج العربي إلى الفرات صاعداً، وهناك أسطول آخر نقل من فينيقية، وكانت هذه السفن قد نقلت من فينيقية إلى الفرات قطعا مفككة، ويتكون من سفينتين خماسيتين quinquereme من فينيقية وثلاث سفن رباعية quadrireme واثنتي عشرة سفينة ثلاثية وكان قد فكك هذه السفن لكي تنقل من فينيقية إلى نهر الفرات عند مدينة تابساكوس Thapascus، وهناك تم تركيبها ثانية، بعد أن جمعت، صارت سفناً، لتمر عبر عباب الماء إلى بابل، كما تم بناء أسطول آخر للإسكندر في بابل من قطع أشجار السرو التي تنمو في أرض آشور بكثرة، في حين تعاني هذه المنطقة من نقص في كل الأشياء الضرورية لبناء السفن. وقد أتى إليه الناس للعمل بوصفهم بحارة للسفن، ولأجل التجديف، وقد أتى عدد كبير من الصيادين والبحارة الفينيقيين، كي يعملوا في السفن ويقوموا على ظهرها بخدمات أخرى. وأقام الإسكندر قرب بابل ميناء محفورا يتسع لألف سفينة حربية راسية، كما شيد قرب الميناء ترسانة للسفن، وأوفد

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٥١.

(٢) الجنابي، قيس حاتم (د.ت)، الإسكندر المقدوني، ص ٢٢٠. وانظر: موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١٢١. وانظر: باقر (طه)، وآخرون، تاريخ إيران القديم، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ١، الفقرة ١١.

ميكالوس Miccalus من مدينة كلازوميناى Clazomenae [جنوب أزمير اليوم] إلى فينيقية وسورية ومعه ٥٠٠ تالنت talents للاستئجار وشراء ما يحتاج إليه، هذا المشروع الضخم من الخشب وموارد رجال يعرفون بناء السفن والبحر، ومن ذوي الخبرة في الشؤون البحرية، ذلك أن الإسكندر المقدوني كانت له فكرة في استيطان سواحل الخليج العربي والجزر القريبة من شواطئه، لأنه تصور أن في الإمكان جعل هذه المنطقة مزدهرة وعلى درجة من الرخاء لا تقل عن فينيقية. لقد بنى هذا الأسطول، ليهاجم به الجزء الأكبر من السكان العرب بحجة أنهم البرابرة الوحيدون في هذا الجزء من الأرض، ممن لم يوفدوا السفراء إليه ويظهروا له الاحترام والتبجيل»^(١).

وأخيرا بنى الإسكندر إسكندرية ثانية على نهر الفرات (ربما قرب مدينة أوروك Uruk) إلا أنه لم يكتب لها الاستمرار والبقاء، فطبقا لأريثانوس أسس الإسكندر إسكندرية ثانية على نهر الفرات، المدينة كانت بمثابة مخفر أمامي باتجاه بلاد العرب، وللسيطرة على الملاحة والتجارة على طول نهر الفرات، وعملية التأسيس كانت مشابهة لنظيرتها على نهر دجلة، ومن حيث العنصر السكاني المكون من المسرحين والمرتزة اليونان وكبار السن ومصابي الحروب^(٢)، إذ يقول أريثانوس: «أبحر الإسكندر من بابل عبر نهر بالوكوباس، وعندئذ واصل رحلته أسفل هذه القناة في المستنقعات المواجهة لبلاد العرب، وعندما رأى هناك موقع أعجبه كثيرا أقام مدينة فيه، وبنى حولها أسوارا، ووطن فيها بعض الجنود المرتزة اليونان الذين رغبوا في ذلك، وهؤلاء الذين كانوا غير قادرين على القتال؛ بسبب كبر السن أو الجروح^(٣)». ولا شك أن بناء هذه المدينة يندرج في سياسة الاسكندر الاستيطانية. ويرى بوتس أن السبب الكامن وراء تأسيسها أن الإسكندر أراد أن يحقق ثلاثة أغراض منها في الحد الأدنى: فأولاً ربما أنه سعى لإقامة قاعدة عسكرية أمامية ضد احتمال حدوث غارات عربية. ويرجح ثانياً أنه أراد أن يكون لديه مرفأً جديد، لاستخدامه كنقطة ارتكاز لأسطوله الذي بناه في بابل للهجوم به على بلاد العرب، في الحملة المزمع إرسالها. ثالثاً: ربما أنه أراد لهذه المدينة أن تلعب دورا تجاريا مهما على ساحل الخليج العربي، لتحل محل تيريديون^(٤).

(١) أريثانوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٧، الفصل ١٩، الفقرة ٣-٦.

(٢) Adil Hashim Ali., (2017) Op. Cit., p.10.

(٣) أريثانوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٧، الفصل ٢١، الفقرة ٧.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، من الإسكندر الكبير إلى ظهور الاسلام، ترجمة إبراهيم خوري، تعلق: أحمد السقاف، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، المجمع الثقافي في أبو ظبي، ص ٦٦٣.

ثالثاً: دوافع الإسكندر لاحتلال الخليج العربي:

١. أسباب سياسية: الرغبة في اخضاع العرب:

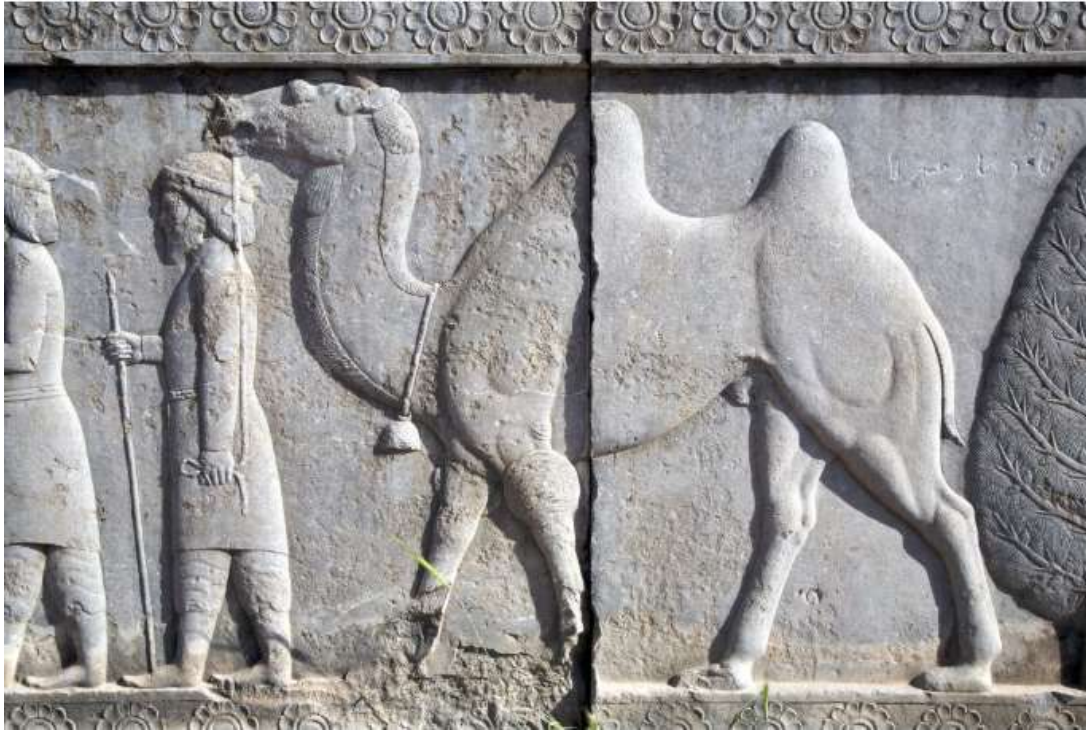
يمكننا أن نفصل في شرح رغبة الإسكندر وأهدافه من السيطرة على جزيرة العرب، وحتمية الصراع مع العرب، ويبدو أن أول هذه الأسباب كانت أسباب سياسية، يشرح لنا سترابون طموحات الإسكندر في احتلال الجزيرة العربية قائلاً: «إن الإسكندر كان ينوي الاستيلاء على العربية، وكان قد أعد الأسطول ونقاط الاستناد لحملته عليها... وزعم أريستوبولس أن الإسكندر أعلن أن سبب الحرب هو أن العرب هم الشعب الوحيد على وجه الأرض الذي لم يرسل إليه سفارة، بيد أن السبب الحقيقي هو سعي الملك المقدوني للسيطرة على العالم^(١)». بمعنى أن الإسكندر الذي كان يرغب في أن يتربع على عرش الدنيا -بعدما هدم الإمبراطورية الفارسية- كان من غير المعقول أن يقبل بوجود شبه جزيرة كاملة، في قلب مناطق نفوذه خارجة عن سيطرته، وبالتالي كان لا بد من إخضاعها بأي شكل، لاسيما أنه أجل الصدام معهم في أكثر من مناسبة، وتركهم على تخوم المناطق التي سيطر عليها، ففي شرقي الأردن كان يقيم الأنباط الذين برزت قوتهم التي لا يستهان بها في ذلك الوقت. بينما كانت قبيلة قidar القوية تتجول وتنتقل في جنوب فلسطين، وأمام حدود مصر بحرية تامة، وكانت قد جعلت مدينة غزة مدينة عربية في العصر الأخميني وقبل أن يدمرها الإسكندر، فعلى الرغم من تهديدها لحدود مصر لم يقم بإخضاعها واكتفى بتأمين حدود مصر، وذلك بإنشاء حصن بلوزيوم وإقليم هيرؤوبوليس/ هيرونبوليس Heroopolis (السويس)، وإعادة تحصين غزة. كما كان عليه تأمين الطريق البري بين مصر والشام من هجمات القبائل العربية وذلك لحين الخلاص من دارا والقضاء عليه^(٢).

لا بل إن مناطق شمال سوريا والرافدين لم تستقر أمورها الأمنية للمقدونيين؛ بسبب وجود العرب، فعندما أراد الإسكندر نقل جزء من خزينة وثروات الملك داريوس، والتي كان قد غنمها في سوسة، خشي من هجوم البدو عليها، وبالذات أولئك المقيمين عند أعالي الفرات في شرق إقليم الجزيرة وبادية الشام، وكان هؤلاء البدو يسيطرون على كل العراق في فترات الاضطرابات، وينهبون كل ما يمر عليهم. وقد أرسل مينيس وهو أحد رجاله ومعه قوة من تراقيا بقيادة بطليموس لحماية القافلة في الطريق، فعلى الرغم من أن

(١) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ١، الفقرة ١١.

(٢) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٣٤.

ولاية سورية كانت بمثابة جسر عسكري لنقل القوات من وإلى بلاد اليونان، لم يكن بها تواجد إلا في بعض المدن على الشاطئ الفينيقي وفي دمشق فقط. وعلى الطريق في المنطقة الممتدة بين دمشق وثابساكوس (قرب الرقة) على الفرات^(١). وهكذا كان العرب يشكلون مصدر رعب حقيقي ودائم على أمن إمبراطورية الإسكندر واستقرارها، وسواء كان هؤلاء العرب في أقصى الشمال (شمال سورية) أم في أقصى الجنوب (في سبأ) فجميعهم رفض إعلان الطاعة أو الإذعان، وهذا كان مصدر قلق دائم للإسكندر، وخطرًا على هيبة وسمعته العسكرية، ومصدر إزعاج يشغل باله، فالإسكندر لم يتقبل فكرة أن يرسل العرب الهدايا من البخور وغيره للأخمينيين كل عام، حسب ما علم من كتاب هيرودوت، «وكان العرب يقدمون ما يُعادل وزنه ألف تالينت من اللبان libanwtos كل عام»^(٢)، بينما يأنفون أن يرسلوا له وفدا ليمثل بين يديه، وإنما يؤكد تلك الحقيقة -تقديم العرب الهدايا للأخمينيين- هو وجود جدارية تؤرخ بعصر الدولة الأخمينية في مدينة شيراز الإيرانية، وتصور عربًا على جمالهم ويزيهم وهم يقدمون الهدايا إلى الملك الفارسي^(٣).



الصورة رقم (٦) : جدارية تؤرخ بعصر الدولة الأخمينية في مدينة شيراز الإيرانية، وتصور عربًا على جمالهم ويزيهم وهم يقدمون الهدايا إلى الملك الفارسي

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٣٥.

(٢) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٣، الفصل ٩٧، الفقرة ٥.

(٣) العتيبي، نوره صالح محمد (٢٠١٨م)، علاقة الجزيرة العربية، ص ١٨.

لا بل إن الأتكي من هذا وذلك، أن العرب لم يأبهوا به ولم يخفهم التهديد والوعيد، وبألتي كانت الحرب معهم أمرا لا مفر منه، وهذا ما يذهب إليه سترابون بالقول: «ومع ذلك فإن أحد مشروعاته كان بالتأكيد أن يحاول جعلهم يستقبلونه من تلقاء أنفسهم؛ وأن يحاربهم إذا لم يفعلوا، وخصوصا أنه لاحظ أنهم لم يرسلوا له سفراء لا قبل ولا بعد رحلته إلى الهند^(١)».

وكان أريائوس قد أورد هذا الخبر قبل سترابون حين قال: «لقد بنى الإسكندر هذا الأسطول ليهاجم به الجزء الأكبر من العرب بحجة أنهم البرابرة الوحيدون في هذا الجزء من الأرض، ممن لم يوفدوا السفراء إليه ويظهروا له الاحترام والتبجيل^(٢)»، فغاضه ذلك، والآن بعد أن قضى على داريوس حان الوقت لتصفية الحساب مع القبائل العربية، التي توانت عن تقديم فروض الطاعة والولاء له. ويضيف أريائوس إلى هذا الرأي رأيا آخر يرى فيه منطقية أكبر؛ وهو رغبة الإسكندر في كسب مزيد من الأراضي الجديدة: «ولكن الحقيقة كما تبدو لي أن الإسكندر كان لا يشبع أبدا من امتلاك أراضٍ جديدة^(٣)».

٢. أسباب فضولية: الرغبة في استكشاف هذه البلاد التي يلفها الغموض:

لقد ظهر نهم الإسكندر في المعرفة على أكمل وجه في استكشاف الأنهار والبحار والسواحل، وبقي دوما يشعر أن الأرض تضيق به، رغم ربح ممتلكاته ونمو توسعته العسكرية المطردة، فعندما احتل مصر أرسل بعثة علمية إلى السودان للبحث عن سبب فيضان نهر النيل السنوي، ويقال إن أرسطو عندما وصله التقرير المرفوع إلى الإسكندر صاح مبتهجا لم يعد فيضان النيل سراً علينا. كما جرد الاسكندر حملة أخرى كان هدفها كشف سواحل بحر قزوين، والوقف على حقيقة أمره إن كان بحيرة أم خليجا من المحيط^(٤).

ولا شك أن الإسكندر كان يمتلك بعض المعرفة عن بلاد العرب، ونظراً لأن معرفة الاسكندر ببلاد العرب كانت قائمة على هيكتيوس، ثم تعدلت وتوسعت من خلال هيروdot، ومن خلال خبراته الخاصة، فإن ذلك ربما يعني أمراً من اثنين: إما أن هذا المكان هو مجرد منطقة أخرى يعيش فيها العرب على ما يبدو، مثل ساحل سيناء أو جبل لبنان الشرقي. أو أنه كان على الجانب الآخر لبلاد العرب في شرق مصر، من المناطق البعيدة والتي تأتي بـ "البخور العربي" الذي كان مثمنا في عالم البحر المتوسط، والذي كان

(١) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٤، الفقرة ٢٧.

(٢) أريائوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٧، الفصل ١٩، الفقرة ٦.

(٣) أريائوس، المصدر نفسه، الكتاب ٧، الفصل ١٩، الفقرة ٦.

(٤) زهيراتي، متوديس (١٩٩٩م)، الإسكندر الأكبر، ص ٩٥.

الإسكندر نفسه يسرف في استخدامه^(١). إذا كان هناك غموض حول جزيرة العرب لا بد من استطلاعه، فمن غير المعقول أن تبقى هذه الرقعة من الأرض في قلب الإمبراطورية، مجهولةً يلفها الغموض، وتحيط بها القصص الأسطورية والخرافات المختلفة عن الحيات الطائرة والثعابين والأسماك التي تأكل الخيول.

وهكذا أخذ الإسكندر يهيئ نفسه لحملة على الجزيرة العربية، حيث كانت بلاد العرب تعد منطقة غير معروفة ويكتنفها الغموض بالنسبة للإسكندر، فالمعلومات عنها تكاد تكون معدومة وإمكانية اكتشافها وفك رموزها ليس بالأمر الهين، ولما كان الإسكندر ينوي تنفيذ مشروعه العالمي المتمثل بإقامة إمبراطورية عالمية تكون عاصمتها بابل، وإيجاد الطرق والسبل الممكنة لربط أجزاء هذه الإمبراطورية شرقاً وغرباً بالعاصمة الجديدة، فإنه أدرك ما لموقع بلاد العرب من أهمية جغرافية واقتصادية بالنسبة لبابل والشرق القديم كله؛ لذلك فقد شرع بإعداد الحملة المناسبة للسيطرة عليها، رغبة منه في ربط الخليج العربي بمصر والهند، والدوران حول الجزيرة العربية^(٢).

٣. أسباب اقتصادية: الرغبة في السيطرة على موارد ثراء العرب:

إذا أردنا أن ندرك أهمية شبه الجزيرة العربية التجارية، علينا أن ننظر إلى خريطة العالم القديم، فإننا سنرى نطاقاً صحراوياً عريضاً يمتد من المحيط الأطلسي حتى حدود الصين الغربية، ويفصل بين إقليمين غنيين كبيرين؛ هما إقليم البحر المتوسط وما وراءه شمالاً، والإقليم الموسمي وما وراءه جنوباً، هذان الإقليمان يمثلان أيضاً أكبر تكتلين سكانيين في العالم، وينتج كل منهما محاصيل تختلف عن محاصيل الآخر، وكل منهما محتاج لمحاصيل الآخر، أي محتاج للتبادل التجاري معه. غير أن العناية الإلهية كسرت حدة عقبة الصحراء الكؤود، بشق ذراعين كبيرين يتجهان من الشمال إلى الجنوب، وهما الخليج العربي والبحر الأحمر، وهذان الذراعان المائيان يقتربان اقترباً شديداً من ذراع ثالث له اتجاه شرقي-غربي هو البحر المتوسط. وهكذا تهيأ المسرح: طريقان مائيان يصنعان طريقين بحريين يعبران عقبة الصحراء الكؤود. ثم برزخان بريان كبيران؛ هما برزخ السويس من ناحية وبرزخ شرقي المتوسط وأعالي الفرات من ناحية أخرى، جعلاً من إقليميهما معبرين للتجارة العالمية. إن هذا الوضع الطبيعي لتوزيع الماء واليابس، وموقع شبه الجزيرة العربية

(١) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٢٥.

(٢) الحفصي، محمد الأسعد (٢٠٠٣م)، الغزو اليوناني لبلاد الرافدين، ص ٥٦.

بين البحر الأحمر والخليج العربي، وعلى مشارف بلاد الرافدين وسوريا وبرزخ السويس جعل شبه الجزيرة العربية في طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، بل جعلها هذا الموقع جزءا منها^(١).

لقد كان الإسكندر يعي جيدا الأهمية التجارية للجزيرة العربية، وقيمة محاصيلها من البخور، فكان يهدف من السيطرة على الخليج العربي أولا، وعلى باقي أقاليمها ثانيا؛ وجعلها جزءا من إمبراطوريته ثالثا؛ ليتم له بذلك التحكم بتجارة سواحل المحيط الهندي، والجزيرة العربية، والسيطرة على تجارة شرق إفريقيا، وآسيا، وتحويل ذلك المحيط إلى بحر يوناني^(٢). وكان العرب حتى تاريخه يحتكرون الملاحة في المحيط الهندي، حيث لم يجازف أحد بالإبحار فيه، ويرى عدد من المؤرخين الغربيين أن مرد ذلك إلى احتفاظ العرب بالوصف الكامل للطريق إلى الهند سرا، وعدم اطلاع أحد عليه، حرصا منهم على احتكارهم للتجارة الدولية فيه، وعززوا ذلك الاحتكار بما أشاعوه عن قصص الجن والأساطير والمخاطر تثبيطا لهم منافسيهم^(٣).

لقد كان الأمر مختلفا بالنسبة للإسكندر، فبعد أن سيطر على الطريق التجاري البري العظيم الذي يمتد من الهند شرق، عبر آسيا الوسطى، وجبال زاغروس، وهمدان، وبلاد الرافدين، ثم آسيا الصغرى وبلاد اليونان غربا^(٤)، فإنه حرص على ربط أجزاء إمبراطوريته بطريق بحري خاص، بعد ما لاقاه من مصاعب في الطريق البري إليها، ولذا نجده قد أدرك الصعوبات الكبيرة التي تواجه الناس في أسفارهم عبر طريق الحرير الواقع في قلب آسيا، ولذا فقد فكر في الربط بين الولايات البالغة الثراء مثل سوجديانا مع مركز الإمبراطورية وقلبها في البحر المتوسط بطريق بحري عبر المحيط الهندي والخليج العربي، ومن ثم إلى البحر الأحمر، وقد وجد أنه لن يتحقق له ذلك إلا بالسيطرة على بلاد العرب^(٥)، وعلى الطرق البحرية المحيطة بها، والطرق البرية التي تخترقها، فكلها كانت خارج سيطرته، وهذا ما كان يرفضه الإسكندر، لاسيما أن هذه الطرق لم تكن طرق تجارة عادية وحسب، وإنما طرق تجارة الطيوب والبخور والقرفة وغيرها من النباتات الطبية غالية الثمن.

(١) غلاب، محمد السيد (١٩٧٩م)، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، ص ١٩٠.

(٢) رضا، حلمي رسول (٢٠١٥م)، بلاد النهرين في العصر الهلنستي (٣٣١-١٢٦ ق.م)، أطروحة معدة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم اليوناني الروماني، مصر، القاهرة، جامعة القاهرة، ص ٨٢. وانظر: موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١١٧. وانظر: علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٥.

(٣) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٥م)، العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، مصر، جامعة عين شمس، ص ١٧٣.

(٤) Adil Hashim Ali., (2017) Op. Cit., p.

(٥) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٠٦، ١٠٧.

ولا شك أن ما تنهاها إلى مسامع الإسكندر المقدوني عنها من وصف يفوق الخيال، كان محرضاً أساسياً لغزوها على حد وصف أريثائوس الذي قال: «كانت خصوبة أراضيهم حافزاً خفياً له، لأنه سمع أنهم يحصلون الكاسيا Cassia من البحريات، أن القرفة الصينية نمت في واحاتهم حتى صارت غابات، كما أن البخور (المر واللبن) كان ينمو في تلك الواحات، أما العنبر فكان ينمو على مروج بلاد العرب كما لو أنه بذر فوقها. وأما مساحة بلاد العرب فإن الرواية أخبرته أن طول سواحل جزيرة العرب لا يقل عن طول ساحل الهند، وأن ثمة جزائر عديدة قريبة منه، وفيه بعض الموانئ الصالح لرسو السفن، وأن فيها مواقع يمكن أن تشاد عليها مدن تزدهر وتصبح غنية فيما بعد^(١)». ولا شك أن الاسكندر قد قرأ كتاب هيرودوت وأثار انتباهه أن العرب كانت ترسل إلى ملك الأخمينيين هدية سنوية من البخور وزنها ألف تالنت «وكان العرب يقدمون ما يُعادلُ وزنه ألف تالنت من اللبان libanwtos كل عام^(٢)» ويعلق دانيال بوتس قائلاً: ولا ريب أن الاسكندر توقع أن يأخذ من جزيرة العرب مثل تلك الثروة التي كانت تذهب إلى الأخمينيين^(٣). ولا بد أن الاسكندر سمع بأشياء أخرى، فهاجت فيه هذه الأخبار الشوق إلى الاستيلاء عليها، وهذا التعليل الأخير هو التعليل المعقول الذي يستطيع أن يوضح لنا سر اهتمامه بجزيرة العرب وتفكيره في إرسال البعثات الاستكشافية للبحث عن أفضل السبل المؤدية إلى الاستيلاء عليها^(٤). وتؤكد كتابات سترابون هذا الطرح فهو يقول: «يمكن أن يتخذ المرء الإسكندر نفسه شاهداً على ثروات بلاد العرب، إذ كان ينوي -كما يقولون- أن يجعل منها مقراً لحكمه بعد عودته من الهند^(٥)».

ولا شك أن كميات البخور التي استولى عليها الإسكندر في غزة كما ذكرنا من قبل، قد أسالت لعبابه لغزو الجزيرة العربية حيث توجد مناطق انتاج الطيوب والبخور ذاتها. كما أن شهرة بلاد العرب كانت محركاً لقادته وجنوده من المقدونيين والإغريق للمشاركة في غزوها رغبة في زيادة ثرائهم على الرغم مما كانوا ينتظرون من متاعب وسيرهم في عالم مجهول، حيث لم يصل جيش أجني إلى تلك الجهات أبداً من قبل، لقد حسبوا أنهم سيحصلون على غنائم، التي سيمنحهم إياهم الإسكندر، تعوض، بل تفوق كل ما قد يلاقونه من متاعب. وأمام هذا ليس غريباً أن تشتعل نيران الغضب والثورة في نفوس الجنود الذين سمعوا بأنه حان

(١) أريثائوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٧، الفصل ٢٠، الفقرة ٢.

(٢) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٣، الفصل ٩٧، الفقرة ٥.

(٣) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٦٦.

(٤) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١٢٤.

(٥) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٤، الفقرة ٢٧.

موعد تسريحهم، وأنهم بالتالي لن يشتركوا في عملية غزو الجزيرة العربية، مما يترتب عليه حرمانهم وفرقهم من الغنائم المنتظرة، ولذا نجدهم قد رغبوا في أن تمدد خدمتهم عاما أو عامين حتى يتسنى لهم المشاركة في الغزو، وحتى يحصلوا على الغنائم المتوقعة من بلاد العرب ذات الثراء الفاحش، بدلا من عودتهم إلى مقدونيا وبلاد اليونان^(١).

لقد كان الإسكندر يخطط للاستيلاء على طول ساحل الخليج العربي وجزره، وأعتقد أن بوسعه أن يؤمن طريقه التجاري، ويطور المنطقة حتى تصبح مزدهرة اقتصاديا مثل فينيقيا Phoenicia، لقد كانت تحضيرات الإسكندر العسكرية لغزو بلاد العرب تحت حجة واهية أن العرب لم يرسلوا وفودهم لإعلان الطاعة والولاء، لكن في الحقيقة كان الإسكندر يسعى من حملته على بلاد العرب إلى انتزاع مفاتيح التجارة الدولية من أيدي العرب^(٢). إذ لم تكن رغبة الإسكندر في السيطرة على الجزيرة العربية واستغلال مواردها ذاتها فحسب، بل كان يرغب أيضا في استغلال التجارة المربحة بين الهند والخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية، والتي علم بها من رحلة نيارخوس والذي كان قد رصد حركة السفن التجارية الكثيفة عند رأس ماكيتا وما تجلبه من سلع تجارية وكانت منتجات الهند والجزيرة العربية تصل إلى جنوب غرب الجزيرة العربية وتأخذ الطريق المعتاد إلى المتوسط أو تذهب إلى العراق حيث ميناء تيريديون، ونعرف أن الجرهانيين والسبئيين، كانوا يحتكرون، ويسيطرون على التجارة والملاحة العربية في بحر العرب، وفي الخليج العربي، وأنهم كانوا يسيطرون على حركة الملاحة حول الجزيرة العربية، وبينها وبين البحر الأحمر إلى الهند، أو على الأقل أشرفوا عليها، ويثبت ذلك وجود حركة ملاحية تجارية رائجة بين شواطئ كرمان وجيدروسيا^(٣).

٤. أسباب دينية: اعتقاد الإسكندر بألوهية نفسه:

لقد كان الإسكندر المقدوني ابنا لأولمبياس، وكانت هذه المرأة من مقاطعة أبيروس (ألبانية الحالية)، وقد أسهب المؤرخون في الحديث عن الطقوس الوثنية السرية التي تعلقت بها نساء تلك المقاطعة، والتي كانت تقام إكراما وتعظيما للإله ديونيسيوس، وكانت عابدات تلك الجمعيات يتنادين في الأعياد وعند حلول الموسم؛ لإقامة أغرب ما عُرف في التاريخ القديم من حفلات مشبوهة ومريبة، وكان الهدف من تلك الطقوس الوصول إلى الغيبوبة والشطح بمضغ اللباب والأعشاب المسكرة والرقص في جو عابق بالموسيقى الصاخبة

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٠٢.

(٢) Robert G. Hoyland., (2001) Arabia and the Arabs, From the Bronze Age to the coming of Islam., First published by Routledge., London and New York, pp. 22, 23.

(٣) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٠٣.

المصحوبة بنفقات الطلبة وأنات المزمارة، مع ما يتخلل ذلك من صرخات وزعقات مدوية، وكان أولمبياس والدة الإسكندر عضوا مرموقا في تلك الفرق. وقد اشتهرت علاوة على ذلك بمداعبة الثعابين والأفاعي؛ حتى أن زوجها وجد ذات ليلة إلى جانبها أفعى ترقد في فراشها، فارتاع لهذا الأمر. والأسوء من هذا أن أولمبياس أخبرته ذات مرة أنه لم يكن والد الإسكندر الحقيقي، بل إن صاعقة انقضت عليها ليلة زفافها وأشعلت فيها النار، وإن الإله زيوس Zeus * هو الذي حملت منه بالأمير المقدم. كما أخبرت الإسكندر بذلك السر الإلهي^(١). وهكذا نشأ الإسكندر مشحونا بآراء ومعتقدات غريبة جعلته يؤمن في قرارة نفسه أنه من نسل الآلهة، وقد رافقه هذا الشعور حتى اللحظات الأخيرة من حياته. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هي علاقة كل ذلك ببلاد العرب وبالرغبة بالسيطرة عليها؟!

إن الإجابة موجودة عند أريائوس: «تذكر الرواية أن الإسكندر سمع أن العرب يتعبدون فقط لمعبودين اثنين هما، أورانوس Uranus وديونيسيوس إله الخمر، أما أورانوس لأنه مرئي ويضم في نفسه الكواكب السماوية الأخرى وبخاصة الشمس التي تصدر عنها أكبر فائدة في كل الشؤون البشرية وأوضحها. وبفضل شهرة حملته على الهند، ولهذا فإن الإسكندر اعتقد أنه يستحق أن يتخذ العرب معبوداً ثالثاً، ولأنه قام بإنجازات لا تقل مكانة عن أعمال ديونيسيوس، وخصوصاً إن أخضع العرب، وتركهم يديرون شؤونهم طبقاً لعاداتهم مثلما فعل مع الهنود^(٢)». ويؤكد لنا سترابون الخبر نفسه عندما علم الإسكندر أن العرب لا يعبدون سوى الإلهين زيوس وديونيسيوس اللذين يهبان البشر ضرورات العيش كلها، أمل الإسكندر في الظفر بالنصر عليهم، حتى يعبد العرب قاطبة كإله ثالث، خاصة إذا ما منحهم استقلالية الأسلاف التي كانوا يتمتعون بها من قبل. ويضيف سترابون قائلاً: «على هذا النحو كانت اهتمامات الإسكندر حيال تجهيز القوات، وعلاوة على ذلك كان يتقصى بدقة أضرحة الملوك والحكام؛ فأكثر الأضرحة تقع وسط البحيرات»^(٣). وهكذا يتضح أن هناك دوافع دينية معلنة الهدف منها أن يعبد العرب، كما أن هناك دوافع دينية سرية متعلقة بعبادة ديونيسيوس الذي عبده العرب أيضاً. فما هي تلك الدوافع الخفية؟

* زيوس: يأتي هذا الإله على رأس الآلهة الأولمبية، التي تخيلها اليونان، وتتألف من ١٢ إلهاً، حيث كان رب الآلهة والناس، وكان اسمه يعني السماء. وله مجموعة من الأساطير أشهرها قصة مولده في جزيرة كريت. انظر: عجيب، أحمد علي (٢٠٠٤م)، دراسات في الأدب اليوناني القديمة، ص ١٥٤.

(١) سارة، خليل (٢٠٠٩م)، تاريخ الوطن العربي القديم في العصور الكلاسيكية، ص ٤٠، ٤١.

(٢) أريائوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٧، الفصل ٢٠، الفقرة ١.

(٣) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ١، الفقرة ١١.

لا شك أن الإسكندر الذي كان مهووسا بالملاحم والأساطير، كان قد تنافس مع أبطال أسطوريين وأنصاف آلهة كثر مثل أخيل وهرقل وبرسيوس، لكنه لم يكتفِ بهم، فقد تنافس مع الإله ديونوسوس نفسه في الهند، وأنه ما يزال ينوي أن يتنافس معه في بلاد العرب، سواء في أعمال الحروب والتوسعات العسكرية أم في تشييد المدن، لاسيما بعد أن سمع أن هذا الإله قد تجول في بلاد العرب، لأنها كانت تنتج النبيذ المفضل له. ورأى أن محاولة التنافس معه والتفوق عليه في بلاد العرب يجعله يقوم بأعمال فذة وخارقة تكاد تفوق طاقة البشر ولا يقوم بها إلا الآلهة، كما أنها لا تقل عن أعمال ديونوسوس، وتوقع أنه بنتيجة احتلالها وتشييد المدن فيها ومنحها حق السيادة، وكجالب الحضارة لها كخليفة لديونوسوس، أن ينهال عليه العرب بكل مظاهر التكريم والتبجيل المقدس. ولكنه لم يكن يدري أن العرب كانوا لا يعبدون الأحياء أو يؤلهون الأحياء في أثناء حياتهم، وأنه لا يمكن الانتقال من منزلة البشر إلى منزلة الآلهة في أثناء الحياة، ولذا فقد كان يطلب المستحيل من العرب^(١).

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ٩٧.

رابعاً: البعثات الاستكشافية لاحتلال الخليج العربي:

بعد اكتشاف الإسكندر للخليج العربي -بواسطة رحلة نيارخوس البحرية- صار على بينة من وجود جزيرة العرب وأبعادها، ويبدو أن الفرس قد أبلغوه بأن الأرض بين هذين الخليجين هي شبه جزيرة. وعلاوة على ذلك، وبالنظر إلى التقارير التي جمعها نيارخوس^(١)، قام الإسكندر بإرسال ثلاث بعثات استكشافية لجمع المعلومات الاستخباراتية عنها^(٢)، ويتحدث أريائوس عن موضوع الرحلات الاستكشافية للساحل الغربي للخليج العربي فيقول: «أما هؤلاء الذين أرسلهم الإسكندر من بابل، لكي يبحروا إلى أبعد ما يستطيعون على يمين الخليج العربي، لتعرف المناطق الموجودة هناك فإنهم استكشفوا بعض الجزر الواقعة في الممر الملاحي. ومن المحتمل أنهم نزلوا أرض بلاد العرب نفسها. ولكن أحدا منهم لم يستطع أن يدور حول اللسان الذي يذكر نيارخوس أن رفقاءه شاهده ممتدا داخل البحر في مواجهتهم، ولم يستطع أحد أن يصل إلى الجانب الآخر منه^(٣)». والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا كل هذه الرحلات الاستكشافية؟ علما أنه هدم دولا واحتل بلدانا، دون أن يقوم بأي حملة استطلاعية.

يبدو أن الأمر كان مختلفا بالنسبة للجزيرة العربية، ويبدو أن الإسكندر كان يعي جيدا حجم ذلك الاختلاف فمن المحال اقتحام الجزيرة العربية من البر، حيث كان سيلقى مقاومة القبائل العربية، وصعوبة قطع الفيافي والصحاري الشاسعة، وقلة المياه والمؤن، وكان على علم أكيد بكل ذلك من خلال تجارب الماضين، فالملك الفارسي قمبيز Cambyeses ما كان له أن يعبر الصحراء العربية لاحتلال مصر، لولا أن أجاز له العرب ذلك، وأمنوا له ما احتاج من ماء على طول الطريق^(٤). كما علم من قادة جيشه بصعوبة الاستيلاء عليها من البر، فأغلب الجزيرة العربية بحر من الكثبان الرملية. وحتى لو تسنى له ذلك الاحتلال؛ فمن الصعب الاحتفاظ بها أمداً طويلاً، والمحافظة على طرق المواصلات الطويلة التي تخترقها، وإيصال المؤن إلى جيشه وجنوده ونقاط ارتكازه فيها، لذلك لم يفكر أصلاً في الاستيلاء عليها من البر. ولما كان ثراء سكان الجزيرة العربية المشهورين به؛ ليس من ثراء محاصيلهم وإنتاجها فقط، وإنما من تجارتهم بمحاصيل كانوا يستوردونها من أسواق إفريقيا والهند أيضاً، لذلك رأى للإسكندر أن يسيطر على موانئ الجزيرة العربية

(١) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٢٦.

(٢) هيلند، ربرت (٢٠١٠م)، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام ٣٢٠٠ ق.م - ٦٣٠م، ترجمة عدنان

حسن، مراجعة زياد منى، شركة قدمس للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ص ٤٧.

(٣) أريائوس، كتاب الهند، الفصل ٤٣، الفقرة ٨ - ٩.

(٤) هيرودوت، التاريخ، الكتاب ٣، الفصل ٧، الفقرة ١-٢.

باحتلالها ويضع قواعد له فيها، فيحرمها من تجارتها ومواردها، فيقطع عنها -إن تيسر له النجاح- اتصالها بأسواق إفريقيا والهند وما وراء البحار، وهي الأسواق الرئيسية التي كانت تمون بلاد العرب بالثراء، وهكذا بوسعه أن يسيطر على مفاتيح الجزيرة العربية وعلى النقاط الحاسمة فيها بسهولة ويسر، وبدون تكاليف باهظة، وبذلك يحكم قبضته على خناقها، وقد عزم على تحقيق مشروعه من البحر، وأدرك أن الحملة البحرية وحدها ستمكنه من السيطرة على موانئ الجزيرة العربية^(١).

١. بعثة الأميرال أرخياس:

لقد أرسل الإسكندر المقدوني مجموعة من الرحلات البحرية من بابل لاستكشاف الشواطئ العربية، بدأ بالخليج العربي، وكانت أول هذه الرحلات الرحلة التي قادها الأميرال أرخياس Archias (وكان قائد في أسطول الإسكندر تحت إمرة نيارخوس)، وكان الأسطول الذي أرسله الإسكندر المقدوني تحت قيادة أرخياس يتألف من سفن صغيرة ثلاثية المجاديف^(٢)، لاستكشاف الطريق البحري إلى بلاد العرب؛ الذي يوازي ساحل الجزيرة العربية، وكان أرخياس قد مخر في البحر في شتاء سنة ٣٢٤/٣٢٣ ق.م فمرَّ على جزيرة فيلكا، ثم تابع طريقه حتى وصل إلى جزيرة تيلوس Tylus (البحرين)، ولكنه لم يقدم إلى السفر إلى ما بعدها، ويقدم لنا أريائوس نتائج هذه الرحلة فالمعلومات التي جمعها أرخياس قدمها للإسكندر هي أنه قد «علم بوجود جزيرتين في البحر قرب مصب نهر الفرات. أولهما [فيلكا] ليست بعيدة عن مصب الفرات الأولى، حيث تبعد نحو مئة وعشرين إستانديون من الساحل ومن مخرج النهر [نحو ١٢ ميل]، وتكتظ بغابة من كل نوع من الشجر، كانت تحوي أيضًا مزار أرتميس*، وكان سكان الجزيرة يقضون حياتهم حوله، وترعى في الجزيرة الغزلان والماعز البري [التيوس] وبوسعها أن تتجول طليقة لأنها كانت موقوفة لأرتميس ولا يجوز صيدها إلا من أجل تقديمها كأضاحي إلى هذه الربة نفسها فقط، بناءً على هذا الشرط فقط لم يكن الصيد محرماً. ويذكر أريستوبولس Aristobolus بأن الإسكندر أمر أن تسمى هذه الجزيرة باسم إيكاروس Icarus على اسم جزيرة في البحر الأيحي إلى الغرب من آسيا الصغرى تحمل هذا الاسم، والتي عليها - كما تقول الأسطورة - سقط إيكاروس ابن دايدالوس Daedalus بعد أن ذاب الشمع الذي ألصق به أجنحته، بعد أن عصا نصيحة والده بعدم الطيران على مستوى مرتفع، حيث أذابت الشمس بحرارتها

(١) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١٢٢.

(٢) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٣٠.

* أرتميس: لقد اشتهرت أرتميس التي انتشرت عبادتها انتشارا واسعا بأنها إلهة الصيد، وهي أخت أبوللون وبنات زيوس. انظر: عجيب، أحمد علي (٢٠٠٤م)، دراسات في الأدبيات الوثنية القديمة، ص ١٥٦.

الشمع عندما اقترب منها، وهكذا سميت الجزيرة باسمه وكذلك البحر. أما الجزيرة الأخرى فقليل إنها على مسافة إبحار لسفينة تسوقها ريح موالية ليوم وليلة عن مصب الفرات. كانت تدعى تيلوس [البحرين]، وكانت كبيرة ولم تكن لا وعرة ولا مكسوة بالغابات في معظمها، بل كانت من النوع الذي ينتج المحاصيل الزراعية وكل الأشياء في الفصل المناسب^(١). لا شك أن هذه الرحلة والمعلومات التي جمعتها قد أثارت مطامع الإسكندر، ولاسيما بعد أن سمع عن طبيعة جزيرة فيلكا، ومكانتها الدينية، وموقعها الممتاز، كما سمع عن لؤلؤ البحرين، وموقعها في قلب الخليج العربي، فأردفها برحلة ثانية.

٢. بعثة الأميرال أندروستينيس التاسي:

لقد كان الرحلة الثانية بقيادة أندروستينيس Androstenes من تاسوس Thasos والذي كلف بالإبحار حول شبه الجزيرة العربية انطلاقاً من الخليج العربي مع سفن ثلاثية أخرى^(٢). إن هذه الإشارة المقتضبة التي أوردها أريثاؤوس يستكملها التقرير المستمد من الحملة، الذي استخدمه إراثوستينيس بعد نصف قرن من ذلك التاريخ في معرض وصفه لبلاد العرب الشرقية^(٣). ومهما يكن من أمر فإن أندروستينيس كان هو الآخر قائداً لإحدى السفن في أسطول نيارخوس العائد من الهند. وقد أعطاه الإسكندر الأوامر لاستكشاف ودراسة سواحل الجزيرة العربية وجزر الخليج، وذلك لخدمة الأغراض العسكرية. وإيجاد أماكن صالحة لهجرة والاستيطان، وجمع معلومات عن التربة والأشجار والنباتات بالمناطق التي يمر بها. وقد مر أندروستينيس عند إبحاره بمدينة تيريديون (الأبله) عند مصب نهر الفرات، وعلى جزيرة إيكاروس (فيلكا) ثم ببعض مناطق الساحل العربي. وأهمها مناطق الجرهاء (وهي واحة بين بحيرات مالحة)، وبعد ذلك عرج على جزيرة تيلوس في ديسمبر/ يناير سنة ٣٢٤ / ٣٢٣ ق.م حيث قام بمسح الجزيرة. وأخيراً فإنه أبحر صوب مدخل الخليج العربي عند ماكيتا/ ماكاي Macae (أي إلى مضيق هرمز Hormozia)، والذي وصله بالفعل بعد أن قطع مسافة قدرها عشرة آلاف إستاديون. وقد اضطر للعودة، وقدم تقريراً مفصلاً عن رحلته اسماء "رحلة حول الساحل الهندي"، حدد فيه المسافات بين الأماكن المختلفة، كما ضمنه أهم المناطق ومنتجاتها الزراعية وتجارتها. وقد خدم هذا التقرير البحارة من بعده، ومما لا شك فيه أنه كان يقرأ على نطاق واسع في العصر الهلنستي والروماني وهذا ما نستشفه من كتابات إراثوستينيس Eratosthenes (٢٧٦

(١) أريثاؤوس، *حملات الإسكندر*، الكتاب ٧، الفصل ٢٠، الفقرة ٣-٦.

(٢) أريثاؤوس، *المصدر نفسه*، الكتاب ٧، الفصل ٢٠، الفقرة ٧.

(٣) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، *تطور الوعي اليوناني*، ص ١٢٦.

١٩٤- ق.م) وأرتميدورس Artemidoros (سنة ١٠٠ ق.م) وأثنايوس Athenaeus (سنة ٢٠٠م) وثيوفراستوس Theophrastes الذي عاش في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن معلومات هذه الحملة أكدت معلومات الحملة التي سبقتها بخصوص أهمية جزيرة فيلكا (إيكاروس)، حيث دون لنا سترابون عن تلك الحملة ما يلي: «ينقل إراتوستينيس عن أندروستينيس الذي أبحر مع الأسطول حول الخليج العربي قوله: إذا أبحرت على طول الساحل والبر على يمينك، فإنك ستلقى بعد تيريديون مباشرة جزيرة إيكاروس الواقعة أمام الشاطئ وفيهما معبد مكرس لأبوللون وموحي تاوروبولوس Tauropolus^(٢)». أما المعلومات الأهم فهي تلك المعلومات التي قدمها أندروستينيس للإسكندر عن الجرهاء، فنحن نعلم من تقريره أن الجرهاء كانت في منطقة ذات أهمية كبرى؛ نظراً لوجود مصادر مياه عذبة فيها، لذا تحولت بسرعة إلى مركز تجاري بالمنطقة، بينما كانت بقية سواحل الخليج العربية الغربية فقيرة بالمياه^(٣)، ويحدد سترابون موقعها بدقة فيقول: «بعد أن تبحر على طول شواطئ العربية ٢٤٠٠ مرحلة تلقاك في عمق الخليج العربي مدينة الجرهائيين، وهي مستوطنة الكلدانيين المنفيين من بابل، والذين يعيشون هنا في مكان تربته مالحة، وتقع المدينة على مسافة ٢٠٠ مرحلة عن البحر، وعمل أهل الجرهاء بالتجارة، فينقلون برا بضائع العربية وعطورها^(٤)».

وربما أن الإسكندر قد سمع بتجارها وهو في بابل؛ فقد كان أهلها في عهده من كبار تجار البر والبحر في منطقة الشواطئ العربية للخليج، كما أنهم لعبوا دوراً هاماً بالنسبة لتجارة السلع والبضائع والتوابل^(٥)، وقد أكد سترابون نقلاً عن أريستوبولس (أحد ضباط الإسكندر) ذلك الأمر بالقول «كان أهل الجرهاء ينقلون الجزء الأعظم من بضائعهم إلى بابل على طوافات؛ فهم يبحرون من هنا مع بضائعهم صعوداً في نهر الفرات حتى تابساكوس [قرب الرقة]، ثم ينقلونها من هناك برا إلى شتى أرجاء البلاد^(٦)». كما كان هناك طريق يخترق قلب الجزيرة العربية حتى حضرموت قال عنه سترابون «وأتى سكان الجرهاء إلى إقليم حضرموت في أربعين يوماً^(٧)». ويبدو أن الإسكندر قد جمع معلوماته عن الطرق البرية التي كان يسلكها

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٣٣.

(٢) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٢.

(٣) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٣٣.

(٤) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٣.

(٥) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٣٩.

(٦) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٣.

(٧) سترابون، المصدر نفسه، الكتاب ١٦، الفصل ٤، الفقرة ٤.

الجرهائيون في تجارتهم، إما من أندروستثيس أو من أهل العراق أنفسهم، لكن من تقرير أندروستثيس عرف الاسكندر أن عند الجرهائيين يوجد مدينتان إحداهما هي الجرهاء نفسها، بينما المدينة الثانية التي حملت اسم (الحجر) في العصور القديمة والوسطى والتي يعني اسمها المدينة المسورة، أو ذات الأسوار^(١).

كما تعرف الاسكندر على جزر البحرين وأرادوس من تقارير أندروستثيس ولذا فإننا مدينون له كشاهد عيان على أحوال البحرين، فقد كان هذا التقرير معيناً نهل منه الكتاب القدامى، إذ يقدم لنا كل من اثيناؤوس وبلينيوس معلومات عن اللؤلؤ الذي اشتهرت به البحرين^(٢). يقول بلينيوس: «اللؤلؤ الأكثر قيمة موجود في إقليم بلاد العرب، وفي الخليج العربي الذي يُشكّل جزءاً من البحر الأحمر^(٣)». كما تشير المصادر إلى الأعداد الكبيرة من السفن الكبيرة والصغيرة المشاركة في صيده، كما كشفت الحفريات الأثرية عن معلومات مؤكدة حول تجارة اللؤلؤ النشطة مع إيران، فقد عثر في مقبرة سيدة في سوسة من القرن الرابع قبل الميلاد على عقد من اللؤلؤ به ٢٣٨ حبة لؤلؤ. كما عثر على عدد آخر من حبات اللؤلؤ يتراوح ما بين ٤٠٠-٥٠٠ حبة لؤلؤ. وقد كانت بابل من الأسواق التي يباع بها. ويذكر أندروستثيس نوعاً من الخشب تصنع منه السفن في البحرين والتي كانت تستخدم في صنع اللؤلؤ. ويقول أيضاً أن هذا الخشب لا يتلف في البحر وأنه مأخوذ من أشجار تنمو في البحرين أو يستورد من الخارج. وليس غريباً أن نجد اهتمام أندروستثيس بجمع معلومات كافية عن جزر البحرين، بل وزيارة الجرهاء، وذلك بغرض أن تكون نقطة الارتكاز للهجوم على الجزيرة العربية، خاصة وأن الجرهاء يربطها بجنوب وشرق الجزيرة طريق بري تنقل عبرها القوافل التجارية طيوب وعطر وبخور الجنوب^(٤).

٣. بعثة الأميرال هيرون السولي:

لقد عزم الإسكندر على تحقيق مشروعه من البحر فكلف هيرون Hieron بمتابعة السواحل العربية، ودراسة أحوال سكانها، ومواقع المرافئ، وأماكن المياه، والمنابت ومواقع الشجر فيها، وعادات العرب وأحوالهم، لتكون جيوشه على بينة من أمرها، إذ ما أقدم أسطوله على الشروع في تحقيق هذا المشروع الخطير^(٥). وقد قدم لنا أريثاؤوس وصفاً وافياً للحملة الثالثة فيقول: «كان هيرون السولي Hiron of Soli

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٤٠.

(٢) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، المرجع نفسه، ص ١٤٠.

(٣) بلينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٩، الفصل ٥٤، الفقرة ١٠٦.

(٤) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٤١.

(٥) عبد العظيم، عبد العظيم أحمد (٢٠١٥م)، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان، ص ٢٣، ٢٤.

ربانا أكثر من الذين سبق إرسالهم، وكان هذا الرجل قد حصل من الإسكندر على سفن ثلاثية أيضا، وكانت التعليمات الصادرة إليه أن يساحل جزيرة العرب حتى الخليج الكائن قرب مصر بإزاء هيرؤوبوليس/ هيرونبوليس Heroopolis [خليج السويس]، وعلى الرغم من قيامه برحلته البحرية حول شبه الجزيرة العربية ووصوله فيها إلى مدى بعيد إلا أنه لم يجرؤ أن يتقدم أكثر من ذلك، على الرغم من أنه أبحر مسافة طويلة حول أرض العرب، وعاد أدراجه وأخبر الإسكندر أن حجم الخليج العربي كبير جدا، وأنه لا يقل كثيرا عن أرض الهند، وأن طرفها [أي البلاد العربية] يمتد طويلا في البحر الكبير. وفي الحقيقة أن البحارة المصاحبين لنيارخوس رأوا هذا الطرف ممتدا على مسافة ليست بالبعيدة قبل أن يحولوا مسارهم إلى الخليج العربي في أثناء عودتهم من الهند. ولمدة قصيرة فكروا في أن يعبروا إليه. وكان ريان سفينته أونيسيكريتوس Onesicritus يرى ذلك. ولكن نيارخوس قال: إنه منعه إذ كان عليه أن يقدم تقريرا للإسكندر عن جميع الأشياء التي كلفه بها بعد أن يبحر حول الخليج العربي. ولم يكن نيارخوس مكلفا بأن يبحر في البحر الكبير بل أن يستكشف الأراضي المطلة على ساحل البحر، والناس المستوطنين لها، والموانئ والأنهار فيها، وأن يلاحظ عادات أهلها، وما إذا كانت تنتج ثمارا جيدة وأخرى سيئة، وكان هذا تحديدا هو السبب في سلامة الحملة البحرية للإسكندر؛ لأنها ما كانت ستعود بسلام لو أبحرت عبر صحراوات بلاد العرب، ويروى أن هذا أيضا هو السبب الذي جعل هيرون يعود أدراجه^(١). طبعاً نحن لا نعلم إلى أي مدى وصل هيرون، ولكن إذا كان أريثائوس دقيقاً في وصفه الذي تقدم، يمكننا القول: إن أحدا لم ينجح في التجوال خارج حدود الخليج العربي، وإن أحدا لم يقطع رأس مسندم شرقاً، ورغم ذلك فقد جمع هيرون قدراً كبيراً من المعلومات حول الساحل العربي للخليج والجزر التي تقع عليه^(٢).

وبعد أن تم عرض جهود الحملات الكشفية يتوجب إيجاز واجباتها؛ إذ كانت مهام تلك الحملات المبحرة من بابل على النحو الآتي: أولاً: البحث عن أماكن صالحة لتوطين الفينيقيين والسوريين، وذلك لأن الخليج العربي لن يعمر وتعظم به الحركات التجارية البحرية إلا إذا أقام به سكان مهتمون بالبحر وارتياحه وبالتجارة البحرية. ثانياً: الاهتمام بالموارد الطبيعية والنباتات والمحاصيل المختلفة للجزر والمرافئ وبعض مناطق الساحل الشرقي للجزيرة، وساحلها الغربي والجنوبي أيضاً. ثالثاً: دراسة الأماكن والمناطق التي سينزل بها

(١) أريثائوس، حملات الإسكندر، الكتاب ٧، الفصل ٢٠، الفقرة ٨ - ١٠.

(٢) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٢٦.

الجيش وربما دراسة وجمع معلومات عن الطرق التي سيسلكها الجيش بغرض الوصول إلى جنوب الجزيرة العربية^(١).

٤. بعثة البحر الأحمر:

بينما كان هؤلاء البحارة يقومون بمحاولاتهم لاستكشاف بلاد العرب انطلاقاً من بابل عبر الخليج العربي، يبدو أن الاسكندر قد أرسل على الأقل حملتين في محاولة للطواف بحراً في الاتجاه المقابل. وبدأت الأولى تحت قيادة أناكسيكراتيس Anaxicrates من الخليج الإيلاني (خليج العقبة) والأخرى من ذلك الخليج الموجود بالقرب من هيرؤوئوليس/ هيرونبوليس (خليج السويس). وقد جمعت هاتان الحملتان معلومات قيمة عن طوبوغرافيا وسكان كلا الجانبين على البحر الأحمر، بما في ذلك تحديد جنوب الجزيرة العربية على أنه موطن للبخور والمر واللبان. وقد اجتازت إحدى الحملتين على الأقل باب المنذب، وانطلقت لمسافة كبيرة على طول الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، ولكن على ما يبدو لم تتمكن من إتمام عملية الطواف بالدخول إلى الخليج العربي. ولقد أصبح التقرير الصادر عن رحلة أناكسيكراتيس المصدر الرئيس لتوصيفات ثيوفراستوس والكتاب اللاحقين^(٢).

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٣٧.

(٢) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني، ص ١٢٧.

خامساً: قرع طبول الحرب على العرب:

لقد استغرق الإسكندر وقتاً طويلاً في الإعداد لحملته العسكرية على بلاد العرب ٢٢٥ - ٢٢٣ ق.م، وبعد أن رتب الإسكندر المقدوني أمور بابل، وتلقى تقارير قادة حملاته البحرية، وأدرك أو تأكد أن بلاد العرب شبه جزيرة، وأنها كتلة يابسة تتوغل داخل البحر وأن مساحتها قريبة من مساحة الهند، وأنها ضرورية لحركة التجارة العالمية ولربط الولايات الشرقية بغرب الإمبراطورية، فمن المؤكد أن ذلك قد زاد دوافعه إلى ضمها إلى إمبراطوريته وذلك لاستغلال الجزر والمرافئ الطبيعية على سواحلها سواء في الخليج العربي أم جنوب الجزيرة العربية، لتكون أماناً لرسو السفن ومحطات لأسطوله، كما أنه كان يهدف إلى استغلال المساحات الواسعة الصالحة على ساحل الخليج العربي لبناء مدن عامرة^(١).

وهكذا بعد أن تجمعت المعلومات الكافية عن الجزيرة العربية، قرر الإسكندر أن يبدأ الحرب على العرب، وقد اجتمع مع نيارخوس لبحث شؤون الحملة المزمع إرسالها على سطح قصر الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م)، وكان قد بدأ التهيؤ بحملة كبيرة لغزو بلاد العرب، وبناءً على ملاحظات نيارخوس أصدر الإسكندر المقدوني أوامره ببناء سفن كبيرة إضافية وإعداد أسطول جديد يتكون من اثنتي عشرة سفينة عابرة للبحار في ترسانات فينيقية Phoenicia ذات ثلاث طوابق من المجدفين Triremes وثلاث بوارج من ذات الأربع طوابق من المجدفين، وأربعة أخرى من ذوات الأربع طوابق من المجدفين، بالإضافة إلى ثلاثين سفينة إمداد صغيرة ونقلها إلى ميناء تابساكوس على الفرات قرب مدينة الرقة السورية، حيث أعيد تركيب أجزائها، وبنيت أيضاً عدة سفن أخرى من خشب السرو في بابل^(٢).

وهكذا بدأ الإسكندر يستعد للحرب بعد أن توفرت له المعلومات الكافية عن الجزيرة العربية من الرحلات التي أنفذها في الخليج العربي، وقد أعطى الإسكندر توجيهاته الخاصة لنيارخوس وباقي ضباط الأسطول للشروع بالحملة، والتي كان من المقرر أن تبدأ بعد يومين، أي في الرابع والخامس من حزيران ٢٢٣ ق.م. وكان الاسكندر سيعمل على تحريك الجيش بعد ابحار نيارخوس بيومين فقط، حيث كان على نيارخوس أن يبحر في الخليج العربي وفق نتائج تقارير البحارة المتوفرة لديه، على الأقل حتى رأس مسندم، ومن الممكن أن يكون الأسطول قد خطط له للإبحار حول الجزيرة العربية، وهنا سيكون الاستكشاف

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٠٨.

(٢) رضا، حلمي رسول (٢٠١٥م)، بلاد النهرين في العصر الهلنستي، ص ٨٤.

والأعمال الحربية معاً، في الوقت نفسه الذي كان يتوجب على الجيش أن يسير بمحاذاة الساحل سالكاً الطريق إلى الجرهااء. ولا شك أن الاسكندر أخر موعد حملته الى شهر حزيران حتى يكون قد ملأ مخازنه بالحبوب بعد شهر الحصاد في أيار^(١).

وبينما كانت الاستعدادات لإرسال الحملة الكبرى على بلاد العرب تجري على قدم وساق، جرى إقامة حفل كبير في مطلع شهر حزيران سنة ٣٢٢ ق.م على شرف نيارخوس، الذي تقرر إسناد قيادة الحملة إليه، وفي اليوم التالي للحفل أصيب الإسكندر بالحمى. وعلى الرغم من هذا لم تتوقف الاستعدادات لإرسال الحملة، وحرص الإسكندر على الرغم من مرضه على مناقشة الخطة مع نيارخوس، وفي مساء اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ٣٢٢ ق.م مات الإسكندر ولم يكن قد بلغ الثالثة والثلاثين من عمره، فتوقفت جميع مشاريع غزو بلاد العرب^(٢). أما نيارخوس فقد كان له مكان في المنازعات الأولية التي حدثت بين ضباط جيش الاسكندر على السلطة وحكم الإمبراطورية، حيث قام نيارخوس بدعم هيراكليس ابن الإسكندر من عشيقته بارسين. ثم انضم إلى معسكر أنتيجونوس الأول. وذكر للمرة الأخيرة عندما أصبح مستشاراً لديميترىوس الأول المقدوني، وما حدث بعد ذلك غير معروف على الرغم من أنه ربما تقاعد لكتابة سيرته.

(١) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٣٧.

(٢) فرح، أبو اليسر (٢٠٠٢م)، الشرق الأدنى، ص ٣٧.

سادساً: آثار الإسكندر في الخليج العربي:

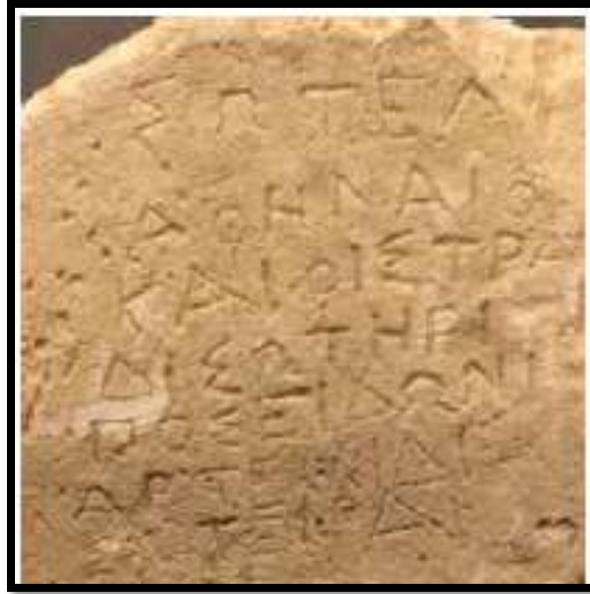
لا شك أن أفضل آثار الإسكندر المقدوني في الخليج العربي، موجودة في جزيرة فيلكا، حيث اختار الإسكندر وقادة جيشه هذه الجزيرة، لأهميتها من الوجهة العسكرية؛ من حيث رسو سفن الأسطول اليوناني بها، وقد عثر علماء الآثار في هذه الجزيرة بمنطقة منخفضة بين تلي سعد وسعيد على بيت (يعرف اصطلاحاً باسم دار الضيافة) يعود إلى عصر الإسكندر، يتألف من اثنتي عشرة غرفة منها اثنتان في الوسط (ربما يشكلان ساحة المنزل)، وقد شيدت بعض أجزاء الجدران المكتشفة من مادة الطابوق بمقياس ٢٠ - ٣٠ سم من النوع الشائع في جنوب العراق وفي الغالب تم جلبه من هناك. ويظهر من المواد المكتشفة أن إحدى غرف الدار قد اتخذت ورشة حيث عثر فيها على قوالب عدة من الطابوق، حوت إحداها على صورة مصغرة ربما تمثل الإسكندر المقدوني ارتفاعها ٦ سم، تشابه التمثيل المعروفة لنا للإسكندر، والتي تصوره بعين واسعة وأنف روماني. كما عثر على قوالب أخرى لتمائيل صغرى ربما استعملت لصنع تماثيل تقدم إلى الربة صاحبة المعبد في الجزيرة. ربما قدمها جنود الاسكندر حمداً لآلهة هذه الجزيرة على عودتهم الميمونة من الهند. وقد وجدت سنة ١٩٣٧م في جزيرة فيلكا صخرة مدونة بكتابة يونانية نصها «سوتيليس Sotilis المواطن الأثيني والجنود كرسوا هذا إلى زيوس سوتير Zeus Soter (المنقذ) وإلى بوسايدون Poseidon وإلى أرتميس المنقذة Artemis Soteira»^(١). لقد كانت هذه إحدى اللوحات الأربعة الخاصة بسوتيليس، والتي وجدت في إيكاروس (فيلكا)، مما يجعلنا نصدق بأن الخليج كان مركزاً (للأثينيين) القادة والجنود^(٢).

إن وجود الحامية اليونانية (من أثينا)، قد قدموا تلك التماثيل وهذه الكتابة عند عودتهم من غزو الهند، أو خلال الحملات الاستكشافية التي أرسلها الإسكندر؛ لاستكشاف سواحل الجزيرة العربية شكراً للآلهة. كما عثر في قوالب التماثيل، وفي الكتابة على الحجر، على رمز الربة أرتميس (ربة الجزيرة) كنوع من العرفان بالجميل على ما أعطتهم من نصر في حملتهم الطويلة ورجوعهم منها سالمين. كما عثر على قالب تمثال لجذع الربة نيكاً Nike ربة النصر، يصورها في ثوبها الخارجي الفضاض والداخلي الذي يمكن رؤيته في بعض الأجزاء، ويبلغ ارتفاع التمثال -بالأصل- ١٥ سم. كما عثر في هذه الغرفة أيضاً على حجر

(١) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣١٦. وانظر: التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣م)، ص ١١.

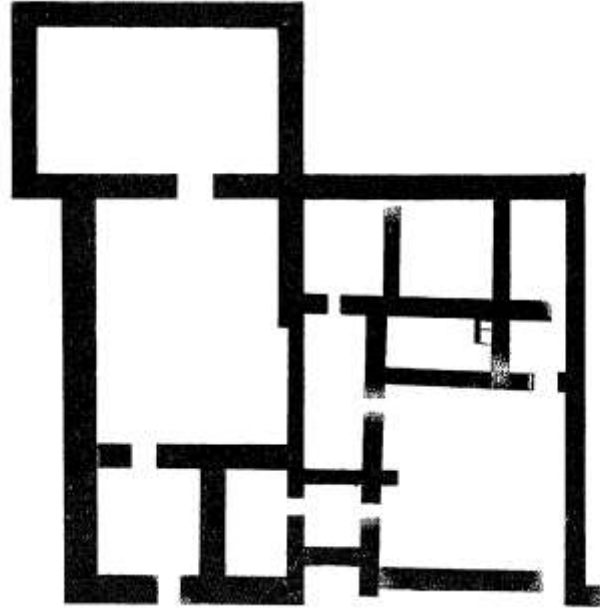
(٢) بارباس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء في فترة السلوقيين في نابولس (الفترة الهلنستية)، جمعية تاريخ وآثار البحرين، المنامة، ص ١٤.

فيلكا، سنة ١٩٣٧م، وهو حجر صغير عليه صورة إله وملك، ويبدو أن الإسكندر المقدوني هو هذا الملك^(١).



صورة رقم (٧): نقش حجري اكتشف في فيلكا يحمل نصا يونانيا مقدما من جنود الإسكندر لآلهة جزيرة فيلكا معروض في متحف الكويت الوطني

(١) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣١٦. وانظر: التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣م)، ص ١١.



صورة رقم (٨): مخطط دار الضيافة -الخان، الذي يؤرخ بعصر الإسكندر. نقلاً: عن التقرير الشامل، ص ١١.



صورة رقم (٩): هذا التمثال من أحد القوالب التي عثر عليها في منطقة (ف٤) أو دار الضيافة كما اصطلح على تسميتها، والتمثال للربة نيكَا Nike ربة النصر اليونانية بارتفاع ٩سم. نقلاً عن: التقرير الشامل، ص ٣٣.

الفصل الثالث

الخليج العربي خلال العصر السلوقي

أولاً: السلوقيون والسيطرة على الخليج العربي:

لقد أدرك خلفاء الإسكندر أهمية المنطقة التجارية ودرجة نشاطها الاقتصادي، ولمسوا حقيقة الأرباح الكبيرة، ودورها المهم في تقوية اقتصادهم، ومن ثم تدعيم ملكهم الجديد، ولهذا أخذت هذه الممالك الجديدة التي قامت على أنقاض إمبراطورية الإسكندر تتنافس فيما بينها، وتتطاحن للاستيلاء على موانئ آسيا الغربية، وعلى الطرق التجارية البرية والبحرية، التي كانت تربط هذه الموانئ ببلدان الشرق الأقصى، وبجزر بحر إيجه وسواحلها^(١). ولما كان الخليج العربي في دائرة نفوذ الدولة السلوقية، ومن أجل السيطرة على تجارته وتجارة بلاد الرافدين، قام سلوقس بتأسيس مدينة مقدونية على الضفة اليمنى لنهر دجلة بالقرب من أوبيس Opis القديمة، سنة ٣٠٥ ق.م، لتكون أول عاصمة لمملكته، ودعاها سلوقية Seleuceia نسبة لاسمه (تل عمر الآن)، ولم يبتعد بها كثيرا عن شمال بابل؛ لتبقى عند ملتقى أهم الطرق التجارية في غرب آسيا^(٢)، كما أنه كان يهدف من خلالها إلى جذب بضائع جنوب الجزيرة العربية والهند وأوساط آسيا للاستهلاك المحلي، وللتصدير؛ لما في تجارة الترانزيت من أرباح كبيرة تجنيها الدولة^(٣).

سرعان ما ورثت سلوقية على نهر دجلة مكانة بابل على الفرات الاقتصادية والسياسية، حتى إنها صارت من أعظم المدن السلوقية خلال الفترة الهلنستية، وتحكمت بتجارة آسيا في الشرق، كما كان لها دور كبير في تنشيط حركة التجارة بين بلاد الرافدين، والهند، عن طريق الخليج العربي، حيث انتهى إليها عدد من الطرق التجارية المهمة البرية والنهرية والبحرية، وكان من ضمنها الطريق القادم من الخليج العربي جالبا إليها سلع الهند وبضائع الشرق، وعدا هذا وذاك كان يصل إليها طريق بري من مدينة الجرهاء في شمالي شرق شبه الجزيرة العربية، التي ربما كانت الشريك الحقيقي لسلوقية في تجارة شبه الجزيرة العربية^(٤). وقد أكد المؤرخون المختصون هذه الفرضية، حيث أشاروا إلى أنه وبحلول نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وجدت في المشرق العربي القديم نقوش باللغة الآرامية تشير إلى قيام تجارة بحرية ونقل سلع تجارية، من الساحل الشمالي الغربي للهند إلى سلوقية على نهر دجلة في بلاد الرافدين، عبر المحيط الهندي والخليج العربي^(٥).

(١) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٥م)، العرب والتجارة الدولية، ص ١٧٥.

(٢) رستم، أسد (١٩٦٩م)، تاريخ اليونان، لبنان، بيروت، مطبوعات الجامعة اللبنانية، ص ٧١.

(٣) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٥م)، العرب والتجارة الدولية، ص ١٧٦.

(٤) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوبي شرق آسيا من القرن ٣ ق.م إلى القرن ٧م، الجمعية التاريخية السعودية، سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية، الإصدار ٢٠، السعودية، الرياض، ص ٥٩، ٦٠.

(٥) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٥٦.

في الواقع لم يكتف السلوقيون ببناء سلوقية دجلة للسيطرة على نهاية الطرق التجارية القادمة من الخليج العربي، وإنما طمعوا في السيطرة على الخليج العربي وتجارته بصورة مباشرة، بعد أن ازدادت أهميته في العصر السلوقي، لكونه أفضل الطرق وأسرعها بين المملكة السلوقية والهند. وقد بدأ السلوقيون بتنفيذ خطتهم الرامية للسيطرة على سواحل الخليج العربي وجزره، وكانت هذه الخطة في طبيعتها مكملة لخطط الإسكندر. ومن أجل تحقيق هذا الهدف: قاموا بزيادة سفن الأسطول السلوقي، والسيطرة على المواقع المهمة في الخليج كالجزر والموانئ المناسبة لرسو السفن، ثم تحويلها إلى مستوطنات ومراكز إدارية تابعة لهم، فقد كانت جزءاً هاماً من مناطق السيطرة السلوقية^(١)، ولاسيما أنهم بنوا فيها محطات بحرية لمراقبة الملاحة والنشاطات التجارية^(٢).

لقد اتضح بجلاء قيام محاولات لتأسيس مستوطنات إغريقية في الخليج العربي، وبغض النظر عن حجم هذا الاستيطان مقارنة مع مناطق أخرى من الإمبراطورية السلوقية فقد تحدث بعض المؤرخين (دانيال بوتس) عن تسع موانئ أو مستوطنات بناها الملوك السلوقيون في الخليج العربي؛ هي سلوقية الخليج العربي، وأنطاكية فارس (في موقع شبه جزيرة بوشير Bushir)، والإسكندرية (أنطاكية - خاراكس Antiochia-Charax)، وأريثوسا (أيتوزه)، ولاريسا، وخالكيس، وأرتميتا، وكارهاي (الجرهاء)، وترابيزوس^(٣)، ولم يكن هذا ممكناً لولا امتلاكهم لأسطول قوي، وبنى تحتية داعمة لهذا النشاط، حيث كانت غالبية الموانئ عبارة عن مناطق استيطان محصنة، ومدن بُنيت أو أعيد إعمارها على سواحل الخليج العربي وجزره^(٤). وكان من بين هذه الموانئ مدينة أنطاكية فارس في موقع بوشير^(٥)، التي بناها أنطيوخس الأول، وأصل سكانها إغريق من مدينة مغنيزية على نهر مياندروس في آسيا الصغرى، وقد جاءت هذه المعلومة من نص اكتشف في مغنيزية ذاتها، يرجع تاريخه لسنة ٢٠٥ ق.م يطلب فيه أهلها من موطنهم الأصلي إرسال مزيد من المستوطنين^(٦). وربما أتى سكان ترابيزوس من ترابيزوس في بلاد البونت على البحر الأسود (طرابزند الحالية). أما بليثيوس فإنه يحدثنا عن أريثوسا، ولاريسا، وخالكيس التي بناها سلوقس الأول أو أنطيوخس الأول قائلاً: «وكان هناك مدنٌ يونانيةٌ أخرى هي أريثوسا Arethusa، ولاريسا Larisa، وخالكيس

(١) بارباس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ٣، ٤.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٥٦.

(٣) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٧٤.

(٤) بارباس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ٤.

(٥) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٢٣.

(٦) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٧٥.

Choani ولكنها دُمّرت في حروبٍ مختلفة^(١)». ويحدد عدد من المؤرخين موقع هذه المدن الثلاث على ساحل الخليج العربي ما بين مصب نهر الفرات وميناء الجرهاء العربي، أو قرب مصب نهر دجلة^(٢)، ولكن لا يُعلم شيء عن موقعها الجغرافي الدقيق أو عن تلك الحروب التي تحدث عنها بليينيوس، لكن لاشك أن تلك المدن كانت في الحوض الشمالي للخليج العربي، ولعلها دُمّرت في حروب جرت مع الفرثيين. أما عن واقعها الديموغرافي؛ فيعتقد أن مدينة لاريسا تم استعمارها بواسطة الجنود التساليين بناءً على أوامر من سلوقس الأول، وربما أتى هؤلاء الجنود من لاريسا (المستعمرة السلوقية في سوريا) أو أنهم جاؤوا مباشرة من اليونان، وبتشجيع من السلوقيين، بحجة واهية هي اعتقادهم الديني بالإله أسكليبيوس Asclepios (إله الطب والشفاء عند الإغريق)، إذ كانت عبادته موجودة في أثينا ولاريسا، ومنها انتقل إلى جزيرة تايلوس^(٣).

ومتلما اهتم السلوقيون بالسواحل وبنوا عليها المدن، اهتموا كذلك بالجزر، ولعل اهتمامهم بالجزر تفوق على اهتمامهم بسواحل الخليج العربي، أما الجزيرتان اللتان نالتا أكبر قدر من الاهتمام فهما جزيرة تايلوس (البحرين) وإيكاروس (فيلكا)، حيث كانت جزيرة فيلكا أهم محطات رسو الأسطول السلوقي في شمال الخليج العربي على الإطلاق؛ وإمكانية استخدامها كقاعدة انطلاق لتأديب سكان السواحل، وإخماد معارضتهم، أو تعقب "القراصنة"، والهيمنة على مصبي دجلة والفرات في الخليج، والدفاع عن جنوب العراق^(٤). وتدل آثارها العائدة لهذه الفترة إلى تواصل حقيقي لها مع المنطقة المجاورة. وعلى الرغم من اعتقاد بعضهم أن المحطة السلوقية في فيلكا كان يغلب عليها الطابع الاقتصادي لا العسكري^(٥).

أما جزيرة تايلوس (البحرين في الحقبة الهلنستية) الواقعة في منتصف الطريق الملاحي عبر الخليج العربي؛ ما بين مصبي نهري دجلة والفرات شمالاً، إلى مضيق هرمز جنوباً، والبلغ مساحتها ٦٠٠ كيلومتر مربع تقريباً^(٦)، فقد نالت أهمية كبيرة عند السلوقيين، وورثت دلمون، وتحول إقليم دلمون بجميع مكوناته إلى إقليم عُرف باسم إقليم «تايلوس والجزر Tylos and the Islands» وقد كانت تايلوس تمثل مركز هذا

(١) بليينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٣٢، الفقرة ١٥٩.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٧٦.

(٣) بارياس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ١٧.

(٤) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٣٣. وانظر: عبد العظيم، أحمد عبد العظيم (٢٠١٥م)، بلاد

العرب وإفريقيا، ص ٧، ٨. وانظر: موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١٣٨.

(٥) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٥٦، ٥٧.

(٦) شاهين، علاء الدين (١٩٩٧م)، تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ص ١١٩.

الإقليم الذي شمل جزيرة فيلكا وجزيرة تاروت Tarut^(١). وعلى الرغم من أن طبيعة ومدى التدخل اليوناني في تاييلوس ما زالاً مثيرون للجدل، حيث لم يعثر في هذه الجزيرة على كتابات يونانية تشير إلى مدة حكم قادة الإسكندر لها، إلا أنه من المؤكد أن تاييلوس شهدت مرحلة ازدهار استثنائية تحت نفوذ الإمبراطورية السلوقية خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. حيث استخدمها الأسطول السلوقي كميناء ومحطة رسو وتوقف في الخليج العربي. كذلك تؤكد المكتشفات الأثرية على الصفة الدولية لثقافة تاييلوس، والتي كانت في تفاعل مستمر مع أجزاء مختلفة من المشرق الهلنستي، ومن المؤكد أنها لعبت دوراً هاماً في انتشار الثقافة الهلنستية. ويؤيد ذلك اكتشاف بعض النقوش الإغريقية التي تدل على فكرة أن بعض سكان تاييلوس -ولاسيما المترفين منهم- قد اتخذ اللغة الإغريقية لغة رسمية لهم. وذلك التفاعل الثقافي تجلّى من خلال الأواني الفخارية والقطع النقدية والتماثيل^(٢). إذ عثر المنقبون الآثاريون على فخار يوناني يعود إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وعلى فخار محلي مصنوع في البحرين عليه أسماء يونانية، وفي ذلك دلالة على استيطان اليونان في البحرين لأغراض سياسية أو حربية أو تجارية، وربما لجميع هذه الأغراض معاً، وقد يكون ذلك بدأ منذ عهد الإسكندر، واستمر فيما بعد إلى انتهاء ملك خلفائه السلوقيين^(٣).

لقد أشار عدد من المؤرخين إلى أن الموانئ والمستعمرات السلوقية في الخليج العربي كانت تدار من قبل الطاقم الإداري اليوناني الموجود في جزيرة تاييلوس، التي كانت المركز الرئيسي للسلوقيين في قلب الخليج العربي. ومن تاييلوس كان (القائد العسكري) المقدوني يرتبط إدارياً بقيادة البحر الإريتري في الإسكندرية (ميسان فيما بعد) وهذا بدوره يتلقى الأوامر من الملك السلوقي مباشرة^(٤). ويبدو أن العلاقة التجارية مع الهند دفعت جالية من السكان اليونان لاستيطان الجزيرة^(٥). وإذا أضيفت هذه المعلومة إلى ما نتج عنه المشروع التنقيبي (لعالم الآثار الدنماركي جيوفري بيبى G. T. Bibby) والذي أدى إلى اكتشاف وجود مستوطنة هلنستية (المدينة الخامسة) في موقع قلعة البحرين؛ فإنه في هذه الحالة يمكن تأكيد موقع تاييلوس. كما عثر المنقبون الآثاريون على آثار مستوطنة سلوقية شمال موقع قلعة البحرين، وقد ظهر بأن هذه المستوطنة كانت مزودة بقناة مائية حفرت نحو سنة ٣٠٠ ق.م وإن هذه القناة تتجه من شمال غرب إلى

^١) Kosmin, P., (2013) **Rethinking the Hellenistic gulf: the new Greek Inscription from Bahrain**, Journal of Hellenic Studies 133, p.69.

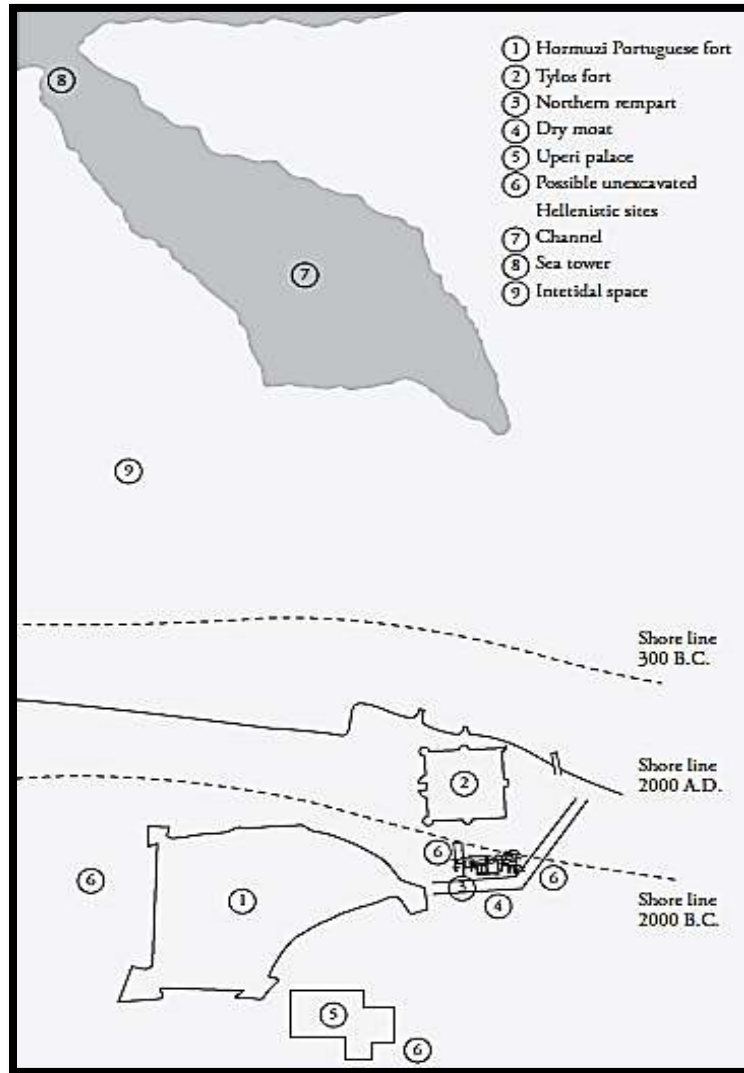
^(٢) لومبارد، بيبير وفتوح، نادين (د.ت)، **تاييلوس رحلة ما بعد الحياة، شعائر طقوس الدفن في البحرين (القرن الثاني ق.م - القرن الثالث م)**، ترجمة سماح كسواني، وزارة الثقافة، البحرين، ص ٦.

^(٣) علي، جواد (١٩٩٣م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج ٢، ص ١٩.

^(٤) بارباس، اندرياس (٢٠١٦م)، **هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء**، ص ٥.

^(٥) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، **العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية**، ص ٣٦.

جنوب شرق الخط الساحلي، ويحتمل أنها كانت عبارة عن مجرى مائي عميق يسمح للسفن الكبيرة بالعبور إلى الساحل من خلال مرورها بين الشعب المرجانية، وربما أن هذا المجرى تراوح طوله ما بين ١ إلى ٢ كلم، وبالتالي كان يؤدي بالسفن التجارية أو الحربية التابعة للسلوقيين إلى المستوطنات المقامة ومركزها التجاري المحصن في الجهة الشمالية من موقع القلعة. وفي مدخل هذا المجرى المائي أو القناة يقع تشكيل من الحجارة المقطوعة بطول ٩,١ × ١٠,٧ م ويعتقد علماء الآثار أن وجوده كان عبارة عن أساس لمنارة بحرية لهداية السفن ومساعدتها على دخول هذه القناة^(١).



صورة رقم (١٠): مخطط موقع قلعة البحرين الأثري ويلاحظ الميناء والقناة البحرية المتصلة به، نقلاً عن: بارياس (اندياس)، ص ٢.

(١) بارياس، اندياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ٥.



صورة رقم (١١): قاعدة المنارة البحرية بالقرب من مدخل القناة، وهي عبارة عن كتلة من الحصى البحري. بارياس (اندرياس)، ص ٦

إذا فرض السلوقيون سيطرتهم التجارية والعسكرية على كامل الخليج العربي، لاسيما بعد أن صار لهم في مياهه أسطول دائم، وموانئ مجهزة للرسو، وحاميات محصنة انتشرت في الجزر^(١)، وأصبح السكان الأصليون -ولاسيما سكان الجزر- خاضعين لهذه القوة الإمبراطورية، التي تمكنت من السيطرة على جميع الطرق البحرية؛ التجارية والاستراتيجية فيه، وهكذا تحول الخليج العربي إلى بحيرة هلنستية، حيث امتدت مناطق تواجد الأسطول السلوقي من شمال الخليج العربي؛ في الإسكندرية (ميسان فيما بعد) وفيلكا، حتى أطرافه الجنوبية عند مضيق هرمز. ولما كان النشاط التجاري في منطقة الخليج العربي يتمحور حول الملاحة، والتجارة، وصيد السمك، والغوص على اللؤلؤ، فقد عمل الملوك السلوقيون الأوائل على الإشراف على جمع وتوزيع منتجاته المختلفة^(٢)، ولما كان الجرهانيون على الساحل الشرقي للجزيرة العربية قد تمتعوا بقدر من الحرية والاستقلال؛ فقد سعى السلوقيون إلى تنشيط العلاقات التجارية معهم، بهدف السيطرة والهيمنة على تجارتهم^(٣)، وضمان وصول البضائع الهندية إليهم، كما عمل الملوك السلوقيون على إعادة توزيع بعض البضائع الاستهلاكية الهندية مثل العاج وغيرها^(٤). وقد أصبح الخليج العربي في هذه الفترة على مستوى من الأهمية تعادل تلك التي تميزت بها المناطق البابلية والآشورية في بلاد الرافدين سابقا من

(١) Adil Hashim Ali., (2017) Op. Cit., p.15.

(٢) بارياس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ٣، ٤.

(٣) Adil Hashim Ali., (2017) Op. Cit., p.15.

(٤) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٥٩.

حيث فرض الضرائب والعائدات، وكان ذلك تطبيقاً لما قام به السلوقيون في المناطق التابعة لإمبراطوريتهم^(١).

وبعد أن فرض الملوك السلوقيون سيطرتهم على الخليج العربي، استخدموا موانئه كقواعد لتأمين تجارتهم باتجاه الهند، وهذا ما يفسر لنا ما طرحه عدد من المؤرخين بأن جزيرة فيلكا كانت قاعدة عسكرية لا محطة تجارية، ربما أن هذا التفسير منطقي؛ فاهتمام السلوقيين بالمنطقة كان نابعا من حرصهم على التحكم بالطرق الملاحية التجارية المؤدية إلى الهند عبر الخليج العربي. أما حملة الملك السلوقي الأول سلوقس نيكاتور (٣٠٥ - ٢٨١ ق.م) على الهند بين سنتي ٣٠٥ و ٣٠٣ ق.م، كانت حملة برية لم يشارك بها الأسطول السلوقي، وانتهت بعقد معاهدة سلام مع الملك الهندي شاندر جوبتا Chandragupta ملك مملكة مكده، إذ أرسل له سفيرا يدعى ميجاستنيس Megasthenes الذي قدم وصفا جيدا لرحلته إلى بلاد الهند وأحوالها، وربما أن هذا السفير قد سلك الطريق البحري؛ أي عبر الخليج العربي. وقد وصفت هذه الفترة بأنها من أخصب الفترات في توطيد العلاقات بين اليونان والهند، فبعد عقد سلسلة من المعاهدات بينهما؛ قامت عدة رحلات بحرية بين المملكة السلوقية والهند عبر الخليج العربي، كان من بينها الرحلة التي قام بها القائد السلوقي باتروديس Patrodes القائد العسكري في عهد الملكين السلوقيين سلوقس الأول وأنطيوخس الأول حيث أبحر عبر الخليج إلى السند^(٢).

لقد كان الخليج العربي محافظة أو ولاية إدارية مستقلة عن بلاد الرافدين، وكانت هذه الولاية تسمى باربوتاميا Satrapeia Parapotamia (ولاية البحر الارثيري)، وهي مستقلة عن ولاية ميزوبوتاميا Satrapeia Mesopotamia (ولاية بلاد ما بين النهرين)، ورغم أن هذا التقسيم الإداري كان موجودا في أيام البابليين والآشوريين، الذين كانوا يطلقون على منطقة الخليج العربي مصطلح أرض البحر The Sea land، إلا أن عودة السلوقيين إليه يعبر عن ازدياد حجم اهتمامهم بالمنطقة. في الواقع لقد بدأ أنطيوخس الثالث Antiochus III (٢٢٣ - ١٨٧ ق.م) جهوده الرامية لتأكيد السيطرة السلوقية على الخليج العربي في أعقاب ثورة مولون Molon والي السلوقيين على ميديا سنة ٢٢٠ ق.م.

لقد بدأت تلك الثورة عندما جاهر ولاة بعض المقاطعات الشرقية باستخفافهم بالسلطة الملكية الحاكمة قام مولون بإعلان ثورته (وملكيته فما بعد) بمساندة شقيقه إسكندر، في سنة ٢٢٢ ق.م. ويبدو أن أنطيوخس

(١) بارباس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ٣، ٤.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٥٧ - ٥٩.

الثالث قد أخطأ في بادئ الأمر في تقدير حجم خطر هذا التأثير الذي مكنته سيطرته على إقليم ميديا من تجنيد قوات عسكرية ضخمة، وتأليب عدد من ولاية المقاطعات الشرقية ضد السلطة المركزية في أنطاكية لذلك لم يجرؤ القائدان اللذان أرسلهما أنطيوخس الثالث على مواجهة مولون، بل أقاما في استحكاماتهما خارج بابل، عندما اتجه مولون صوبهما، لكن نجاح والي بابل في مصادرة جميع الزوارق النهرية العاملة هناك منعت مولون من اجتياز النهر والانقضاض على سلوقية دجلة عاصمة الإقليم. قضى مولون شتاء سنة ٢٢١ ق.م في موقع طيسفون Ktesephon على الضفة المقابلة من النهر وردا على الاستغاثات التي أرسلها القائدان المتمترسان في مركزيهما، أرسلت انطاكية قائدا يدعى أكسنويتاس Xenoetas على رأس قوات جديدة لنجدتيهما، صيف سنة ٢٢١ ق.م، وزودته بصلاحيات دعوة جميع الولاة في الشرق للعمل تحت قيادته^(١).

بادر فيثيدياس Pythidias المسمى واليا على محافظة البحر الإريتري إلى تلبية نداء أكسنويتاس الذي التقى بالولاة الموالين للشرعية، سار الجميع إلى ضفة النهر الغربية، إلا أن مولون خدع أكسنويتاس خدعة بارعة؛ حين أوحى له أن الجيش المتمرد قد خاف، وغادر معسكره، فأحيا أكسنويتاس ليلة شراب احتفالا في ثكنته. وعند الفجر عاد مولون وجيشه فوجدوا أعداءهم عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم بسبب ليلة المرح والصخب، فقتلوا بعض جنود أكسنويتاس وهم في أسرتهم، وبعضهم الآخر وهم يحاولون الفرار بالغطس في نهر دجلة. ولا شك أن فيثيدياس والي الخليج العربي قد لاقى حتفه في هذه المعركة، وبعد ذلك نسمع أن مولون اتجه إلى سوسا، بعد استيلائه على بلاد بابل وعلى سواحل الخليج العربي^(٢).

كان أنطيوخس الثالث في هذه الأثناء يضع الخطط للهجوم على البطالمة في جوف سورية، فلما وصل خبر هزيمة جيشه أمام مولون وسقوط سلوقية دجلة بيد هذا التأثير، أدرك عندئذ ضرورة العدول عن مهاجمة البطالمة والتفرغ للشرق. بدأ الجيش السلوقي نهاية سنة ٢٢١ ق.م بالزحف عبر الفرات إلى ولاية ميزوبوتاميا، وبعد عبور الجيش عند نينوى على ثلاث دفعات، قصد ولاية بارابوتاميا، وكانت هذه المنطقة قد خضعت لسلطة مولون، وتمكن الجيش السلوقي في سنة ٢٢٠ ق.م من فك الحصار عن بلدة دورا Dura وقضى فيها ثمانية أيام، وكانت هذه البلدة قد رفضت أن تستسلم لمولون، وكانت بعض كتائبه تحاصرها.

(١) العابد، مفيد رائف (٢٠٠٢م)، دراسات في تاريخ الإغريق، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي، ج ٢، ط ١، منشورات جامعة دمشق، سوريا، دمشق، ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٧٩.

كان مولون خلال هذه الفترة قد وقع في حيرة من أمره، فليس بوسعهم أن يعتمد على سكان المقاطعات التي غزاها في الأمس القريب، وليس بوسعهم أن يثق بجنوده الإغريق الذين يشكلون معظم قواته، وعندما اتضحت أمامه خطورة قطع طرق إمداده من ميديا، سارع إلى اجتياز نهر دجلة مؤملاً بإيقاف تقدم الجيش السلوقي في واحد من المضائق القاحلة، في منطقة قريبة، متكلاً على جنوده المرتزقة من الأكراد، الذين كانوا يخدمون في جيشه بصفتهم رماة، وعندما التقى الجيشان وجها لوجه، أدرك مولون عقم أي محاولة للتغلب على الملك، فأقدم هو وعدد من أخلص أتباعه على ارتكاب عملية انتحار جماعية، في حين فرّ شقيقه نيولوس إلى مركز الثورة في ميديا، وهناك أجهز على جميع أفراد أسرة مولون حتى لا يقع أحدهم في الأسر^(١).

لقد اتخذ أنطيوخس الثالث الخطوات الضرورية لإعادة النظام للمنطقة في أعقاب قضائه على ثورة مولون، حيث قام بتعيين تيخون Tychon (والذي كان يشغل منصب أمين سر الجيش) في منصب قائد ووالي على منطقة الخليج العربي، والظاهر أن أنطيوخس الثالث قد نقل تيخون المجرب إلى ولاية الخليج العربي ليعيد النظام إلى ولاية احتلها العدو مؤقتاً وقتل واليها. وقد اختلف المؤرخون حول المهمات الأساسية التي كانت تقع على عاتق والي الجديد، لكن أهمها كان إعادة بناء الأسطول السلوقي في الخليج العربي، إذ يحتمل أن أنطيوخس قد شعر بضرورة وجود أسطول دائم في سبيل مواجهة تهديدات أخرى قد تقع في المستقبل في جهة الجنوب^(٢). ومما يؤكد وجود هذا الأسطول السلوقي، هو أن أحد الملوك السلوقيين (يعتقد أنه أنطيوخس الرابع خليفة أنطيوخس الثالث) ... أرسل قائده نوميونيوس لمحاربة الفرس، حيث استطاع هزيمتهم في معركتين إحداها بحرية والأخرى برية^(٣).

منذ اعتلى أنطيوخس الرابع (١٧٥ - ١٦٤ ق.م) سدة الحكم قام بسلسلة حملات عسكرية كان هدفها استعادة أملاك الدولة السلوقية الشرقية وتحصيل الضرائب^(٤)، كان أهمها ما قام به واليه على الخليج العربي وقائد أسطوله، المدعو نوميونيوس Numenios، والذي خاض معركتين مع الفرس أحداها بحرية والأخرى برية على بعد ٥٠ ميلاً عن كرمان، حيث هزم الفرس في البر والبحر، وقد جرت هذه المعركة بسبب التنافس

(١) العابد، مفيد رائف (٢٠٠٢م)، دراسات في تاريخ الإغريق، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٨٠.

(٣) حمدان، عبد المجيد (٢٠١٤م)، العلاقات التجارية بين الدولة السلوقية والهند وبلاد العرب، مجلة دراسات تاريخية، الصادرة عن جامعة دمشق، العددان ١٢٧ - ١٢٨، تموز - كانون الأول، سورية دمشق، ص ٣٦.

(٤) Campbell, T. C., (2014) An Empire on the Brink of Destruction: The Stability of the Seleucid Empire Under Antiochus IV (175 B.C. - 164 B.C.), University of Central Florida., STARS., p.45.

على تجارة المنطقة، وطرق الملاحة فيها، والسيطرة على مضيق هرمز Hormuz مدخل الخليج العربي، الذي يظن أن الفرثيين سيطروا عليه، فما كان من نوميديوس إلا أن استعاد هذا المضيق ليحمي التجارة القادمة من الشرق، أما المكان الذي جرت فيه المعركة فيعتقد أنه خليج كوريا موريا المعروف باسم رأس نوس، وهناك من يعتقد أن المعركة قد جرت في شبه جزيرة مسندم التي عرفها نيارخوس باسم (ماكيتا). وعلى الرغم من ضبابية تلك الأحداث إلا أنها تظل مؤشرا بارزا على حدة الصراع العسكري الذي بدأ يتبلور بين الدولة الفرثية والدولة السلوقية للسيطرة على تجارة وطرق ملاحية الخليج العربي^(١).

أما الحملة الشرقية الأخيرة التي قادها أنطيوخس الرابع باتجاه الشرق، سنة ١٦٤ ق.م، فكان هدفها غزو بلاد عيلام، على الساحل الشرقي للخليج العربي، وقد قرر مهاجمة معبد الربة نانايا Nanaia (التي ربطها الإغريق بالربة أرتميس)، ونهب محتويات معبدها، وكان هذا تقليدا معروفا عن أسلافه، تماما كما فعل هو نفسه بمدينة القدس قبل سنوات، ولما كان أنطيوخس الرابع يخطط لغزو هذا المعبد، تجمع السكان المحليون للدفاع عنه، وقد انسحب أنطيوخس الرابع قبل أن يبدأ الحرب مع متسلقي الجبال الأقوياء، وكانت هذه الحملة في السنة الأخيرة من حكمه وعمره، حيث تابع طريقه إلى أصفهان وهناك توفي بمرض السل^(٢).

لقد استخدم السلوقيون الخليج العربي قاعدة لانطلاق حملاتهم باتجاه الهند، ولا سيما رحلاتهم التجارية إلى المملكة الهندية الموريا Maurya أو الموريان، حيث كان للسلوقيين اتفاقيات اقتصادية معها. ولا يستبعد أن يكون السلوقيون قد استعانوا بوسطاء تجاريين أو ملاحيين من منطقة الخليج العربي؛ لمعرفة هؤلاء الجيدة بالطرق البحرية المتجه إلى الهند، حيث كان لأهالي الخليج العربي خبرة متوارثة منذ الألف الثالث قبل الميلاد مع شبه القارة الهندية. وبعبارة أخرى فإن السلوقيين رأوا في منطقة الخليج العربي شريانا من شرايين الحياة الاقتصادية الهامة بالنسبة لمملكتهم، لاسيما بعدما لمسوا ما للسلع والمنتجات الهندية من أسواق رائجة في الدولة السلوقية^(٣).

أما عن السياسية الضريبية للسلوقيين في الخليج العربي، يمكن القول: إنه لا توجد بيئة مباشرة على فرض نوع من الضرائب في منطقة الخليج العربي، لكن يرجح أن كثيرا من الرسوم كانت تجبى في بلاد بابل على جميع الواردات القادمة إليها من المناطق المجاورة لها. واعتمادا على ممارسات السلوقيين المطبقة في

(١) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي، ص ٩.

(٢) Campbell, T. C., (2014) Op. Cit., p.45.

(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٥٨.

أنحاء أخرى من إمبراطوريتهم، يحتمل أن يكونوا قد فرضوا في الخليج العربي أي ضريبة من الضرائب المجتابة في تلك الأرجاء. والتي تشمل تلك الضرائب المستوفاة على جمال القوافل، أو رسما مفروضا على الخفارة في الصحراء، أو رسوم الميناء المستوفاة في سلوقية دجلة، أو رسوما مفروضة على الملاحة في الفرات، أو الرسوم على الرقيق، أو الرسم على الملح، أو عشرة بالمئة من قيمة السلع المستوردة. لذلك تخدم التسهيلات المقدمة للتجارة الخارجية مصلحتهم خدمة كبرى نظرا لضخامة الواردات التي يجنيها السلوقيون من تلك الرسوم. وكان التجار الغرباء يعدون بلاد بابل سوقا ونقطة مرور لتصدير جميع أنواع السلع. ولا شك أن السلوقيين قد استغلوا ذلك الوضع، وجبوا الرسوم من التجار الراغبين بالتصدير. وعلى هذا الصعيد كانت مصلحتهم تقتضي أن يشجعوا التجارة، بل أن يضمنوا نشاطها دون معوقات خارجية. وينبغي أن يعتبروا أي تهديد للنظام تهديدا لوجود الملكة السلوقية، ورغم تكاليف الحروب الباهظة، إلا أن علينا أن نتذكر جيدا أن واردات الضرائب مهمة جدا، ومن هذا المنظور تتخذ التجارة الخارجية لبابل في عصر السلوقيين بعدا إضافيا، وسوف تصبح هذه السياسة مهمة عندما سنتبين السياسة السلوقية تجاه الكيانات الخليجية^(١).

كما تجدر الإشارة إلى جانب من النشاطات العلمية التي كانت تتم في الخليج العربي خلال العصور الكلاسيكية، ففي إحدى المدن التي أنشأها السلوقيون في منطقة الخليج العربي؛ وهي سلوقية على ساحل الخليج العربي؛ بناها سلوقس الأول أو أنطيوخس الأول، والتي كانت موطننا لعالم الفلك السلوقي المدعو سلوقس الذي درس حركة المد والجزر في الخليج العربي، ومن المعتقد أن قيام هذا العالم بهذا النوع من الدراسات كان الهدف منه ليس هدفا علميا فحسب، بل هي دراسة تساهم في معرفة طرق الملاحة في الخليج العربي. كما أن وجود اليونان في هذه البلدة دليل نشاط اقتصادي وتجاري في المنطقة، ولا يستبعد أن تكون التجارة مع السند هدف هذه الاستيطان^(٢).

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٨١.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٦٠.

ثانياً: إقليم تايلوس والجزر في العصر الهلنستي:

١ - تايلوس:

لقد تم استيطان جزيرة البحرين منذ ستة آلاف سنة، وقد عرفت بأسماء كثيرة منها دلمون Dilmun، وتايلوس Tylos، وأوال Awal، وقد تميزت هذه الجزيرة بوفرة المياه العذبة الطبيعية التي يمكن الحصول عليها من الآبار السطحية، وبالتربة الخصبة، ما جعل الزراعة نشاطاً مهماً فيها ومصدراً من مصادر الدخل لسكانها في ذلك الوقت، وتتركز الأراضي الزراعية في المنطقة الشمالية، والشمالية الغربية، والمركزية، وعلى طول الساحل الشرقي للجزيرة. وكان من الطبيعي أن تكون أهم المواقع الأثرية في هذه المناطق الخصبة. وقد تحدثت النصوص المسمارية السومرية عن دلمون بوصفها الفردوس والجنة الغريقة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وأن السفن التي كانت تبخر من بلاد الرافدين القديمة إلى السند، كانت تتوقف في دلمون، للتردد بالماء العذب، وهكذا ساهم موقع هذه الجزيرة الاستراتيجية في قلب الخليج العربي، لأن تلعب دوراً حاسماً في التاريخ الحضاري للمنطقة^(١). وبما أن البحث يقتصر على التاريخ الكلاسيكي للخليج العربي، أي فترة تايلوس، فينبغي استعراض أهم الآثار اليونانية فيها. وتايلوس هو الاسم الذي أعطاه الإغريق للبحرين. ويُعتقد أنه ربما كان تحريفاً للاسم «دلمون» أو «تلمون» حيث يظهر استبدال الميم بالواو في الأسماء الآرامية المشتقة من الأكادية في صيغة تلون Tlwn السريانية، وفي تسمية أهلها تلوانيين باللغة اليونانية^(٢).

إن أهم الآثار العائدة لليونان في هذه الجزيرة، هي المدينة الخامسة في قلعة البحرين، والتي أُرخت ما بين ٢٥٠ ق.م - ٢٥٠ م، وليس للبنية المعمارية في المدينة الخامسة أي علاقة بفترة دلمون السابقة، على الرغم من ذلك؛ فإن الطبقة الهلنستية تغطي آثار الطبقات الأقدم بارتفاع يتراوح ما بين ٨,٥ - ١١ م. ويعتقد أن المدينة الخامسة في قلعة البحرين كانت تسمى تايلوس وأعطت اسمها لكامل الجزيرة، وبالمجمل إن آثار الديانة الخامسة (تايلوس) هي من أقل الآثار المحفوظة بشكل جيد، وتشهد الجدران المتهالكة والطوابق المهدومة، والتي تعرضت للنار والدمار، وعمليات السلب والنهب الواسعة، أنها تعرضت للغزو من قبل الملك الفارسي أردشير Ardashir نحو سنة ٢٥٠ م^(٣).

^{١)} Mohamed, A., & Thuraya Almansoori., (2015) **Date Palm Status and Perspective in Bahrain**, Springer Science + Business Media Dordrecht, p.354.

^(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٣٥.

^(٣) UNESCO., (15th July 2005) **World Heritage Scanned Nomination., Qal'at al-Bahrain Archaeological Site**, p.48.

لقد جذبت حدائق تايلوس وزراعتها ومياها العذبة وموقعها في وسط الخليج العربي انتباه الأميرالات والكتاب اليونان خلال القرن الثالث قبل الميلاد، فحين وصلت بعثة الإسكندر الاستكشافية للجزيرة في سنة ٣٢٥ ق.م، تحدث أندروستينس Androthenes من تايلوس في نص حيوي مفقود اليوم، ولكن يتم اقتباسه بانتظام من قبل علماء الجغرافيا والنبات الكلاسيكيين، إذ ذكر حدائق تايلوس الخلابة وطقسها اللطيف. وقد جاء ذلك بشكل مستفيض على لسان عالم النبات ثيوفراستوس Thophrastus، تلميذ أرسطو وخليفته في رئاسة معهد المشائين، في أواخر القرن الثالث بل الميلاد، في كتابه تاريخ النبات^(١)، حيث وصف لنا بعض محاصيلها الزراعية، ومنه نقبس:

«يقولون: إنه يوجد في الجزء الشرقي من جزيرة تايلوس، التي تقع على الخليج العربي عددٌ من الأشجار التي تشكل سياجاً منتظماً عندما ينحسر المد. وكلُّ هذه الأشجار في حجم شجرة التين، وأزهارها عطرةٌ جداً، أما ثمارها التي هي غيرُ صالحةٍ للأكل فتبدو مثل الترمس lupin، ويُقال: إنَّ الجزيرة تنتجُ أيضاً بوفرةٍ شجرة الصُوف الحاملة [شجرة القطن]، وهي شجرة لها أوراقٌ مثل أوراق الكروم، ولكنها صغيرة، وهي لا تثمر، ولكن الوعاء الذي يحتوي الصوف [اللوزة] في حجم تفاح الربيع وهي مغلقة. وعندما يحين وقتُ نضوجها فإنها تتفتح وتُعطي الصوف الذي منه ينسجون أقمشتهم، ويكون بعضها رخيصاً ويكون الآخر غالياً جداً. ويقولون: إنَّ مثل هذه الشجرة موجودة في الهند كما هو الحال في بلاد العرب، ويقولون: إنَّ هناك أشجاراً أخرى لها زهرةٌ مثل المنثور [gillyflower]، ولكنها من دون رائحةٍ وأكبر منها أربع مراتٍ. وإنَّ هناك شجرةً أخرى بها أوراقٌ كثيفةٌ مثل الورد، وأنها تغلق في أثناء الليل وتتفتح عند شروق الشمس، وتتفتح تماماً عند الظهيرة، ثم تغلق مرةً ثانيةً عند المساء تدريجياً، وتظلُّ كذلك طوال الليل؛ ويفسر أهل المكان ذلك بأنها تذهب للنوم! ويوجد في الجزيرة أيضاً نخيل التمر والكروم وغيرها من أشجار الفاكهة، بما في ذلك التين الدائم الخضرة. وتسقط هناك مياه الأمطار بيّداً أنهم لا يستعملونها في سقاية الأشجار المثمرة، فهناك ينابيع كثيرة في الجزيرة، وبها يرؤون كلَّ شيء. وهذا الأمر مفيدٌ جداً في زراعة الذرة [الذرة الصفراء] والأشجار؛ ولهذا حتى عندما تمطر السماء فإنهم يجعلون هذه المياه تُغرِقُ الحقول كما لو كانت تغسل مياه الأمطار. هذه هي الأشجار التي شاهدنا أنها تنمو في البحر الخارجي^(٢)».

(١) لومبارد، بيير وقتوح، نادين (د.ت)، تايلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ٨.

(٢) ثيوفراستوس، تاريخ النباتات، الكتاب ٤، الفصل ٧، الفقرة ٧-٨. ترجمة: الحسين عبد الله، تعليق: عبد المعطي بن محمد سمس، وإشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٢)، السعودية، الرياض، دار الملك عبد العزيز ٢٠١٧م.

لقد كانت تابلوس عاصمة الخليج العربي الملاحية، وقد منحها الطبيعة كل ما هو ملائم لتسطير على الملاحة، بما في ذلك خشب السفن، ومصدرنا هنا أيضا هو عالم النباتات ثيوفراستوس في كتابه تاريخ النبات، حيث وصف بحارتها وصناعة سفنهم، إذ يقول: «يُروى أنَّ في جزيرة تيلُوس الواقعة قبالة بلاد العرب خشباً يبنون منه سفنهم، ويكون ذلك في مياه البحر. ويبرهن ذلك على أنه يقاوم التسوس؛ لأنه يدوم أكثر من مئتي عام إذا حُفِظ في الماء، في حين أنه يتسوس بسرعة، إذا تُرك خارج الماء لبعض الوقت. ويقولون أيضاً شيئاً غريباً لا علاقة له بالتسوس إنَّ هناك شجرة معينة يقطعون منها العصي وشكلها جذاب للغاية، وهي ملونة مثل جلد النمر، وإنَّ هذه الأخشاب ثقيلة جداً* . ومع ذلك فعندما يطرحها المرء على أرض صلبة فإنها تنهشم إلى قطع مثل الفخار. وعلاوة على ذلك فإنَّ خشب الطرفاء ليس ضعيفاً هناك، كما هو الحال في بلادنا، ولكنه في قوة خشب بلوط القرمز، أو أي خشب قوي آخر. وهذا الأمر يوضح الفرق في الخصائص التي يسببها البلد والمناخ. وعلاوة على ذلك فإنَّ الأخشاب كأخشاب البلوط والتنوب الموضوعة في محلول ملحي لا تغوص العمق نفسه في البحر؛ لكنَّ بعضها يكون قريباً من الشاطئ، وبعضها يكون إلى الخارج، ويظل بعضها الآخر في عمق أكبر. وفي كلِّ الحالات فإنَّ أجزاء الشجرة القريبة من الجذر (الخاص بأية شجرة) تغرق أسرع تحت الماء، وحتى إن طفت فإنها تكون أكثر ميلاً إلى الغوص (الغرق) ^(١)».



صورة رقم (١٢): منظر طبيعي من تابلوس فردوس الإغريق يعبر عن خصوبة البلاد.

* ينطبق هذا الوصف على شجر الأسل الهندي Calamus Rotang المستورد من الهند، ومن البنغال على التحديد. انظر: بوتس، دانيال

(٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٤٨.

(١) ثيوفراستوس، تاريخ النباتات، الكتاب ٥، الفصل ٤، الفقرة ٧-٨.

وما يشهد على تلك السيطرة البحرية هو الآثار، حيث سبقت الإشارة إلى المنارة البحرية. وبالقرب من هذه المنارة المؤدية إلى المركز الإداري والتجاري لموقع قلعة البحرين، تم العثور على لوحة لأسكليبيوس (إله الطب لدى الإغريق)، ويبدو جزء من اسمه واضحاً في الطرف الأيمن لهذه اللوحة، التي يعتقد علماء الآثار أن تاريخها يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد*. هذا الاكتشاف يدعو لاحتمال وجود معبد للشفاء في تايلوس (البحرين) مخصص لـ أسكليبيوس؛ إله الطب والشفاء عند اليونان^(١). وغالباً ما يظهر أسكليبيوس في تماثيله على هيئة رجل أجعد الشعر متكئ على جذع شجرة قائمة بجانبه، ويده عصا معوجة من نبات الخطمي قد التفت عليها حية، ورأس الطبيب مكلل بالغار. وفي تصويره هكذا رموز إلى صناعته الموحى إليه بها، فحمله العصا دليل التعمير وهو الغاية المقصودة من الطب، واعوجاج عصاه رمز التنفن في العلاج، وكونها من الخطمي دليل العقاقير التي يتداوى بها، والتفاف الحية عليها دليل الحياة، كون الحية تمثل الحكمة بتيقظها ودهائها، أو لاتخاذ بعض علاجات السموم منها أو لتجدد الصحة بالعلاج كما يتجدد جلدها بقشر شرنقته عاماً فعاماً، وأما إكليل الغار على الرأس فرمز إلى أن الطبيب يجب أن يقصي الحزن عن المريض، كما كان يقصي الضرر المتأتي عن الحشرات والهوام بالغار؛ فلذلك كان هذا النبات رمز الفرح والانبساط وبالتالي الظفر^(٢).

على أنه من المحتمل أن تكون القطعة التي عثر عليها في البحرين؛ تمثل هدية شكر من قبل أحد المرضى الذين تماثلوا للشفاء في معبد أسكليبيوس في هذه الجزيرة. ويذكر ثيوفراستوس في كتابه صفات النبات Enquiry into Plants المدون سنة ٣١٩ ق.م بأن هناك أحد الأشخاص الذين قدموا لوحة برونزية إلى أسكليبيوس. وقد عثر علماء الآثار على لوحات برونزية مماثلة، استخدمت في أماكن أخرى، وكانت هذه اللوحات أما مجسم متخيل أو صورة مصورة للإله وكانت تعلق على جدار المعبد. ولذا فإن وجود هذه اللوحة في تايلوس يعني أنه كان هناك معبد لأتباع الإله أسكليبيوس فيها، مماثل في ذلك لتلك المعابد التي شيدت في أبيدروس وأثينا وكوس وبرجامون والدور (قرب حيفا) ومناطق الأخرى. وليس مستبعداً بأن الإيمان بهذا الإله قد انتشر شرقاً في الخليج العربي وجزره ومنها تايلوس، لاسيما أن تايلوس كانت في موقع متوسط للمناطق التابعة للأسطول والتجارة السلوقية، لذلك كان من المستحسن وجود أتباع أسكليبيوس، لكي يشرفوا على علاج وشفاء البحارة والتجار والمستوطنين اليونان والسكان المحليين^(٣).

* ولا زالت هذه اللوحة تخضع لعمليات الترميم. بينما هناك نسخة منها في متحف قلعة البحرين.

(١) بارياس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ٧.

(٢) المعلوف، عيسى إسكندر (٢٠١٤م)، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مصر، القاهرة، ص ١٩، ٢٠.

(٣) بارياس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ٩.

وربما أن السلوقيين قد شجعوا عبادة هذا الإله في مناطق سيطرتهم، وشجعوا على نشر المعتقدات المتعلقة به في كل مناطق نفوذهم، بحكم أن أسكليبيوس كان يعتبر ابنا للإله أبوللون الراعي للأسرة السلوقية^(١)، وابنا للربة كورنيس Coronis، وقد سعى الإله هرمس Hermes إلى إخراجه من بطنها في ظروف ولادة عسيرة؛ بسبب خضوعها لانتقام أرتميس Artemis (التي كانت جزيرة فيلكا موطنًا لعبادتها)، حيث كانت مشدودة إلى محرقة الموت^(٢). لذا فإن وصول الاعتقاد بهذا الإله، الذي كان يعد شيقا لمؤسس الأسرة السلوقية، إلى الخليج العربي وتاييلوس لم يكن من باب الصدفة، بل بتوجه وتشجيع الدولة السلوقية، وكجزء هام من طقوس الاستعمار السلوقي ومبادئه^(٣).



صورة رقم (١٣): نسخة من لوحة أسكليبيوس (موجودة في متحف قلعة البحرين).

لقد نال هذا الإله التقديس في أثينا منذ القرن الخامس قبل الميلاد، في أعقاب الطاعون الذي اجتاحتها وتسبب بوفاة ثلث سكانها، ومن بينهم بريكليس، ويعتقد أساتذة الاختصاص أن الاعتقاد بهذا المعبود قد وصل إلى جزيرة تاييلوس مع الأثينيين الذين استوطنوها بصورة دائمة، في أعقاب غزو الإسكندر المقدوني للشرق، ومما يؤكد ذلك أنه في سنة ١٢٠ ق.م كان الحاكم العسكري لتاييلوس أثينياً يدعى كيفيسدوروس

(١) بارياس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ١٧.

(٢) سورينا، جان شار (١٩٨٥م)، تاريخ الطب، من فن المداواة إلى علم التشخيص، ترجمة إبراهيم الجلاتي، مجلة عالم المعرفة، العدد ٢٨١، الكويت، ص ٤٢.

(٣) بارياس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ١٧.

Kephisodoros، وقد دلّ على ذلك أحد النقوش الحجرية اليونانية^(١)، وهو عبارة عن نص إهداء يوناني مدون على نصب حجري جيري رملي أبعاده ٤٩ × ٩٨ × ١٠ سم*، استخدم هذا النصب الحجري مرة ثانية في تغطية القبر رقم (٤٠) في منطقة الشاخورة* Shakhoura^(٢). وإن هذا الاسم ذو دلالة مهمة، لأنه كان يشير إلى أسرة عريقة في أثينا، ساهمت في إدارتها منذ عصر الإسكندر وتحديدا سنة ٣٢٥ ق.م، ويبدو أن كيفيسودوروس تايلوس ينحدر من نفس العائلة، التي كانت من العائلات البارزة في أثينا، كما تقدم^(٣).

وترجمة النص: «باسم الملك Hypsaosines هيسباوسنييس، والملكة تلاسيا Thalassia، قام كيفيسودوروس الوالي strategos من تولوس (تايلوس) والجزر؛ يهدى هذا المعبد إلى ديوسكوري سافيورس Dioscuri Saviours»، إن هذه الآلهة في الميثولوجيا الإغريقية عبارة عن الشقيقين كاستور Castor وبولوكس Pollux وهما من حماة الملاحه، وبهذا المعنى موصوفون كـ (منقذين) في الشرق القديم، وخلال العصور الكلاسيكية، وبالتالي لا بد أن معبدهما هذا في مكان مأهول وقريب من الشاطئ يصلح لرسو السفن، وبالتالي ربما بني هذا المعبد في موقع قلعة البحرين، كأفضل مكان مؤهل لرسو السفن، أو في الشاخورة حيث وجد النص كجزء من مستوطنة بنيت في هذا الموقع، ولا تبعد عن موقع قلعة البحرين سوى بضعة كيلو مترات^(٤).

Text: Ὑπὲρ βασιλέως Ὑσπαοσίνου
καὶ βασιλίσσης Θαλασσίας,
τὸν ναὸν Διοσκόροις Σωτήρσι
4 Κη[φισό]δωρος στρατηγὸς
Τύλου καὶ τῶν Νήσων
εὐχῆν.

صورة رقم (١٤): النص اليوناني المدون على النصب الحجري في مقبرة الشاخورة في البحرين

(١) بارياس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ١٤.

* تم اكتشافه في سنة ١٩٩٧م وتم نشره في سنة ٢٠٠٢م.

* تقع في شمال البحرين، وتحيط بها ثلاث قرى هي الحجر وأبو صبيح ومقابة، فيها آثار مهدمة تعود للفترة الهلنستية.

²⁾ Kosmin, P., (2013) Op. Cit., p.62.

(٢) بارياس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ١٤.

⁴⁾ Gatier, Pierre-Louis., & Lombard, Pierre., & AL-Sindi, Khalid M., (2002) Greek Inscriptions from Bahrain, publié dans Arabian archaeology and Epigraphy 13, p.3.

ومثلما جذبت هذه الجزيرة انتباه كتاب القرن الثالث قبل الميلاد، جذبت كذلك انتباه الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن الاهتمام الأثري بالجزيرة ازداد بعد حقبة الخمسينيات من القرن العشرين، حينما أكدت بعثة تنقيب دنماركية على وجود حضارة دلمون الأسطورية. واعتبر موقع قلعة البحرين (المدينة الخامسة) من أهم المواقع الأثرية الهلنستية في البحرين، وقد مهد هذا الاكتشاف الهام الطريق للمزيد من البحوث، والتي في النهاية عززت فهمنا لتاريخ البحرين القديم وسكانها^(١). فأثناء الحملة الرابعة للبعثة الدنماركية في المدينة الخامسة، عُثر على قطعة من آنية فخارية غير مصقولة (سمراء شاحبة) تحمل الأحرف الخمسة الأخيرة من اسم كتب باليونانية، فكانت هذه اللقطة الإشارة الأولى إلى ما صار يطلق عليه اسم المدينة الخامسة، وهي خرائب تايلوس Tylos، وقد كشفت التنقيبات الأثرية في الطبقات الهلنستية عن آثار يونانية متنوعة منها؛ آثار منزلين خاصين يشمل الواحد منها غرفتين، وكسر فخارية إغريقية مستوردة، وشارع مرصوف بنوع من الملاط الجصي، مزود بنفق صريف معقدة مكونة من حوضين مستطيلين مجصصين أحدهما في الجهة الشمالية والآخر في الجنوبية، وموصولين بمصرف فرعي طويل. كما عثر في تنقيبات لاحقة على ثلاث غرف تحتوي كلها فخارا مميزا يعود تاريخه إلى الحقبة الهلنستية، ويرجح أنها كانت في الماضي جزءا من مبنى قائم مباشرة غرب الشارع، ويوصل الشارع إلى بوابة مفتوحة مباشرة في السور الواقى الهلنستي. وكشفت تنقيبات سنة ١٩٧٠م على طول الجدار الشمالي عن آثار منزل واحد على الأقل، وعند إزالة حاجز حجري (مملط) يمتد على جدران من هذا المنزل، اكتشف المنقبون عن جرة مستديرة البطن، ضيقة العنق، تحتوي كنزا من العملة حوى ٢٩٢ قطعة فضية^(٢).

إن أهم ما قدمته التنقيبات الأثرية في المدينة الخامسة؛ هي أنها قامت بإلقاء بعض الضوء على عادات الدفن السائدة في الخليج العربي، والتي تعتبر أكثر صفة أسرة وأصلية لثقافة دلمون على مر العصور، بما فيها العصر الذي خضعت فيه دلمون للسيطرة اليونانية، وصارت تعرف فيه باسم تايلوس. وتجدر الإشارة إلى أن مقابر تايلوس المتأخرة، والعديدة أيضاً، والتي تقع في محيط يختلف تماماً عن محيط دلمون السابق، تم اكتشافها على حالتها؛ حيث حفظت على نحو جيد. وبسبب ندرة المستوطنات خلال تلك الحقبة، فإن فهمنا للمحيط الاجتماعي والثقافي السائد منذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الثالث بعد الميلاد، يكاد يركز فقط على ما يتعلق بالدفن وطوقسه. فكتافة وتنظيم وبنية المقابر الداخلية خلال فترة

(١) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، تايلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ١٠.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٠٤.

السيطرة اليونانية على الخليج العربي أو ما يعرف اصطلاحاً بحقبة تايلوس في البحرين؛ تعكس نظاماً دينياً كاملاً، وتشير إلى مجموعة خاصة من العادات والتقاليد. إن دراسة المكتشفات الأثرية المتميزة تسمح لنا بفهم عادات الدفن المحلية وتعكس الطقوس وتفاصيلها. وفي النهاية فإن أي تغيير في أعداد المقابر أو موقعها أو طرق تشييدها على مر الزمان يعكس ديناميكية تايلوس والتغيرات الاجتماعية الثقافية التي مرت بها^(١).

في الواقع تضم تايلوس عدداً كبيراً من المقابر سواء المتجاورة أم المتقابلة. وفي وسط المقبرة الكبيرة يقع قبر كبير - وعادة ما يكون فاخراً - حيث دفن أحد أعضاء الجماعة البارزين في المكان أولاً (على الأرجح مؤسسها)، وقد تجمع فوق هذا القبر كم هائل من الرمال. أما القبور اللاحقة فتقع على شكل دوائر متحدة المركز محيطةً بالقبر الأول أو القبر الرئيسي أو القبر الأوسط، وعليها كم أقل من الرمال^(٢)، وبناء عليه فإن القبور تأخذ اتجاهات مختلفة، ولا يشكل اتجاه رأس الميت أي أهمية بالنسبة لطقوس الدفن في فترة تايلوس. وعلى سبيل المثال فقد فسرت البعثة الألمانية بأن الشخص المدفون في القبر رقم (CIV-2) في موقع كرانه تل رقم (١)، يقع في وسط المقبرة بالضبط، وأن المقبرة تطورت حول القبر الذي يعود لذكر بالغ عمره ما بين ٣٠ - ٤٥ سنة وقت موته. وغطي بتل ضخم من الرمال جعل علماء الآثار يفترضون بأن المدفون في هذا القبر يتمتع بمنزلة اجتماعية خاصة من المجموعة. وكذلك الأمر مع القبر الأوسط رقم (CV1) في موقع سار* الأثري حيث غُطي القبر بتل رملي ضخم، أخذ حيزاً قياسه ١٢م، وارتفاعه ٢٠م، وانتشرت حوله القبور واحداً تلو الآخر، وتعود هذه القبور (القبر الأوسط) لمجموعة خاصة من الناس تتمتع بمنزلة اجتماعية عالية. وكانت استنتاجات بعثة التنقيب البلجيكية في موقع الشاخورة مطابقة لاستنتاجات البعثة الألمانية، حيث تبين أن القبر الأوسط، القبر رقم (٨) في موقع الشاخورة، الحقل (A)، والذي سمي القبر الرئيسي (main grave)، قد شُيد عليه تل ضخم باتجاه شرق/ غرب، وحُفر في الصخر الطبيعي، ومواصفاته من الناحية المعمارية تتطابق مع القبر الأوسط رقم (٣٠٥) في التل رقم (٢) حقل (B)، والأهم أنه على مسافة (٦) أمتار من هذا القبر رقم (٨) في موقع الشاخورة اكتشف شكل هرمي مبني بالحجارة والجص ارتفاعه ٨٥سم، والذي يعرف بـ نفش** (nefesh) أو بيت روح الميت. هذا بالإضافة إلى أن العديد من تلّال مدافن تايلوس، التي قامت بتنقيبها بعثات وطنية بحرينية، أكدت ظاهرة أو نظام القبر الأوسط في وسط

(١) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، تايلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ١٠.

(٢) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، المجمع نفسه، ص ١٤.

* يقع موقع سار الأثري في المنطقة الجنوبية الغربية من موقع قلعة البحرين، ولا يبعد عنها أكثر من ٦ كم.

** وهي كلمة اتفق علماء الآثار على ترجمتها بشاهدة قبر؛ كما في اللغة النبطية والآرامية.

المدفن، وأن القبور كانت تُشيد حوله، ليصير المدفن كدائرة حول القبر الرئيسي. وبناء عليه يفسر علماء الآثار هذه الظاهرة في تايلوس بأنها شبيهة بعبادات الدفن عند الأنباط^(١).



صورة رقم (١٥): صورة جوية لموقع قلعة البحرين

ومع ازدياد أعداد القبور تدريجياً على مر الزمان، غُطيت القبور بالرمال ومن ثم شكلت مجموعات كبيرة من التلال بأشكال غير منتظمة بارتفاع متوسط، وهي من أهم ميزات فترة تايلوس في البحرين^(٢). وتمتاز هذه التلال (المدافن) بأنها قريبة من بعضها بعضاً، وكانت تستخدم في الوقت نفسه، أي أنها كانت متعاصرة فيما بينها، ولم تكن متعاقبة في تسلسلها الزمني، وما يؤكد ذلك المكتشفات الأثرية داخل هذه القبور، والتي تعود إلى الفترة الزمنية نفسها، وبناء عليه فإن عدداً من الباحثين يرى أنه رغم عدم اكتشاف نصوص كتابية تشير إلى أسماء مؤسسي المقابر أو ملكية مقابر فترة تايلوس، إلا أنه يمكن اعتبار ملكية وتأسيس مقابر خاصة لعائلة أو عشيرة يعينها كان نظاماً متبعاً وشائعاً في تايلوس خلال تلك الفترة، أي أن هذه التلال بمثابة مقابر خاصة، على غرار مقابر الأنباط والتدمريين، بدأت بالقبر الأوسط وهو مرقد مؤسس المقبرة؛ التي أسسها له ولأبنائه

(١) معراج، محمد رضا إبراهيم (١٨- ٢١ أبريل ٢٠٠٦م)، تايلوس وحضارة الأنباط، جمعية الآثار والتاريخ والحضارة بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مداولات اللقاء العلمي السابع للجمعية، مملكة البحرين، ص ١٠.

(٢) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، تايلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ١٤.

وبناته وأحفاده ومن جاء من بعدهم، وبالتالي يمكن اعتبار هذه التلال (المدافن) متعاصرة مع بعضها، وقد استمر استخدام بعضها لفترة زمنية طويلة تتراوح ما بين قرن إلى ثلاثة قرون، وبالتالي فإن احتمالية أن تكون هذه التلال قد شيدت على التعاقب، هو احتمال ضئيل^(١).



صورة رقم (١٦): خريطة للتلال 1 في مقبرة الشاخورة (شمال البحرين) مدافن منظمة بشكل دائري حول المدفن الرئيس والذي يعود إلى مؤسس المقبرة. عن: لومبارد (بيير) وفتوح (نادين)، تاييلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ١٣.

أما من حيث البنية المعمارية للقبر، فإن القبر الصخري يشكل النوع الأكثر انتشاراً في تاييلوس. وخلال المراحل الأولى من حقبة تاييلوس، بطنت الجدران الداخلية لغرف الدفن بألواح الحجر الجيري بينما صقلت قواعدها وقممها بالملاط، ولكن هذا النوع من التبطين توقف تدريجياً. إضافة إلى ذلك، بينما كان عمق عُرف الدفن ضحلاً في بداية حقبة تاييلوس، إلا أنه خلال المراحل اللاحقة كان من الممكن أن يتعدى عمق الغرفة متراً. وقد بنيت هذه القبور بثمان بلاطات من الحجارة الكلسية المشذبة، وكانت تغطي بلوحيين أو ثلاثة من هذه الألواح الكلسية، ويحكم إغلاقها بالجص. هناك عدد صغير من غرف الدفن تم بناؤها بعناية من كتل الصخر المنحوتة^(٢). وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من القبور منتشر في الحجر والمقشع والشاخورة وأبوصييع وغيرها^(٣). وأهم نموذج لهذا النوع من القبور هو المكتشف في موقع باربار (أقصى شمال غرب البحرين)،

(١) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، تاييلوس وحضارة الأنباط، ص ١٢.

(٢) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، تاييلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ١٤.

(٣) تجدر الإشارة إلى أن قبور المقشع عرفت منذ سنة ١٩٣٧م عندما دُمّرت عدة أضرحة منها أثناء شق طريق المنامة البديعة، حيث قُدر عدد مدافن هذه البلدة ما بين ٢٠ - ٣٠ تلاً، وأرخت بحقبة تاييلوس. انظر: بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨١٩.

وترجع أهمية هذا القبر إلى مجموعة من الأحرف اليونانية القديمة، محفورة على هذه الحجارة، والأحرف هي ألفا، وبيتا، وجاما، ودلتا، وإيتا، وهي مرتبة حسب تسلسل الحجارة. ويبدو أن الهدف من وضع هذه الأحرف على بلاطات القبر من النحاتين، كان لمعرفة موضع كل بلاطة في أثناء تشييد القبر. وقد اكتشف سنة ٢٠٠٠م، بموقع الشاخورة التل رقم (٤) حقل A، خلال حفرة إنقاذ قبر مماثل مبني ببلاطات حجرية؛ عليه كتابة باللون الأحمر لم يتمكن المختصون من تحديدها فهي أحرف يونانية أم آرامية^(١).

بينما كانت القبور الأخرى بسيطة وأحياناً يعاد استخدام حجارتها مع مرور الوقت. وحينما كان يتم استخدام القبور القديمة، كانت رفات الميت السابق تكوم في جانب، ولكنها في أغلب الأحيان كانت تزال أو تدفن في مكان آخر. إن الاهتمام الفائق الذي مُنح للميت خلال حقبة تايلوس يشكل جزءاً من نظام معقد معني بتقاليد الدفن. أما أثاث الدفن الفاخر الذي عثر عليه في أغلب غرف الدفن يشير بوضوح إلى أن الموت لم يكن يعتبر نهاية الحياة ولكن بالأحرى ممراً أو رحلة حقيقية بعد الحياة، وكان ذلك يصاحبه طقوس مختلفة. كما تشير طبيعة الأدوات المكتشفة واتساقها إلى إيمان راسخ بالحياة بعد الموت في تايلوس. وبخلاف ذلك النهج العام، نلاحظ أن المبادئ العامة تختلف من مقبرة إلى أخرى مما يعكس مستويات السكان وطبقاتهم الاجتماعية^(٢). وأخيراً تجدر الإشارة إلى نوع من القبور الهلنستية المنحوتة في الصخر، والتي عثر عليها في جزيرة تايلوس وفي جزر النبي صالح وأم النعسان الصغرى^(٣).

وقد تميزت قبور تايلوس بظاهرة مهمة بالنسبة للمختصين بعادات وشعائر الدفن وهي **بناء هرم بالقرب من القبر**؛ يعرف في أوساط علماء الآثار باسم نفش nefesh^(٤)، وهي كلمة اتفق علماء الآثار على ترجمتها بشاهدة قبر؛ كما في اللغة النبطية والآرامية^(٥)، وكان بيتاً لروح الميت، كما سلف ذكره. لقد كشفت بعثة الآثار البلجيكية في البحرين برئاسة أ. دامس A. Daems هروماً مبنياً بالحجارة والجص في أحد مقابر الشاخورة، كما سلف ذكره، فأثناء تنقيب التل رقم (٣) سنة ١٩٩٩م، اكتشف دامس ١٤ قبراً أسفل التل مقطوعة في الصخر الطبيعي، ١٢ قبراً منها تعود لحضارة دلمون وتؤرخ بمطلع الألف الثاني قبل الميلاد. أما القبران الآخران فيعودان لفترة تايلوس ويؤرخان بما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، أحدهما

(١) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، تايلوس وحضارة الأنباط، ص ٢٢.

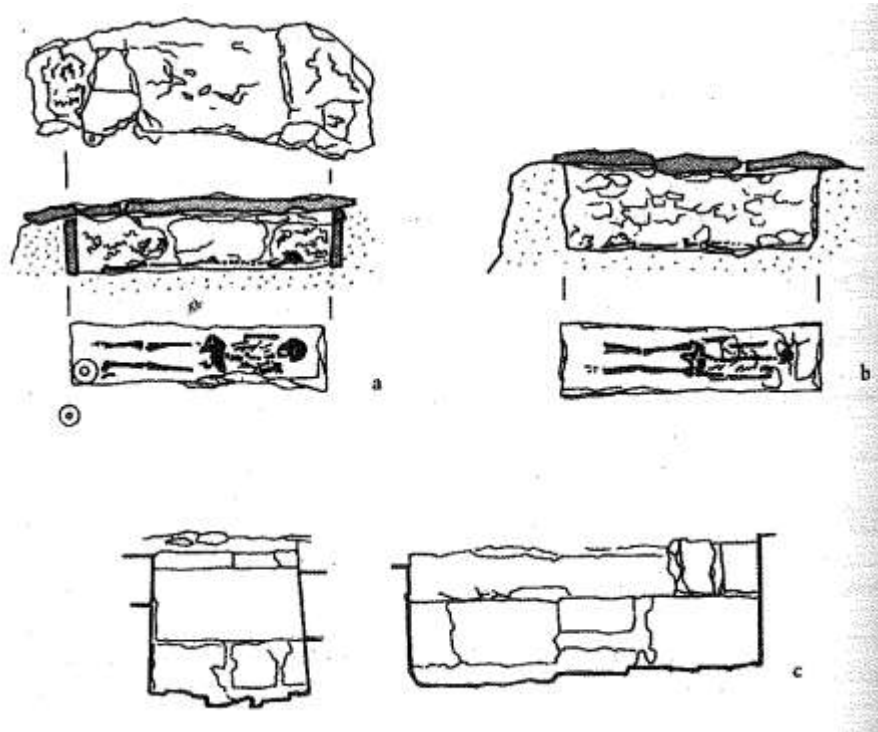
(٢) لومبارد، بيير وقتوح، نادين (د.ت)، تايلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ١٤.

(٣) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٢٦.

(٤) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، تايلوس وحضارة الأنباط، ص ٥، ٦.

(٥) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٥٧.

هو القبر رقم (٨)، والذي أُطلق عليه (القبر الرئيسي) لوقوعه في وسط التل، ويتجه شرق/غرب، ومن خلال دراسة بنيته المعمارية تبين أنه مقطوع في الصخر الطبيعي، ومبني بشكل كامل بالحجارة والجص. وقد تعرض للسرق والتخريب من زاويتيهِ الشماليّتين. وكان الاكتشاف الأهم على مسافة ستة أمتار إلى الشرق من التل وبشكل مواز للقبر الرئيسي، حيث اكتشف نصب تذكاري جنازتي على شكل هرم، بارتفاع ٨٥سم، مبني بالحجارة الصغيرة والجص، وهذا البناء يصاحب بوضوح القبر الأوسط، وعلى قمة الهرم وجد حجر منحوت بشكل بيضوي؛ كحلية معمارية، وبسبب تآكل هذه الحلية لم يتمكن علماء الآثار من معرفتها، أو المعنى منها. وهذا الهرم يعود إلى الميت المدفون بالقرب منه في القبر الرئيسي. ويبدو أن الهرم كان مكشوفاً لمدة خارج التل قبل أن تغطيه الرمال فيما بعد. في الواقع إن اكتشاف هرم مبني بالحجارة والجص في إحدى مقابر تاييلوس بمقبرة الشاخورة يعتبر أهم اكتشاف يؤكد على وجود صلات حضارية بين تاييلوس والأنباط، وهناك احتمال أن القبر يعود إلى جالية نبطية مقيمة في تاييلوس أو جالية من التجار ترعي مصالحها في جزيرة تاييلوس. كما تم اكتشاف نماذج مماثلة من نصب تذكارية جنازية هرمية الشكل، مبنية بالحجارة والجص في مقابر تاييلوس بأيدي بعثات أثرية وطنية بحرينية، إلا أنه لم ينشر عنها شيء حتى الآن^(١).



صورة رقم (١٧): قبور النواويس في جانوسان، تنقيبات سنة ١٩٦٩م: دانيال بوتس، ج ٢، ص ٨٢٥

(١) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، تاييلوس وحضارة الأنباط، ص ٥، ٦.

أما عن **طقوس دفن الميت** فقد كان المتوفى يدفن مستلقيا على ظهره؛ وفي بعض الأحيان كان يدفن مستلقيا على بطنه وصدره^(١)، وقد تم احصاء خمس نماذج مختلفة لوضعية اليدين، بالنسبة لجسد المتوفى، وهي إما وضع اليدين على استقامتها، إلى جانب الوركين. أو وضعهما على الحوض مباشرة. أو وضع إحدى اليدين على الصدر أو البطن والأخرى ممدودة. أو وضع إحدى اليدين إما ممدودة أو على الصدر والثانية مثنية وكأنها مرفوعة في وضعية التحية، وهذه الأوضاع شديدة الشبه بالنسبة لأيدي التماثيل المنحوتة من الحجر الجيري، والمكتشفة في مقابر تايلوس. أما الأرجل فهي ممتدة على استقامتها^(٢). وإن الأطراف المنجذبة إلى جهة الجسد تشير إلى استخدام أربطة من القماش في بعض الأحيان. أحيانا كان يتم حفر قنوات صغيرة في الأرض عند قدم الميت؛ كانت على الأرجح تستخدم للتخلص من السوائل خلال الإراقة وأداء الطقوس^(٣).

لقد شاع استخدام التوابيت في مقابر تايلوس، وبالأخص التوابيت الخشبية، التي قلما تخلوا تلال مدافن تايلوس من وجودها، فقد استخدمت على نطاق واسع، وإن ما حصلت عليه بعثات التنقيب الأثرية من توابيت خشبية بدرجة حفظ جيدة هو عدد قليل جدا، واكتشف تابوت واحد من الحجر الجيري بحالة جيدة، ولم يعثر على توابيت من الفخار في تايلوس. وبالعودة للتوابيت الخشبية فقد تم توثيق عدد من المدافن التي احتوت على ما تبقى من التوابيت الخشبية المتحللة داخل غرف الدفن، والتي تنم عن استخدام التوابيت الخشبية بشكل دائم. وغالبا ما تم كشفه هو إطار من الخشب التالف، مستطيل الشكل، يحيط بالهيكل العظمي، وكان أفضل ما تم اكتشافه تابوتان من الخشب في موقع الشاخورة، في التل رقم واحد القبرين رقم ٤٠ و ٤٤، والتابوتان موجودان في مخزن متحف البحرين الوطني، بلون بني داكن ناعم الملمس، وهما في درجة حفظ جيدة؛ مكنت الباحثين من أخذ عينه وعملت لها دراسة في الدنمارك، لتحديد طريقة الصناعة ونوعية الخشب وتحديد العمر. وتدل صناعة التوابيت الخشبية المكتشفة في تايلوس أنه تم صنعها بشكل ممتاز، بأيدي نجارين محترفين، لم تكتشف زخرفة منحوتة على الأخشاب، ولكن توجد علامات منشار كبير على الخشب، وهذه العلامات نُعمت بآلة حادة، وزوايا الجوانب الأربعة للتابوت معمولة بواسطة التعشيق، حيث لم تستخدم المسامير الحديدية فيها، بل استخدمت مسامير من نفس الخشب، دائرية الشكل قطر المسامير منها ٧ ملم، وقد درست الكسر الخشبية تحت المجهر أثبتت العينات بأنها تعود إلى صنف خشب الورد الباكستاني *Pakistani Rosewood*. وتم

(١) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، **تايلوس رحلة ما بعد الحياة**، ص ١٦.

(٢) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، **تايلوس وحضارة الأنباط**، ص ١٨.

(٣) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، **تايلوس رحلة ما بعد الحياة**، ص ١٦.

تأريخ هذين التابوتين بواسطة الكربون المشع C14 بالقرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول الميلادي. وتجدر الإشارة إلى أنه حتى لو وضعت الجثة في تابوت فإن وضعية الدفن لا تختلف^(١).

أما **الأثاث الجنائزي** فقد كان غنيا ومتنوعا، حيث تم العثور في معظم المقابر على أثاث دفن فاخر وثمين، خاصة في الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد، إذ كان لابد من تزويد الميت جيدا بالأدوات بحيث يمتلك كافة أنواع الأشياء التي قد تعد ضرورية للقيام برحلة آمنة وسهلة، حيث تم اكتشاف أدوات منزلية، وأنية خزفية مصقولة، وأواني زجاجية مصنوعة بتقنية عالية، وحاويات من المرمر، وأدوات مصنوعة من العظام والعاج، وتمائيل من الطين المشوي، وحلي ذهبية متقنة الصنع داخل الغرف، ومصابيح زيتية. يُذكر أيضاً أنه تم اكتشاف عدد من مواقد البخور استخدمت خلال إقامة طقوس الدفن. وهي عبارة عن عدد من الأوعية المقلوبة المملوءة بمواد محترقة، الموجودة بجانب غطاء القبر. إضافة إلى ذلك تم العثور على أسلحة بجانب الجثث في بعض القبور^(٢)، حيث عثرت بعثة التنقيب الفرنسية في **موقع جانوسان Janussan** (البحرين) في القبر T1 في التل رقم IIA سنة ١٩٨٠م؛ على خزفيات هلنستية مختلفة، من بينها زجاجيات صغيرة وكؤوس ذات الثلاث أرجل، وكؤوس فخار حمراء ناعمة وللقبر أهمية خاصة لما لاكتشاف طقم من الأسلحة فيه يشمل بقايا درع، ورؤوس سهام بأشكال مختلفة (ثلاثية الفصوص ومتنافرة) من الحديد، وسيف قصير من الحديد، ورأس رمح من الحديد أيضا، ما دفع بعض الباحثين للاعتقاد أنه قبر لشخصية عسكرية ربما سلوقية من أصحاب الامتيازات^(٣). وأخيرا إن ما يميز هذا القبر بأنه عثر على حجارته أحرف يونانية^(٤).

لقد تمكن المختصون من إعادة تصور **مراحل رحلة ما بعد الحياة** في تايلوس، وذلك من خلال الفحص الدقيق لمحتويات القبور المختلفة، فهي توضح كيف يتم وداع الميت وكأنه لا يزال على قيد الحياة. وكيف كان الأقارب يحرصون على إلباس فقيدهم المتوفى أفضل الملابس، وكانوا يهتمون بتزيينه، ورشه بالعطور. وكيف كانوا يزودونه بالأدوات اللازمة لأجل تلك الرحلة المحفوفة بالمخاطر حيث كانوا يعطونه سلاحه؛ ليحمي نفسه خلال رحلة مليئة بالمخاطر^(٥). وأخيرا تم تزويد المسافر بقطع معدنية صغيرة من

(١) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، **تايلوس وحضارة الأنباط**، ص ٢١.

(٢) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، **تايلوس رحلة ما بعد الحياة**، ص ١٦.

(٣) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، **الخليج العربي في العصور القديمة**، ج ٢، ص ٨٢٥.

(٤) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، **تايلوس وحضارة الأنباط**، ص ٢٢.

(٥) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، **تايلوس رحلة ما بعد الحياة**، ص ١٦.

النحاس أو الفضة، وغالبا ما تكون هذه النقود من فئة الأبولو Obols (وهي أصغر وحدة نقدية إغريقية، وتساوي سدس دراخمة)، ويلاحظ اكتشاف قطعة نقود واحدة في كل قبر، حيث لم يعثر على أكثر من قطعة واحدة في القبر الواحد؛ أي بمعدل قطعة للشخص الواحد، وفي حالات نادرة تم الكشف عن أكثر من واحدة، وفي معظم الأحيان تكتشف إما بالقرب من الفك السفلي أو بالقرب من أعلى فقرة من العمود الفقري (الرقبة)، وفي أغلب الأحيان تكون أسفل الجمجمة، وتوحي في هذه الحالة إنها كانت موضوعه بالأساس في داخل الفم أثناء إجراء عملية الدفن، ولم تكن هذه الطقوس مقتصرة على قبور الرجال وحسب، بل اكتشفت في معظم قبور النساء والأطفال أيضا، وإن لم تكن جميع غرف الدفن قد احتوت على قطع نقدية مماثلة، كما كان من غير المعلوم سبب عدم وجودها في بعض القبور، ويرجح أساتذة الاختصاص أن هذا التفاوت مرده لاعتقادات دينية، ونتيجة لمؤثرات ومعتقدات دينية يونانية، وبعد ذلك سمة مشوقة؛ اعتقادا منهم بأنه يجب على الميت دفع أجرة زورق يقوده البحار شارون الساهر على عبور الموتى نهر الموت إلى العالم السفلي، لهذا كان الإغريق يضعون في أفواه الموتى بعض قطع النقود، ويمكن أن نعتبر ممارسة هذه الطقوس في تايلوس، مؤشرا على أن هذه المعتقدات أحد مؤثرات الحضارة اليونانية على حضارة تايلوس^(١).

لقد كان **الطعام والشراب** متمماً لطقوس الدفن، واستدل علماء الآثار على ذلك من خلال عدد أوعية الطعام الكبيرة في القبور. ولكنهم لا زلوا يجهلون تفاصيل تلك الطقوس هل كان الطعام يؤكل خلال مأدبة الدفن؟ أم كان قرباناً للآلهة؟ أم يوضع للميت ليقنات به خلال رحلته في العالم الآخر؟ ومع ذلك فإن بعض الأوعية الرمزية (سلال طعام مصغرة)، وبشكل عام انتساق الودائع، تشير لكون الطعام والشراب وضع في القبور للحرص على حصول الميت على إمدادات كافية من الطعام والشراب لأجل رحلته إلى العالم الثاني. ودائع البيض والمحار والحيوانات الصغيرة أحيانا، وخاصة طيور الطرائد، التي تم اكتشافها في بعض القبور تشير إلى بعض عادات الطهو لدى سكان تايلوس. كذلك كانت توضع أجران ومدقاتها ومعها بعض الحبوب في القبور. الأوعية في حد ذاتها ربما كان لها وظيفة محددة خلال الطقوس، ولكن أشكالها تعكس النمط السائد آنذاك والصفة العالمية لتايلوس. بينما ظلت الأحواض والأنية العادية شائعة، استبدلت الأوعية ذات الطابع العربي بالخزف المصقول تدريجياً. يتصف هذا التقليد العربي القادم من شبه الجزيرة العربية والذي وجد خلال المرحلة الأولى من حقبة تايلوس بكون الجزء الداخلي أسوداً أو من الفخار الأحمر، ودائماً ما يصاحبه تزيين بأشكال مصقولة. الأنية الفخارية المصقولة، والتي تطورت بشكل عام خلال المراحل اللاحقة في الفترة ما بين

(١) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، **تايلوس وحضارة الأناضول**، ص ١٩، ٢٠.

القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثالث الميلاد، مستوحاة من الطراز الإغريقي وبعد ذلك من الطراز الفرثي. باستثناء بعض المواد المستوردة على الأرجح، فإن معظم تلك المنتجات يبدو أنها محلية^(١).



صورة رقم (١٨): نقش دائري لامرأة في حالة حزن، جبس مطلي. مقبرة سار، القرن ٢ - ١ ق.م. نقلا عن: لومبارد (بيير) وفتوح (نادين)، تايلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ١٧.

لقد تميزت طقوس وشعائر الدفن خلال فترة تايلوس بما اصطلح علماء الآثار على تسميته **بالمضافات الجنائزية**، فبالإضافة إلى الطعام والشراب الذي كان يقدم للميت، كان هناك نوع من العادات الدينية المتبعة القاضية بتقديم قرابين عن روح الميت، وإشراك جميع المشيعين والمحتشدين في وليمة جنائزية في أثناء عملية الدفن، وقد بين الدليل الأثري ذلك، فإن تكرار اكتشاف طبقة من الرماد والفحم، تغطي مساحة ليست قليلة بالقرب من غرف الدفن في مقابر تايلوس، تشير إلى وجود المضافات الجنائزية، وهي بالتحديد عبارة عن طبقة من الرماد تمتد من أسفل الجدار القوسي على الأرض البكر (الصخر الطبيعي) وتشمل المساحة المحيطة بجدران القبر من الخارج، وتقدر هذه المساحة بطول يصل إلى ١٦٠سم، وعرض يقدر ٥٠سم، وسمكها تتراوح بـ ٨ سم كأنموذج عام، كما هو الحال في قبور الشاخورة، التل رقم (٢)، الحقل (B) في عدد كبير من القبور، حيث عثر على محرقة بمعدل واحدة لكل عملية دفن، تكون مساحة واسعة من الرماد والفحم، ولكبر مساحة الرماد استنتج علماء الآثار إنها استخدمت لمدة طويلة وتعود لعدة قبور وليست لقبر واحد، وأحيانا يتم الحرق داخل القبر، كما في القبر رقم ٢٦ لوقوعه في سطح التل، أو العثور على طبقات

(١) لومبارد، بيير وفتوح، نادين (د.ت)، تايلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ١٨.

من الرماد متباعدة تكون حسب نسب معينة تفصلها طبقة تربة طينية من الردميات أسفل الجدار القوسي؛ وهذا ربما يعود لتكرار إقامة طقوس الحرق قرب القبر لعدة فترات، حيث يغطي الرماد بتربة طينية في كل مرة بعد الحرق. كما اكتشف في القبرين رقم (٧) و(٣٣) وكان هذا الاكتشاف قد تم من قبل في القبر رقم (٦) في موقع الشاخورة خلال تنقيبات قسم الآثار سنة ١٩٦٩م. وتجدر الإشارة أنه وجد موقد بداخله نوى ثمار التمر وقد لوحظ احتواء طبقات الرماد على عظام حيوانات وبعض الأصداف، مما يدل على أنه كانت تجرى طقوس دينية معينة على فترات، وتقديم قربان يلقى بعظامها فوق القبور. كما تم اكتشاف طبقة من الرماد بالقرب من غرف التماثيل أو قرب مجمع التماثيل؛ في حال كان هناك مجموعة تماثيل بالقرب من بعضها في مقابر تايلوس، تماما مثلما اكتشف بالقرب من مجموعتين من التماثيل قريبة من بعضها في مقابر تايلوس، موقع الشاخورة، التل رقم (٤) الحقل (B). تتألف المجموعة الأولى من (٦) تماثيل والثانية من (٥) تماثيل، وضعت قرب بعضها بدون غرفة تماثيل، اكتشف بالقرب من التماثيل على طبقة رماد سمكتها (٦سم) وتشغل مساحة أكثر من متر، وبعد التدقيق ونخل هذا الرماد وجد به كمية كبيرة من عظام الحيوانات والسمك تعرضت للحرق (سمك مشوي) ونوى الرطب المتفحم، وكسر لأطباق من الفخار المزجج، وطبقة من الرماد والفحم وما تحتويه من عظام حيوانات وسمك، وإن هذه البقايا يمكن للباحث أن يفسرها على أنها بقايا تعود إلى شعائر تقام في إشراك جميع المشيعين والمحتشدين في وليمة جنازية في أثناء عملية الدفن، أو في أثناء تكرار زيارة أقارب المتوفي. كما تم اكتشاف هذه الظاهرة أيضا، بموقع الشاخورة، تل رقم (٢) حقل (B) أسفل الجدار القوسي التابع للقبر رقم (٧) وكذلك توجد قرب القبور ٣٧، ٤٧، ١٣٣؛ حيث طبقات من الرماد المتباعدة تفصل بينها تربة طينية بنية اللون، اكتشف فيها عظام سمك، وعظام حيوانات، ونوى الرطب وكسر الفخار المزجج، وهذا ما يفسر عقيدة الأكل والشراب مع الموتى في مودة التي تبقى ذكراهم باقية، مآدب طقوسية للموتى، وبعد التدقيق اتضح بأن نوعية المادة المستخدمة للحريق (الوقود) هي من السعف وجذوع النخيل وأغصان الأشجار، ومن غير المستبعد أن هذه الحرائق لها علاقة بالمضافات الجنائزية^(١).

أما بخصوص **زينة المتوفي**؛ فقد كان يتم إلباس الميت أفضل الملابس قبل الدفن، ويدل على ذلك العدد الكبير من الملابس والإبر ودبابيس الشعر وإبزيمات الأحزمة. كذلك كان الميت يزين بأفضل الحلي المصنوعة من البرونز والفضة والذهب وكذلك الأحجار الكريمة واللآلئ. يشمل ذلك مجموعة كبيرة من الأساور والخلاخيل والأقراط وخواتم أصابع اليد والقدم والقلائد من كافة الأشكال والخامات الشائعة. وفي بعض القبور،

(١) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، **تايلوس وحضارة الأنباط**، ص ٧، ٨.

تم اكتشاف أربطة عيون أو أفواه ذهبية على الهياكل العظمية. في حالات عديدة عثر على قطع ذهبية في شكل ورقة شجر والتي ربما تعود إلى إكليل الدفن. وقد تم اكتشاف أدوات الدفن الخاصة تلك في بعض قبور هلنستية أخرى أو رومانية لاحقة. بينما الأطفال الذين كانوا دائماً ما يوضعون في جرار، كانوا يزينون بتعويذات لتبعد عنهم الأرواح الشريرة ولتحميمهم خلال رحلتهم الطويلة. في بعض الحالات النادرة، تم العثور على مجموعة نادرة من الحلبي (التي نجت من السرقة) في مقابر البالغين والأطفال على حد سواء. كذلك يشير العدد الكبير للمراهم وأدوات التجميل إلى أن الميت كان يزين بعناية قبل الدفن. كما أنه من الشائع العثور على أنابيب الكحل والأمشاط والمرايا في قبور النساء. وعلى نحو مماثل، تم اكتشاف الكثير من الآنية الزجاجية والتي ملئت بالعمود على الأرجح. ويعد وجود تلك الأدوات المستوردة داخل القبور (من مصر وبلاد الرافدين) من أفضل الأمثلة التي توضح شبكة البحرين التجارية الدولية في تلك الحقبة. تتميز مقبرة تايلوس الكبيرة بجودة لا مثيل لها، وتعد تلك اللقى الأثرية هامة جداً لتحديد وتأريخ المقابر^(١).

لقد كانت القرابين والتمائيل من أهم سبل التواصل مع الآلهة التي عبدها سكان تايلوس، فقد قاموا بنحت عدد من التماثيل، اصطحبوها معهم إلى قبورهم كشواهد، حيث كان من الشائع في تايلوس وضع شواهد حجرية بجانب القبر أو جمعها على شكل سياج داخل المقبرة، تستخدم لاستدعاء روح الميت. وقد تم اكتشاف العديد من هذه التماثيل (الشواهد) المنحوتة من الحجر الجيري (الكلسي) المحلي في العديد من المقابر التي تعود لفترة تايلوس، من نفس نوع الحجر المجلوب من محاجر جزيرة جدا؛ التي تقع إلى الشرق من جزيرة البحرين، لذلك تبدو أنها صنعت من قبل حرفيين محليين، وإن ما يميز هذه التماثيل أنها خالية من الملامح، أي من دون توضيح تفاصيل الوجه كالأعين والفم والأنف أو الجسم والملابس، لا بل إن بعض التماثيل أخذت الطابع التجريدي في شكلها، أي تم الاكتفاء بنحت استدارة الرأس والأكتاف من دون أي ملامح^(٢). ومع مرور الوقت، مهدت شواهد القبور الطريق لتمائيل أكثر تطوراً إذ ظهر جسد الرجل أو المرأة كاملاً في وضع الصلاة؛ حيث اليد اليمنى مرفوعة وراحة اليد للأمام. ومن ثم يمكن اعتبار الشاهد الحجري حلقة وصل بين الميت والآلهة ووسيلة يعبر الميت من خلالها عن العرفان. بدءاً من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الثالث بعد الميلاد، دل تطور الأداء على أشكال فهم الذات المختلفة، وربما يعد كذلك إشارة إلى تغير العلاقة مع الآلهة. بالطبع ما عاد الميت مجهولاً، ولكن يمكن أن تعرفه الآلهة الآن بكل وضوح. وكون

(١) لومبارد، بيبير وفتوح، نادين (د.ت)، تايلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ٢٠.

(٢) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، تايلوس وحضارة الأنباط، ص ١٢، ١٣.

الشواهد لم توضع في كافة القبور له معنى اجتماعي. فإضافة إلى التعبير عن العرفان والفضل الإلهي، كانت الشواهد الحجرية تشير إلى الثراء أو الحالة الاجتماعية للميت. كما كانت المجموعات المختلفة والتميز بين الأجناس تعكس ظاهرة اجتماعية هامة، ويعزز ذلك الأدوات الوفيرة التي وضعت بعناية في القبور والتي تشير إلى التمايز بين الأجناس والوضع الاجتماعي والثقافي للميت. وحول الجثة كان يوجد بعض المعلقات الشخصية والتي تشير إلى أذواق السكان واختياراتهم الاجتماعية المختلفة^(١).

كما كان هناك نوع ثاني من التماثيل المصنوعة من الجص أو من الطين المشوي (التركوتا)، وفي بعض الأحيان من العاج أو الأحجار الكريمة، تعود لأشكال بشرية لذكور، وعدد غير قليل منها يعود لإناث، أو لحيوانات، سواء مصنوع باليد أم بال قالب، ويظهر أن نوع الطينة المستخدمة هي طينة محلية لونها إما مائل للأخضر أو الأصفر أو الأحمر الوردي، وبعض التماثيل يوجد عليها أثر ألوان مختلفة؛ ما يدل أنها كانت ملونة، وفي الغالب تكتشف هذه التماثيل داخل غرف الدفن، والبعض اكتشف في موقع القلعة وتعود لفترتي دلمون وتايلوس، وغالب هذه التماثيل توحى بأن لها صفة دينية ربما تمثل آلهة معبودة^(٢).

هناك هويتان محليتان في جزر البحرين القديمة، وقد كانتا هما السائدتان في الفترة الهلنستية، وذلك واضح من الفخار الذي عثر عليه في المواقع الأثرية التي تعود لتلك الحقبة، فالنوع الأول من الفخار هو النوع المستورد، والذي يشرح لنا أن الخليج العربي كان مركزا تجاريا وملتقى لحضارات العالم القديم، والنوع الثاني الذي يعبر عن هوية هذه المنطقة المحلية جذوره الممتدة في التاريخ آلاف السنين وسنوجز في شرح هذين النوعين من الفخار: **النوع الأول** هو النوع المستورد حيث بينت التنقيبات الأثرية في تايلوس عن وجود فخار هندي، بحكم أن الجزيرة كانت محطة على الطريق التجاري مع الهند^(٣)، كما أن هناك نوع الكؤوس الرمادية اللامعة، وهو فخار من نوع هلنستي كلاسيكي مزجج بالأسود، عثر عليه بأعداد كبيرة في الجهة الشرقية من الجزيرة العربية^(٤)، وفي جزيرة البحرين في موقع القلعة، ومنه نموذج معروض في قاعة تايلوس في متحف البحرين الوطني، اكتشف في موقع قلعة البحرين، ونوعه كورنثي، لكن صناعته شرقية، ويعود للنصف الثاني من القرن الثالث ق.م. كما عثر على فخار قشر البيض، وهو مستورد من سوسا في إيران. وعثر على فخار ملون مستورد من إقليم بلوشستان. **النوع الثاني**: هو الفخار المحلي ويتألف من ثلاث فئات

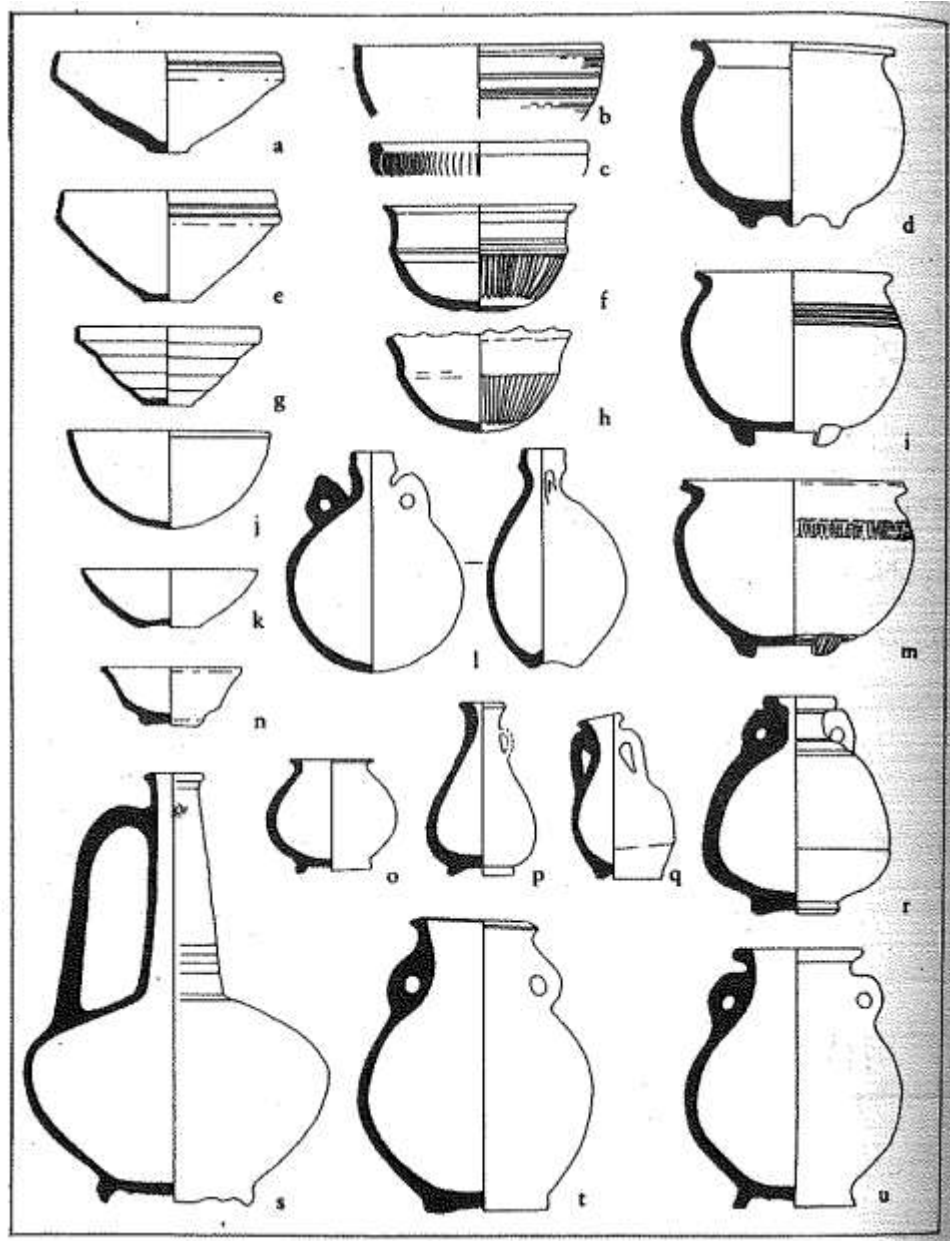
(١) لومبارد، بيبير وفتوح، نادين (د.ت)، تايلوس رحلة ما بعد الحياة، ص ٢٤.

(٢) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، تايلوس وحضارة الأنباط، ص ١٣.

(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٣٦.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٠٥.

حسب تقنية استخدامه ويتمثل في فخار عادي، وفخار ذو زخارف باللون الأحمر، اكتشف جنباً إلى جنب مع الأنواع الأخرى، كالنوع المزجج وزبادي قشر البيض، التي اكتشف عن مثيل لها في شبه الجزيرة العربية وجزيرة فيلكا أيضاً، وعرف هذا النوع من الفخار بالفخار العربي. وهناك إشارة أخرى إلى فخار قشر البيض حيث اكتشف في موقع قلعة البحرين في أثناء تنقيبات البعثة الدنماركية^(١).

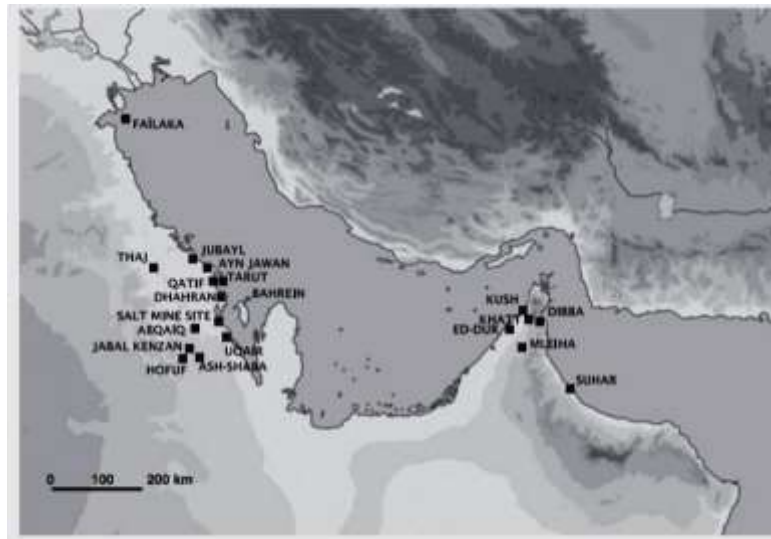


صورة رقم (١٩): نماذج من الفخار الهلنستي الذي عثر عليه في البحرين. دانيال بوتس.

(١) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، تايلوس وحضارة الأنباط، ص ٢٦.

٢- جزيرة إيكاروس (فيلكا):

عندما بدأ الآثاريون الدنماركيون بالتنقيب في تل (ف٥) سنة ١٩٥٨م، لاحظوا على سطح التل وجود أربع درجات طولية واطئة، طول الواحدة منها ما بين ٦٠ - ٧١ سم تقريبا، وقد أسفرت تنقيبات ذلك العام عن كشف القلعة اليونانية، أو ما عرف بالحصن، وتشكل هذه القلعة بناءً مسورًا مربع الشكل صغير المساحة، لا يزيد طول ضلعه عن ٥٨,٦م، وحفظت جدرانها على ارتفاع ١,٧٥م، رغم أن بعض علماء الآثار اقترح أن الارتفاع الأصلي للجدران ربما وصل حتى سبعة أمتار، ويمكن دخول هذه القلعة مباشرة إما عن طريق غرفة البوابة، وسط الجدار الجنوبي، أو من باب ضيق، على جانبيه برجان مربعان في وسط الجدار الشمالي. وبلغت سماكة جدران القلعة نحو ٢,١٠ - ٢,٢٥م، وهي مبنية من الطابوق، على أساس حجري ارتفاعه متر واحد من حجر الكلس المتوفر محليا. وهناك أربعة أبراج؛ برج في كل زاوية من زوايا القلعة، أفضلها من ناحية الحفظ البرج الشمالي الشرقي، ويبلغ بعده الخارجيان ٦,٦٥ - ٧م، والداخليان ٣,٦ - ٣,٥٨م، ويقترح علماء الآثار من خلال تصميم القلعة وبنائها؛ بأن تاريخ تشييدها يعود إلى وقت مبكر من القرن الثالث قبل الميلاد، ربما إلى عصر سلوقس الأول^(١).

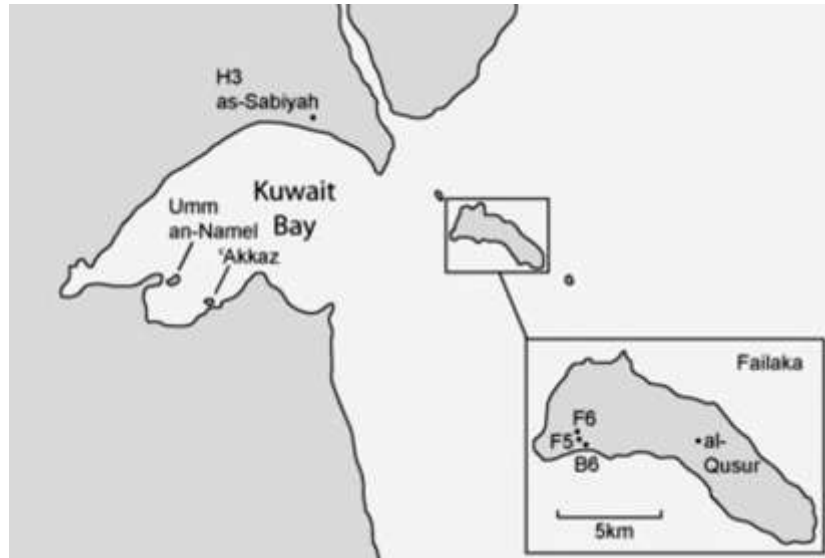


خريطة رقم (٧): موقع جزيرة إيكاروس (فيلكا)، في أقصى شمال الخليج العربي.

ويرجح أن القلعة قائمة في هذا المكان لحماية الجزيرة، وكانت تقطنها حامية من الجنود المقدونيين، بينما كان بقية سكان الجزيرة من السكان المحليين. وقد عُثر في داخل القلعة على أربع تجمعات سكنية كبيرة

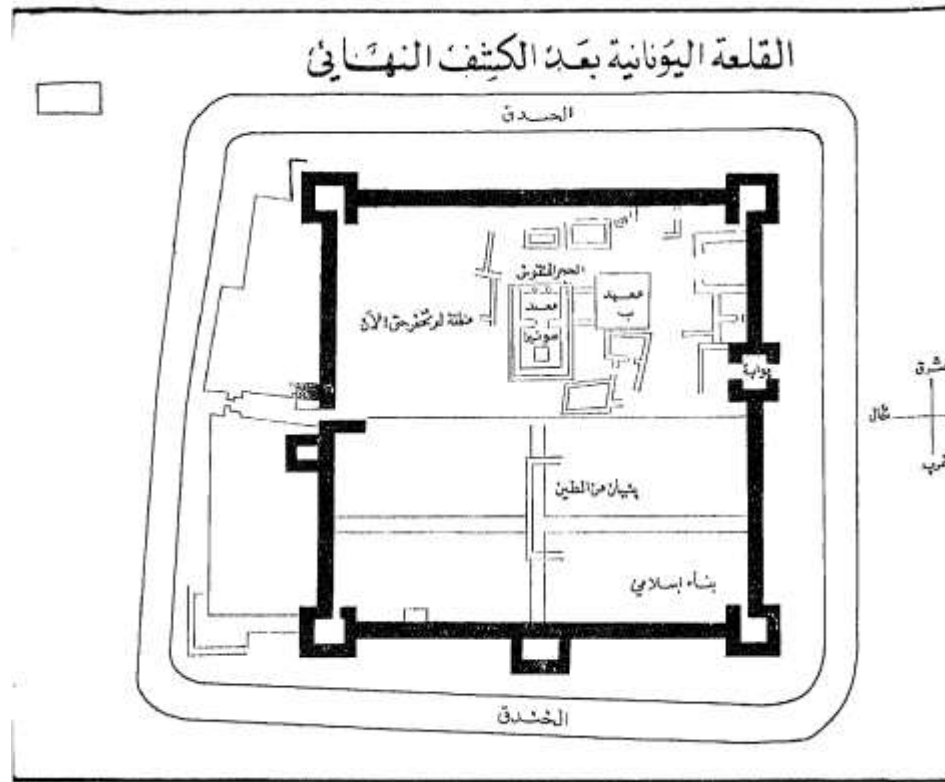
(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج٢، ص ٨٩٣، ٨٩٤.

مبنية من الطين (الطابوق)، ربما كانت مسكنا للجنود الذين كانوا يقيمون في القلعة، وقد عثر علماء الآثار في هذه المنشآت السكنية على بقايا نشاطات المطبخ، وكسر الأواني المصنوعة من الفخار، دليلا على النشاط المحلي. وقد بينت التنقيبات الأثرية أن النصف الشرقي من القلعة تمت إعادة إعمارها، في النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد، وعرف من قبل المنقبين بزيادة ملحوظة بتعزيز التراكيب الدفاعية، وزيادة في عدد المساكن الخاصة، ويبدو أن التوسع في البناء الدفاعي والخاص؛ إنما يندرج ضمن خطة عامة. القلعة أعيد إعمارها مرة أخرى في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، بعد تعرضها لأعمال عنف وتهديم منظم، حيث ظهر في أثناء التنقيب آثار النار والهدم على المستويات المؤرخة خلال هذه الفترة الزمنية، ويرجح بعض المؤرخين أن هذا التهديم مرتبط بوصول حملة أنطيوخس الثالث إلى الخليج العربي سنة ٢٠٥ ق.م، وعلى الرغم من إعادة إعمار القلعة، إلا أنها لم تخضع لإعادة تنظيم سكني، حيث شيدت عدة دور حجرية بسيطة عشوائيا فيما يبدو، لكنها شهدت زيادة ملحوظة في عدد السكان، حيث قدر عدد المساكن المشيدة فيها بـ ٢٠٠ مسكن. كما عثر علماء الآثار على عدد من الأبنية السكنية المتفرقة خارج القلعة، وبناء صنف على أنه مستودع لبضائع التجار، ومقبرة كبيرة تشهد على الحضور والإقامة الدائمة في الجزيرة، ومن المحتمل أن هذه البيوت عمرت خارج القلعة خلال فترة الاستقرار التي عرفها الخليج العربي في أثناء حكم أنطيوخس الثالث وأنطيوخس الرابع والتي استمرت حتى سنة ١٦٤ ق.م^(١).



خريطة رقم (٨): جزيرة إيكاروس (فيلكا) ويظهر عليها موضع التل ف ٥، والتل ف ٦.

¹⁾ Mouton, M., (2009) The settlement patterns of north-eastern and south-eastern Arabia in late antiquity, Arabian. archaeology. And epigraphy: 20: 185–207., p.188.

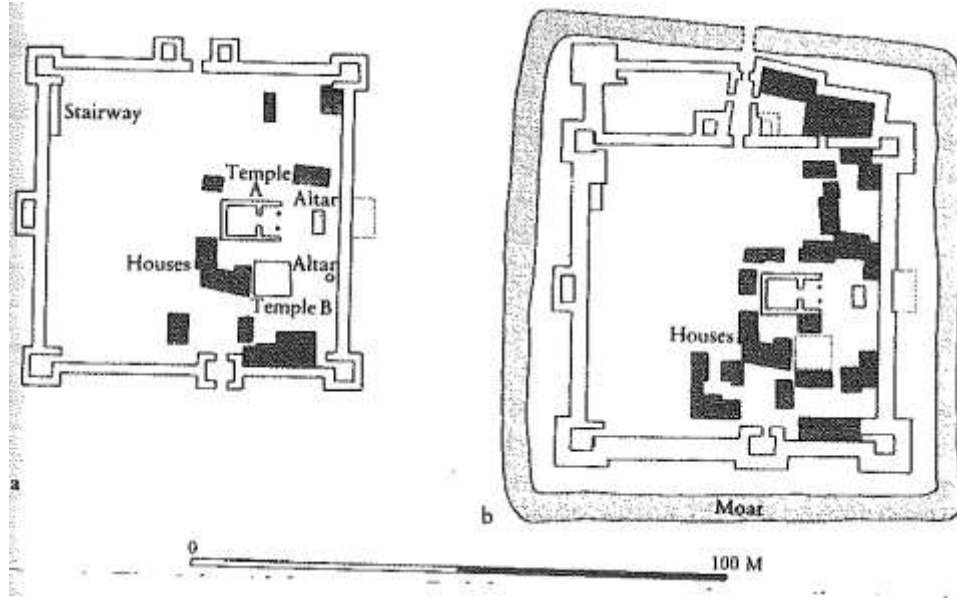


كل اسم = ٢٠٠م، صورة رقم (٢٠): القلعة اليونانية في جزيرة فيلكا، التقرير الشامل، ص ١٣

أما التغيرات المعمارية الناتجة عن إعادة إعمار القلعة؛ فقد تمثلت في ما أدخل على جدران الحصن، وفي الفسحة الداخلية ضمنها، وهي تشهد على استعمال عسكري حقيقي للقلعة. فأولاً: سد مدخل القلعة الجنوبي وهدم الكثير من جدار القلعة الشمالي، لتتم توسعته، حيث أضيف إليه امتداد جديد، وفتح باب جديد للقلعة في هذه الجهة؛ وقد أنجز هذا الباب على الوجه التالي: أحيط مدخل ضيق في الجدار الشمالي، لا يزيد عرضه عن ٨٥سم، بجذلي جدار قصيرين، وعثر على نقب باب في المكان ذاته، خلف زاوية المدخل الشمالية، اعتقد علماء الآثار أن الباب القائم كان مصنوعاً من الخشب ومركباً بأدوات معدنية، لأن آثار صدأ الحديد يمكن مشاهدتها في وسط نقب الباب، وعثر على مسمارين من الحديد على مقربة منه. يوصل المدخل إلى ممر طوله عشرة أمتار تقريباً يضيق طرفه الجنوبي بسبب جدران متقاطعة^(١). ومنذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، بدأ دور الجزيرة وأهميتها بالتراجع، حيث تناقصت الكثافة السكانية فيها، واستمرت في أدنى مستوياتها، على هذا النحو، حتى مطلع القرن الأول الميلادي^(٢).

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٩٧.

(٢) Mouton, M., (2009) Op. Cit., p.188.



صورة رقم (٢١): القلعة اليونانية في جزيرة فيلكا، يظهر على اليسار المخطط الأصلي، وعلى اليمين التعديلات المعمارية في بنائها، والبيوت الحجرية التي تم تشييدها فيها، دانيال بوتس، الخليج العربي، ج ٢، ص ٨٩٤.

كما عثر المنقبون الآثاريون في وسط هذه القلعة على آثار معبد^(١)، وما زال حتى الآن يمثل -على الأرجح- أفضل وأروع مثال على البناء الهلنستي المعروف في الخليج العربي. يتجه المعبد بدقة تقريبا من الشرق إلى الغرب، ويقع مباشرة شرقي وسط القلعة، ويشبه تصميمه المستوي تصميم معبد إغريقي أنموذجي، وإن كان بأبعاد أصغر، حيث بلغ عرضه الخارجي ٧,٥ م، وطوله ١١,٥ م فقط^(٢). إن أغلب الظن أن مستوطني هذه الجزيرة كانوا من أثينا، ومع وصولهم إلى الجزيرة شيّدوا فيها معبدًا شبيهًا لمعابدهم المقامة في أثينا وكوس^(٣)، حيث يُظهر المعبد الطابع الهلنستي، فالمذبح خارج بناء المعبد، وتمثال الطقس موضوع على منصة مستطيلة الشكل، وأرضية المعبد مبلطة بالحجارة جيدة القطع. والجدران مبنية من مواد متوسطة القيمة، وشكلها الخارجي يوحي بأنها أحجار مربعة مقطوعة على الطريقة اليونانية^(٤)، من الحجر الجيري والمرجاني ويظهر الأسلوب المحلي من وضع الطين بين الحجارة، ويبدو أن سقف المعبد كان مستويا؛ حيث يتألف من الخشب المغطى بسعف النخيل والطين^(٥).

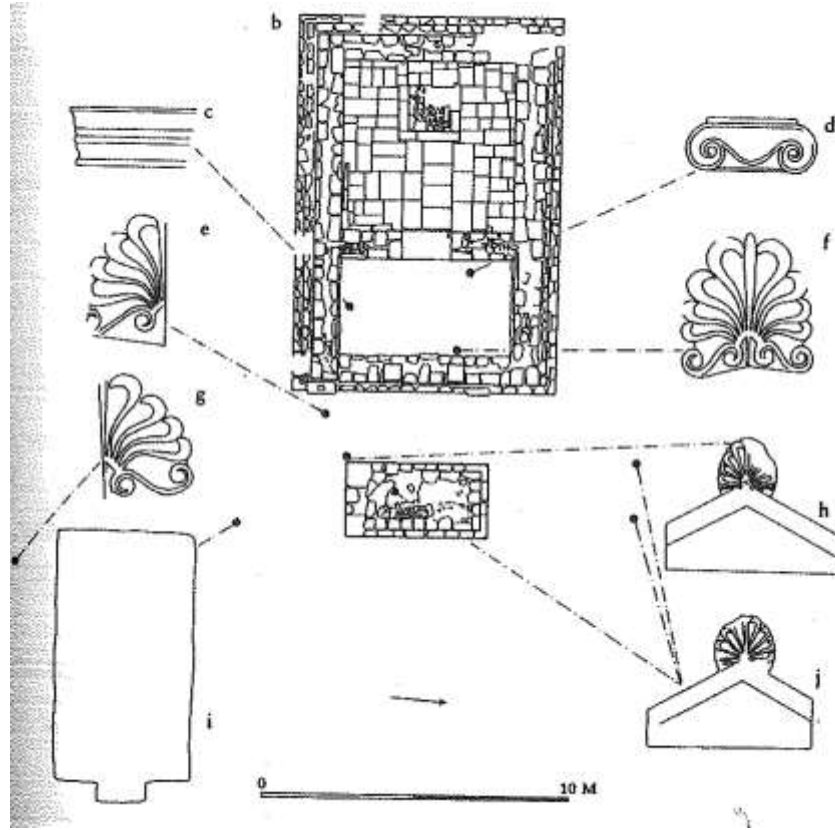
(١) التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣ م)، ص ١٣.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣ م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٩٥.

(٣) بارياس، اندرياس (٢٠١٦ م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ١٤.

(٤) التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣ م)، ص ١٤.

(٥) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥ م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣١٧.



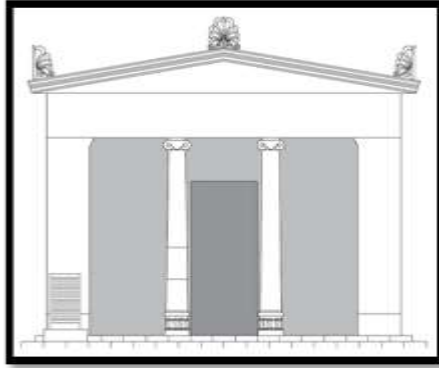
صورة رقم (٢٢): مخطط المعبد وأماكن توزع العناصر المعمارية، وتظهر أرضية المعبد المبلطة، بوتس ص ٨٩٦

كان يقترب منه بمدخل ينتصب أمامه عمودان؛ حيث عثر علماء الآثار على بقايا قاعدتي عمودين في واجهة المعبد؛ الجنوبية منهما كاملة، وتتألف من ثلاثة أجزاء منفصلة، الجزء الأسفل عبارة عن حجر مربع رقيق وفوقه قاعدة مستديرة مزخرفة بأوراق شجرة من الطراز النخيلي المعروف في الفن المعماري الفارسي، في حين تشبه تيجانه بشكلها اللولبي التيجان الأيونية (اليونانية)، أما التأثير الزخرفي فهو وفقا للطريقة اليونانية؛ وهو عبارة عن التلوين بألوان غامقة^(١). يؤدي المدخل إلى رواق صغير طوله حوالي ٤م، ورائه مدخل آخر يؤدي إلى حجرة قدس الأقداس؛ وهي غرفة صغيرة مساحتها ٢,٦م^٢، ويظهر أن قدس الأقداس خالي من النوافذ وهو مكان مظلم، وقد رصفت أرضية حجرة قدس الأقداس بصفائح حجرية متنوعة الحجم ومنحوتة بعناية. وقد كشف فيها عن جزء من القاعدة المدرجة، التي كانت تستخدم حاملا لتمثال الإله المعبود، وتبلغ بعدها ١,٩٦ - ١,٧٩م^(٢). لقد كان معبد فيلكا مكرسا للإله أبوللون الراعي الرسمي للأسرة السلوقية، ومن ثم تحول إلى عبادة الإله أسكليبيوس، ومن المحتمل أن يكون هذا المعبد قد أحتوى

(١) التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣م)، ص ١٥، وانظر: شاهين، علاء الدين (١٩٩٧م)، تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، ص ٧٢.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٩٥.

على ركن لتمثال أسكليبيوس والمذبح، ولما كان يوجد في معابد أثينا ركن يحتوي على بوشروس (وهي حفرة مقدسة أو بيت الثعابين)، فقد وجد مثلها في معابد أبوللون في فيلكا، وهذا أحد الأدلة التي تثبت أن سكانا من أثينا قد استوطنوا فيلكا^(١).



صورة رقم (٢٣): واجهة المعبد اليوناني في جزيرة فيلكا، بارباس (أندرياس)، ص ١٨

لقد لاحظ علماء الآثار أن قاعدتي العمودين من الطراز الأخميني الفارسي، لذلك اقترحوا أنهما أخذتا من خرائب مبنى يرجع تاريخه إلى العهد الأخميني، يقع في مكان ما في فيلكا استعمله بناء المعبد. ثم إن المبنى يعطي انطباعاً بأنه إغريقي في جميع مظاهره، إلا أن تقنيات البناء المطبقة تدل على أن حرفيين محليين أشادوا هذا البناء، ويرجح أن الإزميل التي استخدمت لنحت حجر معبد فيلكا، لم تكن مختلفة كثيراً عن الأزميل المستعملة في البحرين في الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً، في إشادة معبد باربار^(٢). ومن كل ما تقدم يمكن الاستنتاج أنه كان في جزيرة فيلكا في العصر الهلنستي مدرسة محلية للبناء، اعتادت أن تعمل

(١) بارباس، أندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء، ص ١٤، ١٥.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٩٧.

بأدوات بسيطة ومواد سهلة وبسيطة، وتأثرت بالفن المعماري اليوناني. وكان الأمر عبارة عن نسخ للمظاهر السطحية لفن البناء الأجنبي، ولا يمكن أن نحدد بسهولة زمن هذا الفن المعماري المحلي، فانتشاء أوراق النخيل يشير إلى الطراز الهيليني، ولعلها من الطراز الذي كان في زمن الإسكندر المقدوني^(١).

وقد عثر علماء الآثار في جزيرة فيلكا على أطول وأهم نص يوناني مدون على نصب، كان في واجهة المعبد الجنوبية، يفيد أن الملك السلوقي بعث برسالة إلى أهل فيلكا عن طريق إيكادون، في شأن عزمهم على إقامة معبد في تلك الجزيرة، وتعيين كهان لها، وتبين موافقة الملك عليه، ويحدد هذا النص الكثير من الضوابط في التعاملات، كتحديد الأجور، والنفقات التي يجب أن تدفع، وحقوق الحكومة من الواردات، وكيفية الجباية^(٢). أما من الناحية الأثرية فقد عثر علماء الآثار على النصب الذي دون عليه النص؛ مسحوا من مكانه الأصلي في واجهة المعبد الأمامية، التي كان منصوبا عليه، وكان قد تعرض للتكسير بعد سحبه من مكانه مسافة ٧-٨ أمتار. وقد نقل هذا النصب إلى متحف الكويت وطوله ١١٦ سم وعرضه عند أعلاه ٦٢ سم وعند أسفله ٦١,٣ سم، أما سماكته فتبلغ في بعض جهاته ١٦ سم وعلى هذا النصب رسالة موجهة إلى أهل إيكاروس (فيلكا) وسطورها ٤٤ سطرا مقسمة، وفيها عدد من الكلمات والحروف التي طمست أو ضاعت ولم يبق منها سوى آثارها الحمراء، ويبدو أن الكتابة مماثلة للكتابة البطلمية في القرن الثالث ق.م. والرسالة من الملك السلوقي إلى إيكادون Ikadion الذي كتب بدوره رسالة إلى شخص سلوقي اسمه أناكسارخوس Anaxarchos يأمره بأن يرسل الرسالة إلى أهل إيكاروس (فيلكا)^(٣)، ويرى بوتس أن إيكادون المسمى في النص، كان إيكاديونا في أنطاكية، وهو نبيل من النبلاء وأصحاب النفوذ، أيد دعوى الأميرة لاوديكي ونجلها سلوقس الثاني ضد برنيكي زوجة أنطيوخس الثاني الثانية، ويقترح أن إيكاديون منح ولاية البحر الإرتيري في أعوامه الأخيرة، مكافأة له على إخلاصه، وبالتالي قد يكون كتب الرسالة بصفته واليا، متجاوزا تعليمات الملك، إذ ينطوي هذا التأويل على أن إيكاروس دخلت ضمن حدود ولاية البحر الإرتيري^(٤). ويستنتج علماء الآثار من الرسالة أن أناكسارخوس الذي كان مسؤولاً عن فيلكا لم يكن مقيما فيها، ولعله كان حاكما على إحدى مدن الخليج العربي، عند دلتا الفرات ودجلة^(٥). ومن خلال دراسة حديثه؛

(١) التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣م)، ص ١٥.

(٢) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٣٢.

(٣) التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣م)، ص ١٥، ١٦.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٩٣٨.

(٥) التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣م)، ص ١٦.

على ضوء المكتشفات الأخيرة اقترح كوسمين Kosmin أن موقع إقامة أناكسارخوس كان تابلوس، (المدينة الخامسة في موقع قلعة البحرين)، وذلك من خلال المعلومات التي وفرها نقش الشاخورة، حيث اتضح أن تابلوس كانت المقر الإداري والرسمي للحاكم اليوناني المسؤول عن الخليج العربي أمام ولاية البحر الإريتري في الإسكندرية؛ والتي صار اسمها فيما بعد ميسان^(١).

ومن خلال حروف الرسالة وأسلوب كتابتها رجح علماء الآثار أن تاريخها يعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد، وتحديدا إلى سنة ٢٣٩ ق.م وإلى عهد الملك سلوقس الثاني Seleukos II (٢٤٦ - ٢٢٥ ق.م)، ورغم أن حياة هذا الملك كانت مليئة بالحروب والصراعات، إلا أن الفترة المؤرخة ما بين سنة ٢٤١ - ٢٣٩ ق.م كانت هادئة نسبيا مما دفعه لأن يلتفت إلى أمور ثانوية مثل أحوال جزيرة فيلكا، ومحتويات الكتابة ليس من السهل إدراكها كلها، ولكن يمكن إيجازها بما يأتي: «إن أسلاف الملك أرادوا أن يشيدوا معبدا مكرسا إلى الربة المنقذة، وقد كتبوا إلى ضباطهم بذلك فلم يتم شيء»، وعندما تلقى إيكادون الرسالة قام بالعمل في الحال وعين الألعاب - الجيمنازية، كما عين الرهبان لترتيبها، طبقا لرغبة الملك وأسلافه، ولعل هذه الألعاب تتصل بالتضحيات والطقوس الأخرى التي تسبق تأسيس معبد الربة المنقذة (أرتيميس). ثم تنتقل الرسالة إلى بعض جوانب الاحتفال بإيجاز، وهناك مجموعة من الأوامر حول حقوق الشعب ولعلها أصدرت بالنظر للمشاركين في المهرجانات الدينية. وهناك بند يدافع عن الملكية، والمستأجرين المشار إليهم، الذين كانوا موضع كره سكان الجزيرة الأصليين لأنهم كانوا يدفعون الأجور للملك. قد حددت امتيازات الزائرين الأجانب في عبارة قصيرة، وقد ذكرت بعض القيود (لكي تحمي الاحتكار الملكي)^(٢).

وهذا نص النقش مترجما إلى اللغة العربية: «من أناكسارخس، سلام، يهتم الملك بجزيرة إيكاروس، لأن أجداده وضعوا نصب أعينهم أن يكرسوا.. ويوافقوا على [المخططات الخاصة] بمقدس الإلهة المخلصة. وقد كتبوا إلى الضباط يطلبون [منهم] تنفيذها [؟] إلا أن الضباط لم يفعلوا [؟] إما لأنه لم يسمح لهم بذلك، أو لسبب [آخر] إلا أن الملك كتب لنا [فبادرنا] إلى العمل [؟] وحدنا ... القيام بألعاب رياضية، و[عينا عشرة كهنة]، متخذين إجراءات تتفق مع رغبات الملك وأجداده وتناسب حراس المعبد المقيمين في الجزيرة، وسائر الأهالي، [وسوف نقدم ضحايا] على ... المخلص و... الجزيرة سوف يستوطنون [حول الفناء] الأخير. لا يجوز لأحد أن يتقدم إلى الأمام [؟] لكن ... سوف يهتم بأن السكان ... ويحصل على

¹⁾ Kosmin, P., (2013) Op. Cit., p.64.

^(٢) التقرير الشامل (١٩٥٨ - ١٩٦٣م)، ص ١٦.

إصلاح الأمر، عندما يسيئون...، ولم يقصوا، [؟] إذ ربما أراد بعضهم أن [يستثمر] أرضا في الجزيرة بحرث قطع من الحقول وزراعتها [لأنفسهم] وهي مؤجرة وراثيا. سوف [تعطي ضمانا ضد الاستيلاء على الأملاك و] [يمنح إعفاء من الضريبة بالنسبة ذاتها التي منحها أجداد الملك [لأي شخص] يذهب إلى الجزيرة وإلى [الجزء المقابل لها] من جزيرة العرب. لا نسمح، ولا [نتساهل] بأي إعفاءات [أخرى، إذا] أعطي الناس [ممن ركبوا السفينة؟]... [احتكارا]؟ لتحاشي ارتكابهم ما كرنا [من إساءات] سوف يتلقون [الرسالة] بالطريقة المباشرة؟ وينقشونها [على مسلة] في المقدس السنة ٧٣، اليوم ١٧ من شهر أوتمسيوس. وداعا»^(١).



صورة رقم (٢٤): حجر إيكاروس بعد استنساخه، وبعد دراسة الكتابة ومحاولة ربطها وإيجاد معنى واضح، ويبلغ عدد أسطره ٤٤ سطرا، مقسم إلى جزئين، المقدمة ثم الرسالة الموجهة إلى حاكم الجزيرة. التقرير الشامل، ص ٦١

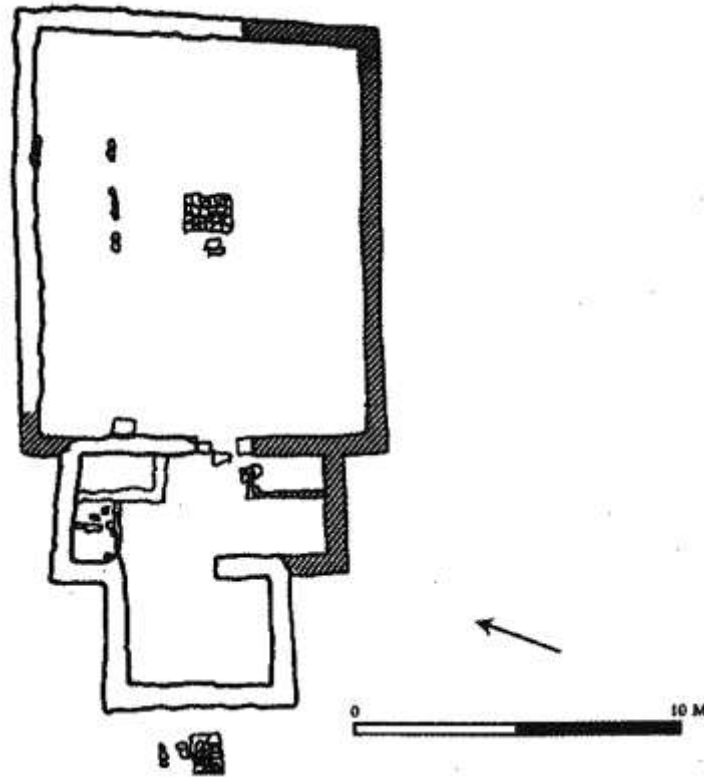
(١) نقلا عن: بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٩٧.

- ΑΝΑΞΑΡ[ΧΟΣ ΤΟΙΣ Ε]Ν ΙΚΑ[ΡΩΙ] ΟΙΚΗΤΑΙΣ ΧΑΙΡΕΙΝ
 ΤΗΣ ΕΠΙΣΤ[ΟΛΗΣ ΗΝ ΕΔΩΚ]ΕΝ ΗΜΙΝ ΙΚΑΔΙΩ[Ν]
 ΥΠΟΓΕΓ[ΡΑΦΑΜΕΝ ΥΜΙΝ ΤΟ] ΑΝΤ[ΙΓ]ΡΑΦΟΝ
 ΩΣ ΑΝ [Ε]Υ[ΘΕΩΣ ΛΑΒΗΤΕ ΤΗΝ Ε]ΠΙΣΤΟΛΗΝ
 5 ΑΝΑΓΡΑΨΑ[ΤΕ ΟΛΗΝ ΚΑΙ Α]Π[Ο]ΛΕΙΠΕΤΕ
 ΕΝ ΤΩΙ ΙΕΡΩ[Ι ΑΟ ΑΡΤ]ΕΜΙΣΙΟΥ ΚΖ ΕΡΡΩΣΘΕ

 ΙΚΑΔΙΩΝ ΑΝΑΞΑΡΧΩΙ ΧΑΙΡΕΙΝ ΣΠΕΥΔΕΙ
 Ο ΒΑΣΙΛΕΥΣ ΠΕΡΙ ΙΚΑΡΟΥ ΤΗΣ ΝΗΣΟΥ
 10 ΔΙΑ ΤΟ [Κ]ΑΙ ΤΟΥΣ ΠΡΟΓΟΝΟΥΣ ΑΥΤΟΥ ΑΦΙΔ[ΡΥ]ΣΙ[Ν]
 ΙΕΡΩΣΑΙ ΚΑΙ ΤΟ ΤΗ'ΣΩΤΕΙΡΑΣ ΙΕΡΟΝ Ε[ΠΙ]ΒΑΛΕΣ
 ΘΑΙ ΜΕΤΑΓΑΓΕΙΝ Κ[Α]Ι ΕΓΡΑΨΑΝ ΤΟΙΣ ΕΠΙ ΤΩΝ
 ΠΡΑΓΜΑΤΩΝ ΤΑ[ΣΣ]ΟΜΕΝΟΙΣ ΜΕΤΑΓΑΓΕΙΝ
 ΕΚΕΙΝΟΙ ΔΕ ΕΙΤ'[ΟΥΝ Δ]ΙΑ ΤΟ ΜΗ ΕΚΠΟΙΗΣΑΙ
 15 ΑΥΤΟΙΣ ΕΙΤ[Ε ΔΙ']ΗΝΔΗΠΟΤΟΥΝ ΑΙΤΙΑΝ
 [Ο]Υ ΜΕΤΗΓΑΓΟ[Ν] ΗΜΙΝ ΔΕ ΓΡΑΨ[Α]ΝΤΟΣ ΤΟΥ
 ΒΑΣΙΛ[Ε]ΩΣ ΣΕ[ΛΕΥ]ΚΟΥ ΜΕΤ[Η]ΓΑΓΟΜΕΝ ΚΑΙ
 ΚΑΤΕΣΤΗΣΑΜΕΝ [ΤΟΙΣ Θ]Ε[Ο]ΙΣ ΑΓΩΝΑ ΓΥ
 ΜΝΙΚΟΝ ΚΑΙ Π[ΛΕΟΝ ΣΠΕ]ΥΔΟΜΕΝ ΔΙΕΞΑΓΑ
 20 [Γ]Ε[Ι]Ν ΚΑΤΑ Τ[ΗΝ ΤΟΥ] Β[ΑΣ]ΙΛΕΩΣ ΑΙΡΕΣΙΝ ΚΑΙ
 ΤΩΝ ΠΡΟ[ΓΟΝΩΝ] ΑΥΤΟΥ ΚΑΙ ΠΕΡΙ ΤΩΝ ΕΝ ΤΗ
 ΝΗΣΩΙ [Κ]ΑΤ[ΟΙΚΙΩΝ ΤΩ]Ν ΝΕΩΚΟΡΩΝ ΤΕ ΚΑΙ ΤΩΝ
 ΑΛΛΩΝ ΟΥ Κ[ΟΙΝΗ]Σ ΕΤΙ ΕΠΙ [Τ]ΟΥ ΣΩΤΗΡΟΣ
 ΚΑΙ ΤΟΥ [Θ]Ε[ΟΥ Ε]ΣΤΙ[Α]Σ ΟΥΣ[Η]Σ ΤΗΣ ΝΗΣΟΥ ΣΥΝ
 25 ΟΙΚΙΣΘΗΝΑΙ [ΕΞ ΑΦ]ΙΔ[ΡΥ]ΜΑΤ[ΟΣ ΤΟΥΤΟΥ ΜΗ ΠΡΟ]Σ
 ΠΟΡΕΥΕΣΘΑ[Ι ΤΙ ΤΩ]Ν Ε[ΠΙ]ΑΥΛΙΩΝ ΤΡΟΠΩΙ ΜΗΔΕΝΙ
 ΑΛΛ'ΕΙΝΑΙ Π[ΑΣΙ ΤΩΝ Τ]Η[Σ] Κ[ΟΙ]ΝΩΝΙΑΣ ΕΠΙΜΕΛΕΣ ΙΝ'
 ΟΥΝ ΣΦΙΣΙ[Ν ΑΥΤΟΙΣ ΠΙΣ]ΤΩΝ [Τ]Ε <ΤΩΝ ΤΕ> ΔΙΚΑΙΩΝ Τ[Υ]ΓΧΑΝΩΣΙ
 ΑΝΘΡΩΠΟ[Ι ΜΗ ΠΕ]Ν[Ο]ΜΕΝΟΙ ΑΔΙΚΩΝΤΑΙ ΜΗΔ'Ε[Α]Ν
 30 ΜΕ[Τ'Α]ΓΩΝ[ΩΝ Ε]ΑΥΤΩΝ ΤΙΝΕΣ ΤΟΥΤΩΝ ΒΟΥΛΩΝΤΑ[Ι]
 ΕΞ[ΕΛΕΙΝ ΑΡΓΟΝ] ΕΝ ΤΗ ΝΗΣΩ[Ι] ΧΩΡΑΝ ΠΑΡΑΔΕΙ
 [ΣΟΥΣ ΚΑΙ ΚΗΠ]ΕΙ[Α]Σ ΕΞΕΡΓΑΣΑΜΕΝΟΙ ΚΑΙ ΦΥΤΕΥ
 [ΣΑΝΤΕΣ ΕΑΥΤΟΙΣ] ΕΙΣ ΤΟ ΠΑΤΡΙΚΟΝ ΥΠΑΡΧΕΤΩ
 [Η ΑΣΦΑΛΕΙΑ ΚΑΙ Η] ΑΤΕΛΕΙΑ ΚΑΘ'ΟΤΙ ΟΙ ΠΡΟΓΟΝ
 35 [ΟΙ ΟΙ ΤΟΥ ΒΑΣΙΛΕ]ΩΣ ΕΠΕΧΩΡΗΣΑΝ ΑΥΤΟΙ[Σ]
 [ΤΕ ΚΑΙ ΤΟΙΣ ΕΙΣ Τ]ΗΝ ΝΗΣΟΝ ΕΞΑΓΟΥΣΙ ΕΙΣ ΔΕ
 [ΤΑ ΤΗΣ ΝΗΣΟΥ ΠΕΡ]Α ΒΙΑΝ ΜΗ ΕΠΙΤΡΕΠΕ ΜΗ
 [ΔΕΝΙ ΜΗΔΕ ΚΑΚΟΥΡΓΗ]Μ'ΑΛΛΟ ΜΗΘΕΝ Ε[Ν]
 [ΤΗΙ ΠΡΑΓΜΑΤΕΙΑΙ Τ]ΩΝ Ε[ΠΙ]ΒΑΛΛΟΝΤΩΝ
 40 [ΤΩΙ ΚΛΗΡΩΙ ΕΚΑΣΤ]Ω' ΙΔΙΑΙ ΙΝΑ ΜΗ ΣΥΜΒΗΙ
 [ΤΟΥΣ ΟΙΚΗΤΑΣ ΕΙΣ] ΑΙΤΙΑΣ ΕΜΠΙΠΤΕΙΝ
 [ΕΜΒΑΛΕΣΘΑΙ ΕΙΣ] ΝΟΥΝ ΤΗΝ ΕΠΙΣΤΟΛΗΝ
 [ΣΤΗΛΗΝ ΑΝΑΓΡ]ΑΨΑΝΤΑΣ ΕΝ ΤΩΙ ΙΕΡΩΙ
 [ΤΩΙ Ε]Ν [ΙΚΑΡΩΙ] ΑΟ Α[Ρ]ΤΕΜΙΣΙΟΥ ΙΖ ΕΡΡΩΣΟ

صورة رقم (٢٦) الصورة النهائية لنص إيكاروس، بعد إعادة بناء الجمل وتركيب صيغة الكلام وربطها بشكل متين.

كما عثر على **معبد ثاني** في جزيرة فيلكا هو أصغر حجما من المعبد الأول، ربما كان مزارا للربة أرتميس، وما يميزه أن تيجان أعمدته دورية^(١). وهو بناء محفوظ حفظا سيئا، يظهر أنه يعاصر المعبد الأول والقلعة، ولا يمكن أن نقول إلا القليل عن هذا المعبد؛ وهو أنه بناء مربع الشكل، لم يحفظ منه إلا درجة الأساس، وفي مواضع قليلة أجزاء من الدرجة الثانية، التي يحتمل أن البناء رفع عليها، كما هي الحال بالنسبة إلى قاعدة أعمدة المعبد الشرقية، وكان قطر تيجان العمود الدوري -عثر على أحدهما كاملا، وعلى تاج آخر - ضئيلا يبلغ ٣٠ سم. وإن ما أوحى بأن هذا البناء معبد، وجود حجر مذبح يقع على نحو ٥ أمتار باتجاه شرق جنوب مذبح المعبد الأول، قليلا نحو الشرق. وكان المذبح مستديرا، وحفظت درجتان منه. وبلغ قياس قطر أوطأ وأضخم درجة ١.٦م بينما بلغ قياس قطر الدرجة العليا ١.١م. ولم يعثر على أي أثر مما كان يقوم فوق هذه القاعدة المزدوجة الارتباط^(٢).



صورة رقم (٢٧): مخطط المعبد الثاني في فيلكا، يمثل الجدار المظلل إعادة تصميم تقديرية، بوتس، ج ٢، ص ٨٩٧.

(١) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣١٧.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٩٨، ٨٩٩.

٣- جزيرة تاروت:

تأتي جزيرة تاروت (تارو أو إيثار Ithar) في المرتبة الثالثة في الأهمية في إقليم تاييلوس والجزر، بعد جزيرة تاييلوس وإيكاروس، وتقع هذه الجزيرة قبالة ساحل الخليج العربي الغربي، في خليج صغير يسمى خليج كوبيس Capeos تقع القطيف غربه، وأصبح هذا الخليج فيما بعد يعرف ببحر القطيف وخليج تاروت أحياناً، وتبلغ مساحة الجزيرة حوالي ٤٠ كم^٢، ويبلغ أقصى طول لها من الشمال إلى الجنوب ٨ كم، وعرضها ٥ كم^(١)، وتتصل تاروت بالقطيف بجسر طبيعي يتراوح عرضه بين عشرة وعشرين متراً بطول أربعة كيلو مترات، ولا تزيد مساحته عن أربع كيلو مترات مربعة، وتتوافر فيها مصادر للمياه العذبة، وتنتشر فيها أشجار النخيل، عثر فيها على مجموعة من الأواني الفخارية المزججة ومنها يعطي بريقا معدنيا، من الطراز الهلنستي^(٢). كما أظهرت التنقيبات في تل الرفيعة في هذه الجزيرة عن مقبرة كبيرة تحتوي على عدد من قبور النواويس Cistagraves المشيدة من الجص الخام على غرار مدافن جانوسان في البحرين، أرخت هذه القبور استناداً إلى دراسة المادة الأثرية المأخوذة منها بالعصر الهلنستي^(٣)، وأهم اللقى التي عثر عليها في هذه القبور صحن السمك المصقولة ومسلّة دفن صغيرة، أبعادها ٤٢ × ٢٩ × ٩ سم مزينة بوردة من ست وريقات، وتحمل النقش الإغريقي الوحيد في المنطقة الشرقية لإيستثناء مقبض الأمفورة (القارورة) الرودسية المأخوذ من ثاج] ونص النقش «حبيب أيل نومات، تحيات». كما تجدر الإشارة إلى العثور على شواهد قبور كثيرة بين الأنقاض طولها قرابة ٤٥ سم وعرضها زهاء ١٥ سم، تحمل رأساً بيضوياً في أعلاه بدن أسطواني. ووجد تجمع أقذاح فخارية خام صغيرة في أحد أمكنة التل المكشوف، وكشف عن عدد من كؤوس المرمر الكاملة في أحد القبور، وقطع كبيرة من ألواح نحاس أو برونز طول بعضها ٣٠ سم^(٤).

كما ظهر في خندقين صغيرين حُفرا في تل تاروت طبقتا إعمار تتضمنان جدراناً بنائية ضخمة أرخت بالعصر السلوقي بناء على الفخار المكتشف معها^(٥). وعلى مسافة (٦٠) متراً من تل المدفن، يقع شريط منخفض نقطه أفنية ري أو صرف، وجدت فيه عدة جرار دفن، منتفخة البطن كالدق، طولها قرابة ٦٠ سم،

(١) الدرورة، علي بن إبراهيم (أكتوبر ١٩٨٢م)، جزيرة تاروت، مجلة الدارة، العدد ٨، المجلد ٢، السعودية، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ص ١٨٠.

(٢) شاهين، علاء الدين (١٩٩٧م)، تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، ص ٢٦٨.

(٣) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، المجلد الثامن، آثار ما قبل الإسلام، الفصل الثاني، السعودية، الرياض، موسوعة المملكة العربية السعودية، ص ٣٤٥.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٢٤، ٧٢٥.

(٥) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، مج ٨، ف ٢، ص ٣٤٥.

وعرض فوهتها نحو ٣٠ سم، تحتوي الواحدة منها على كميات كبيرة من العظام، تذكر كثيرا بجرار دفن جانوسان في البحرين^(١). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الاكتشافات لا تعني أن السواحل الوسطى للخليج العربي كانت، على غرار فيلكا، في أيدي اليونانيين السلوقيين، حيث استُخدمت سواحل شرق شبه الجزيرة العربية، على الأرجح، محطات أو مرافئ رسو للسفن السلوقية التي كانت تسيطر على كبرى الطرق التجارية البحرية^(٢).



صورة رقم (٢٨): شاهد قبر من جزيرة تاروت قبالة الساحل الغربي للخليج العربي، يتوسطه وردة بست وريقات، وفي الأسفل نقش إغريقي يؤرخ بالفترة ما بين ٣٠٠ - ١٠٠ ق.م،

محفوظ في المتحف الوطني في الرياض برقم ١٢٨٩

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٢٥.

(٢) بوتس، دانيال (١٤ يوليو - ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠م)، نهضة شمال شرق الجزيرة العربية في الحقبة الهلنستية، دليل معرض «طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية» بإشراف أ.د. علي بن إبراهيم الغبان، أ.د. بياتريس أندريه-سالفيني وآخرون، باريس، متحف اللوفر، ص ٣٧٤.

ثالثاً: علاقات السلوقيين مع الجرهااء:

١ - موقع الجرهااء المفقود:

لقد نشأت مملكة أو حضارة الجرهااء في شمال شرق شبه الجزيرة العربية، في المنطقة المطلة على الخليج العربي، وازدهرت في الفترة الممتدة من القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي^(١). وقد ذكرت في المصادر الكلاسيكية بعدة قراءات الجرهااء Gerra وجرراً Gerra والكاري Garraei على حسب اختلافات القراءات، والجيراوي Gerraioi/ Gerraiei هم سكان الجرهااء^(٢). ويحدثنا بليينيوس أن هذه المدينة كانت تقع على خليج يحمل اسمها، وأنها كانت حاضرة كبيرة ومزودة بسور وبأبراج دفاعية، فيقول: «وخليج جرّها، ومدينة جرّها، التي يبلغ محيطها خمسة أميال، وبها أبراج مربعة بنيت بكتل حجرية من الملح^(٣)». ومن وصفه يمكن أن نستدل أن للجرهااء ميناء يحمل اسم المدينة، وهذه أولى الملاحظات؛ فالجرهااء هنا يمكن فهمها على أنها أشبه بالمملكة، لها عاصمتها ولها ميناؤها^(٤)، كما يصفها في موضع آخر من مؤلفه بأنها محصنة وحاضرة من حواضر بلاد العرب، وأن بناءها مشيد بكتل الحجارة الملحية الكبيرة، فيقول: «وجميع الأسوار والمنازل موجودة في جرّها/ الجرهااء، وهي مدينة في بلاد العرب، مشيدة من كتل الملح المثبتة معاً من طريق الماء^(٥)».

أما سترابون فإنه يحدد موقع الجرهااء بدقة فيقول: «إذا أبحرت على طول الساحل والبر على يمينك، فإنك ستلقى بعد تيريديون مباشرة جزيرة إيكاروس الواقعة أمام الشاطئ وفيهما معبد مكرس لأبوللون وموحي تاوروبولوس Tauropolus وبعد أن تبجر على طول شواطئ العربية ٢٤٠٠ ستاديا /مرحلة (٣٨٠ كم) تلقاك في عمق الخليج مدينة الجرّهائيين، وهي مستوطنة الكلدانيين المنفيين من بابل، والذين يعيشون هنا في مكان تربته مالحة، وتقع المدينة على مسافة ٢٠٠ مرحلة عن البحر^(٦)»، أي ٤٠ كم.

(١) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي، سلسلة كتاب الأبحاث ١٩، الإمارات العربية المتحدة، رأس الخيمة، مركز الدراسات والتوثيق، ص ٥٥.

(٢) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٧.

(٣) بليينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٣٢، الفقرة ١٤٧.

(٤) السحيباني، عبد الرحمن بن عبد العزيز (ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ يناير ٢٠١٨م)، تحديد موقع الجرهااء على ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة، أدماتو، العدد السابع والثلاثون، ص ٥٩.

(٥) بليينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٣١، الفصل ٣٩، الفقرة ٧٨.

(٦) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٣-٢.



خريطة رقم (٩): موقعة منطقة الجرها على الساحل الشرقي من الجزيرة العربية.

وبالتالي فإن منطقة الجرها تقع في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية على ساحل الخليج العربي، عليه مباشرة أو على مسافة منه^(١)، ورغم اتفاق الباحثين وعلماء الآثار والمؤرخين على موضع المنطقة، إلا أنهم اختلفوا على موضع العاصمة، حيث لم يجمعوا على تحديد موقعها، بسبب عدم معرفتهم بمكانها، إذ إن المفهوم للمصادر الكلاسيكية قد تعددت، ولم تتفق على رأي موحد، خاصة مع تغير الظروف المناخية والأوضاع الجغرافية والتضاريس والبيئة، وأي تحديد لمكان العاصمة يتطلب النظر في كل الظروف، ونتيجة لذلك فإن العلماء والمختصين والباحثين قد اقترحوا مواقع عدة للجرها. منها (سلوى) في جنوب شبه جزيرة قطر، و(رأس القرية) أو ما يعرف بـ (دوحة ظلوم) الواقعة بالقرب من العقير، و(القطيف) الواحة والبلدة المشهورة. و(العقير) الميناء المعروف، و(الهفوف) البلدة المشهورة أيضاً. و(الجرحاء) وهو اسم مكان في إقليم الجرها، و(هجر) العاصمة المعروفة في إقليم البحرين، و(ثاج)، إلى غير ذلك من مواقع^(٢)، ويرى عدد من المؤرخين والآثاريين أن الجرحاء (موقع سوق الأحساء) هي المرشحة لأن تكون العاصمة؛ فإنها في لفظها قريبة جداً من جرّها/ والجرحاء، وهي تقع في منطقتها، على كتيب رملي في منطقة الهفوف. ولسبب آخر هو ورود اسم Thaemae/ Thaimon مع Gerraie عند بطليموس، وترجمة Thaemae بـ

(١) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٧.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٦.

(تميم) عند عدد من الباحثين، وقد اقترن اسم الجرعاء بقبيلة تميم العربية، عند عدد آخر من المؤرخين العرب، ومنهم الهمذاني^(١).

بينما استبعد الدكتور سامي الأحمد أن يكون موقع سلوى في جنوب العقير هو موقع الجرهاء، بحكم أنه صغير المساحة ويصعب أن يكون موقع تجارية كبيرة، لذلك رشح موقع مدينة العقير القديمة ليكون ميناء الجرهاء، أولاً بسبب التشابه اللغوي بين الجرهاء والعقير (العجير)، وثانياً: بسبب العثور فيها على كسر فخار تعود إلى العصر الهلنستي، وثالثاً: بسبب العثور فيها على أبنية فخمة، ورابعاً: يستشهد بحديث بلينيوس أن جزيرة تايلوس (البحرين) تقع قبالة الجرهاء، وخامساً: إن دليله الأهم أن هذا الموقع كبير تبلغ مساحته نحو ٢ ميل × ١,٥ ميل، مع محور طويل باتجاه الشمال والشمال الغربي، وعلى مقربة النهاية المنخفضة هناك بئر محصنة. وتعرف المنطقة محلياً باسم أبو صامول؛ ففي هذا الموقع بقايا بعض أساسات حجرية وكسرات فخار وقطع زجاجية ملونة، والدليل الأثري يظهر وجود مدينتين متميزتين، الأولى وهي الأكثر اتساعاً، لجدرانها أساسات متوسطة الحجم، وكتل أحجار جيرية، ومن خلال الأساسات يظهر أن هذه المدينة كانت تمتاز بشوارعها وأرصفتها ومينائها الذي يقع في الشمال الغربي منها، وتمتد هذه الآثار حتى تصل الخط الساحلي الحالي، ويعتقد الأحمد أن هذا الامتداد الشرقي جاء نتيجة تراجع مياه الخليج، حيث هناك هبوط مستوى مياه الخليج في العصور التاريخية من ٥ - ١٠ قدم، أما المدينة الثانية أقل فخامة في بنائها، ويعتقد الأحمد أنه لولا تراجع مياه الخليج العربي، واندثار المجاري المائية بالرمال لكانت العقير الحالية أكثر أهمية مما هي عليه اليوم^(٢).

إلا أن عدداً آخر من أساتذة الاختصاص وعلى رأسهم دانيال بوتس رشح موقع ثاج Thaj كموضع لعاصمة الجرهاء، شمال غرب مدينة الظهران الحالية، ورشح ميناء الدفي Al-Daf على ساحل الخليج العربي، والذي يبعد عنها ٧٠ كم ليكون ميناء لها، وربما كان للجرهاء أكثر من ميناء، منها ميناء الجبيل Al-Jubayl * الذي يبعد عنها ٨٠ كم، لاسيما أن هناك طريقاً تسمى درب الكهوري darb al-kunhur

(١) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٨.

(٢) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

* لقد عثر على أطلال مدينة جبيل القديمة على بعد سبعة أميال جنوب المدينة المعروفة بالاسم نفسه حالياً، وجبيل عبارة عن ميناء قديم يقع على بعد ٦٠ ميلاً شمال مدينة الظهران على الساحل، وقد عثر به على بقايا بيوت مستطيلة الشكل، تفصل بينها شوارع مرتبة ترتيباً حسناً، وقد عثرت البعثة الأثرية الدنماركية على كتل حجرية كبيرة، ونقوش لحيوانات، ومصائد لأسماك، ورسوم وأشكال هندسية تغطي المنحدرات العلوية لتل المدينة المهجورة. انظر: شاهين، علاء الدين (١٩٩٧م)، تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، ص ٢٧٠.

تربط هذا الميناء بتلك المدينة، كانت في السابق طريقا للإبل لكنها اليوم معبدة. كما أن ثاج تقع على طرق القوافل التجارية. ولما كانت ثاج تمتد على مساحة تقدر أبعادها ٨٢٥ م × ٩٩٠ م تقريبا، فإنها أوسع موقع أثري عائد إلى هذه الحقبة، في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية، حيث يشاهد المرء آثار قرية مهدمة تشهد على استيطان كبير للموقع، ضف إلى ذلك أن ثاج تقع في وادي المياه الذي اشتهر بالعديد من الآبار والعيون، وكان بالقرب منها إلى جهة الشمال توجد سبخة تمتلئ بالماء من فيضانات الشتاء، ويستمر الماء موجودا فيها حتى مطلع الصيف، يبلغ قطرها نحو ١,٥ كم. وتمتاز ثاج بترية داكنة صالحة للزراعة، وفيه الكثير من المدن والمواقع المهجورة التي يمكن أن يستنتج منها؛ أن وادي المياه كان في الماضي أكثر سكانا، وأهم سياسيا مما عليه الآن^(١).



صورة رقم (٢٩): موقع ثاج الأثري، نقلا عن موسوعة آثار المملكة العربية السعودية، ص ٣٤٧

كما اعتمد دانيال بوتس في ترشيح موقع ثاج ليكون موقع الجرهاء الضائع على المسافات التي حددتها المصادر الكلاسيكية، فمن خلال هذه المسافات سيظهر معنا أن موقع ثاج هو أفضل موقع لمطابقته مع الأوصاف التي قدمتها تلك المصادر عن موقع الجرهاء، لاسيما سَنَرَابُون وبلينيوس، حيث يقول بوتس:

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٩٧.

«فإذا افترضنا أن تيرديون واقعة في مكان ما قرب البصرة الحديثة، فإلى أين توصل رحلة ٢٤٠٠ ستاديوم على ساحل الخليج العربي؟ فلو حسبنا أن الميل يساوي عشرة ستاديوم، مثل ما فعل إراتوستينيس، مصدر سترابون الرئيسي عن جزيرة العرب لحصلنا على رقم يقارب ٣٨٤ كم من منطقة البصرة، لوصلنا إلى مكان ما في منطقة ميناء الجبيل الحديث^(١)».

لقد أظهرت التنقيبات الأثرية في موقع ثاج ما يعزز وجهة نظر بوتس، حيث تؤرخ أطلال ثاج بالفترة الواقعة ما بين ٣٠٠ ق.م و ٣٠٠ م. وقد حدد بلينيوس محيط الجراء بخمسة أميال كما أسلفنا، وعند النظر لمحيط مدينة ثاج فهو يصل إلى خمسة كيلو مترات، وهو رقم مقارب لما حدده بلينيوس خصوصاً عندما نأخذ بعين الاعتبار نسبة الخطأ في نص بلينيوس، فهو روماني نقل عن من سبقوه في فترة تسبقه بكثير، وبالتالي فإن نسبة المصادقية محدودة، كما ذكر بلينيوس أن لها سورا مبنيا من الحجارة الملحية وبه أبراج، والوصف هنا أن السور مشيد من أبراج ملحية دليل آخر على الخطأ في النقل لدى بلينيوس، حيث لا يوجد هناك حجر بهذا الاسم فالسور بني من الحجر الرملي المائل إلى اللون الأبيض ومن الحجر الكلسي المنحوت كذلك، كما أن أرض ثاج ملحية، حيث يحد موقع ثاج من الشمال سبخة واضحة في الصور الجوية للموقع، وهذا ربما أدى للالتباس لدى من نقل لبلينيوس أن السور مشيد من حجارة ملحية، وهذا الخطأ في الوصف يرد لدى سترابون. كما أن الثراء الفاحش الذي تحدثت عنه المصادر الكلاسيكية يوافق مع ما كشفت عنه بعثات التنقيب الأثرية، في موقع ثاج. أما الشاهد الآخر من حديث بلينيوس هو ما ذكره أن الجراء مسورة وبها أبراج، وهذا ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية، حيث يحيط بثاج سور على شكل متوازي أضلاع غير منتظم، وصل طول محيطه إلى حوالي ٢٥٣٥ م، وفي كل ركن من أركان هذا السور برج بارز له شكل معين مشيد بالحجارة، وبالتالي فإن سور المدينة لا توجد فيه زوايا قائمة تلتقي فيها جدرانه، كما يوجد عدد من الأبراج الصغيرة على الجانب الشرقي من السور، ظهرت بالصور الجوية، يعتقد المختصون أنها دعائم للسور^(٢).

وتشغل الأطلال والخرائب الأثرية للمدينة القديمة مساحة كبيرة بالإضافة إلى وجود عدد من التلال الأثرية التي يعتقد أنها تغطي مباني منفصلة وضخمة من قصور وأبراج ومعابد^(٣)، ويمكن رؤية سور

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣ م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٧٨.

(٢) السحياني، عبد الرحمن بن عبد العزيز (٢٠١٨ م)، تحديد موقع الجراء، ص ٥٧ - ٥٩.

(٣) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، مج ٨، ف ٢، ص ٣٤٦.

المدينة بوضوح على سطحها، في الوقت الحاضر، على طول أشرطة أرضية عريضة تمتد مئات الأمتار، ويبلغ وسطيا سماكة الجدار ٤,٥ م (بزيادة أو نقصان تتراوح ما بين ٤ م - ٤,٩٥ م)، وتشاهد عليه برجيات ناتئة بجلاء على طول جداره الشرقي، ولا يسهل تمييزها على جدرانه الأخرى، إلا أن عدداً منها يمكن رؤيته بارزا على السور ما بين ٥ - ٧ م، ويعرض وسطي قدره ٤,٥ م، وتشاهد بشكل واضح وجيد على معظم الصور الجوية، وعلى طول جداره الشرقي يصل الفاصل بين البرجين إلى نحو ٤٠ م، ويحتمل أن تكون البروزات الصغرى على طول جداره الجنوبي دعامات له، تبرز بقدر مترين في حين يبلغ عرضها المتر الواحد، وتلك البروزات متساوية البعد عن كل برج من البرجيات. وفي كثير من الأحيان يمكن مشاهدة أبنية مشيدة تستند إلى سور المدينة من داخله، وفي المقابل لم تكن هناك أبنية تستند إلى السور من الخارج، فعلى سبيل المثال كان السور من الجهة الجنوبية ينحدر مائلا إلى الأسفل مسافة مترين تقريبا. كما يتعذر تعيين أي بوابة أو أي مدخل بوضوح من أي نوع كان، على وجه الأرض مباشرة، على الرغم من أن الصور الجوية ترشح أماكن معينة لبوابات محتملة. ويتضح من فحص سور المدينة أن أفضل برج من أبراج الزوايا الأربع؛ هو البرج الجنوبي الغربي^(١).

ويمكن أن تكون تقنيات البناء وتصميم جدار سور ثاج، قد تأثرت بثقافة أخرى، أي ثقافة جنوب الجزيرة العربية. وخلافاً لبلاد الرافدين، حيث كان نموذج البناء التقليدي يستند إلى استخدام الحجر المشوي أو لبن التراب المجفف بأشعة الشمس، كان جنوب الجزيرة العربية يُشيد تقليدياً منشأته من الحجارة الكبيرة، وذلك منذ بضعة قرون. وإن بناء أقدم التحصينات السبئية الضخمة من الأحجار الكبيرة، في مأرب وصرواح (القرن السادس - القرن الخامس قبل الميلاد)، سبق ببضعة قرون تشييد جدار سور ثاج. ومن بين ثلاثين موقعا تقريبا في جنوب الجزيرة العربية، أقيمت فيها جدران ضخمة للأسوار المعروفة القياسات، تجدر الإشارة إلى أن لمأرب وحدها جدارا محيطه ٤,٢ كلم، وهو أطول من جدار ثاج. وقد طبقت على الأرجح في ثاج النظرية اليونانية لبناء التحصينات، التي وصلت من الشمال، وتقنيات البناء بالحجر في جنوب الجزيرة العربية، الآتية من الجنوب. وهذا ليس المجال الوحيد الذي يُلاحظ فيه تأثير جنوب الجزيرة في شمال شرقي الجزيرة العربية خلال الحقبة الهلنستية^(٢).

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٩٧.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠١٠م)، نهضة شمال شرق الجزيرة العربية في الحقبة الهلنستية، ص ٣٦٩.

وبالعودة للسور فقد قدم الأستاذ دانيال بوتس فرضية مهمة بخصوص سور ثاج، فهو يشير بما أن محيط السور ٢٥٣٥م وعرضه ٤,٥م، بالتالي هو يحتاج إلى كمية هائلة من الحجارة لتشييده، ويفرض أن ارتفاع السور كان مترين كحد أدنى، مع إهمال برجيات الزوايا وما بينها من برجيات محتمل وجودها، لاحتاج التشييد لما لا يقل عن ٢٢٨١٥م^٢ من الحجارة. أي ما يعادل مكعبا ضلعه ٢٨,٤م، هذا مع عدم الأخذ بعين الاعتبار حسابات تشييد مئات الأبنية في الموقع الأثري أيضا^(١). في حين يرى السحبياني أن أرقام بوتس غير دقيقة، وأنه يعيد صياغة فرضية السور بطريقة منطقية أكثر -من وجهة نظره- وهو يشير أنه عند النظر إلى سور ثاج البالغ محيطه ٢٥٣٥م وبالنظر إلى متوسط عرض هذا السور البالغ ٤,٥م، ولكونه سور دفاعي، فمن المحتمل أن ارتفاع السور سيكون على الأقل بحجم العرض مرة ونصف، أي حوالي ستة أمتار، وبحساب هذه المعطيات فإن السور يحتاج إلى ما لا يقل عن ٦٨٤٤٥م^٣ من الحجارة، هذا مع إهمال الأبراج في أركان السور، والأبراج الصغيرة والدعامات الموجودة في أضلاع السور والابنية والبيوت المبنية داخل السور والتي بنيت جميعها بحجارة كلسية مهذبة^(٢). وبغض النظر عن الفروق في الأرقام، رغم اختلافها، إلا أن التساؤل الذي يطرح نفسه من أين أتت هذه الحجارة؟

لقد قام الأستاذ دانيال بوتس بمسح المنطقة المحيطة بثاج، وبحث عن مصدر حجر الكلس الطبيعي الذي قطعت منه هذه الحجارة، وموقع مقالعها، حيث كان بوتس يرجح مصدرًا محليًا لها، يدفعه لهذا الاعتقاد وجود جبال كلسية محيطة بالمنطقة. لكنه لم يشاهد على أي منها آثار تتم أن حجارة قطعت منها، أو ما يشير إلى وجود مقلع ضخم كان في إحداها، ومع ذلك يقع قرب الجبيل مقلع حجر كلس كبير معروف منذ مدة طويلة، وثاج موصولة مع جبيل بطريق معروف، وبالتالي ربما أن حجارة البناء كانت تنقل بواسطة قوافل الإبل برا^(٣). ويشير السحبياني أنه عند القبول بهذه الفرضية المنطقية تمامًا، فإنه يمكن اعتبارها دليلًا آخر على مدى الثراء الذي تمتعت به ثاج، فبمجرد أنه يتم جلب حجارة منحوتة مسافة بعيدة، فهذا يدل على أن من استوطن هذه البقعة على قدر كبير جدا من الثراء، وهذا يتطابق مع ما ورد من نصوص تاريخية تشير إلى ثراء الجرهاء^(٤).

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧١٨.

(٢) السحبياني، عبد الرحمن بن عبد العزيز (٢٠١٨م)، تحديد موقع الجرهاء، ص ٦٠.

(٣) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧١٩.

(٤) السحبياني، عبد الرحمن بن عبد العزيز (٢٠١٨م)، تحديد موقع الجرهاء، ص ٦١.

وتجدر الإشارة إلى أحد القبور في موقع ثاج، والمكتشف سنة ١٩٩٨م، لأهمية أثاره الجنائزي، لأن مقتنياته تكاد أن تنطبق على الأوصاف التي قدمها المؤرخون الكلاسيكيون عن غنى الجرهاء، و«كان هذا القبر لطفلة صغيرة (تتاهز السادسة من عمرها) دُفنت مثل أميرة، فقد سُجِّيت على سرير مأتى من الخشب، مغطى بغلاف من الرصاص والبرونز، مزين بتزاويق ذات أسلوب متوسطي؛ وشكلت أربعة تماثيل صغيرة لامرأة مصنوعة بأسلوب كلاسيكي؛ أقدام هذا السرير. وكانت الطفلة الممددة على ظهرها محاطة بتليبيسات دائرية من الذهب، حُفرت على بعض منها صورة زيوس (كبير الآلهة عند الإغريق)، وعثر علماء الآثار على خاتمين من الذهب، مرصعين بياقوت أحمر محفور. ويظهر على أحدهما جانب من وجه شخص يعتمر خوذة، وقد تكون الأخرى الإلهة أرتميس. يغطي قناع من الذهب يمثل وجهها بسيط الملامح، وجه الفتاة الصغيرة. وهي تضع في أعلى الرأس، ثلاث عُصابات من الذهب، وحول العنق، عقدتين من الذهب، مزينين بالياقوت واللآليء والفيروز (لأحدهما نوط يتدلّى منه حجر جَزَعٍ يمثل وجهاً)، وعقدًا يتألف من ثماني عشرة حبة لؤلؤ من الذهب. في جانبي رأسها قرطان من الذهب؛ وإلى يسارها، سواران من الذهب المصنّعت؛ وعلى صدرها، قُفاز من الذهب وعلى وسطها حزام من الذهب. وكانت محاطة بما يفوق المائتي زر محدّب من الذهب، بحجمين مختلفين. وعُثر تحت الجثة على ثلاث أنيات معدنية، تشكّل كتلة واحدة متأكلة، وإلى يمين الرأس، على قدح معدني صغير بلا غطاء. وتدل صورتا زيوس وأرتميس، ونماذج زخرفية أخرى، على أن هذا المدفن يرقى إلى الحقبة الهلنستية. ففي تلك الحقبة، كان شبه الجزيرة العربية متصلاً بالعالم المتوسطي، عبر كبرى الطرق التجارية. وكان بخور جنوب الجزيرة العربية يعبر هذه الطرق التي كان أحدها يمر بمدينة ثاج. وقد تكون هذه التجارة المزدهرة مصدر الثراء الذي أتاح وضع نُحَفٍ تتسم بهذا القدر من الترف في هذا المدفن^(١)».

بالإضافة إلى كل ما تقدم إن **قناع ثاج الذهبي** هو أفضل شاهد على ذلك الثراء رغم أنه بسيط الملامح، هو قناع وجه آدمي رائع مصنوع من الذهب، يرجح تأريخه بالقرن الأول قبل الميلاد، وتظهر ملامح القناع تأثيرات قادمة من بلاد الرافدين؛ في منطقة الحاجيين، بينما فكرة القناع مصرية؛ حيث ظهرت أقنعة وجوه المومياءات منذ عصر الدولة القديمة، مروراً بالتطور الكبير في القناع الذهبي الشهير للملك (توت عنخ آمون) وقد ظل هذا التقليد الجنائزي معمولاً به طوال العصرين الهلنستي والروماني، ويمكن مقارنة طابع وتفاصيل قناع ثاج بملامح مجموعة مكونة من (٦) قطع من الأقنعة الجصية المصرية المبكرة نسبياً، هي

(١) ريلر، كلير والشيخ، نبيل (١٤ يوليو - ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠م)، **مدفن ثاج**، ضمن دليل معرض «طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية» بإشراف أ. د. علي بن إبراهيم الغبان، أ. د. بياتريس أندريه-سالفيني وآخرون، باريس، متحف اللوفر، ص ٣٨٢.

مجموعة موقع تل الحير (مجدوليوم Magdolium الإغريقية) في سيناء، والتي تؤرخ بـ ٤٥٠ - ٣٠٠ ق.م. وتعكس المدرسة الفنية لهذه المجموعة المتميزة من الأقنعة الجنائزية امتزاج الثقافة المصرية المحلية مع الثقافات الأجنبية المعاصرة، لاسيما الفارسية والإغريقية^(١).



صورة رقم (٣٠): آثار ذهبية من ثاج، تل الزاير، منها قناع ثاج الذهبي وحلي تؤرخ بـ ١٠٠ ق.م.



صورة رقم (٣١): من الكنز الذي عثر عليه في مدفن ثاج

وأخيرا بخصوص مطابقة موقع ثاج مع الجرهاء يتقدم الأستاذ السحبياني، بفرضية تتعلق بميناء هذه المملكة، فبليبيئوس يشير إلى أن هناك ميناء يحمل اسم المدينة، أي يفهم من حديث بليبيئوس أن هناك مدينة وهناك ميناء لها، كما أن سترابون أشار إلى أن المدينة -لا الميناء- يقع على بعد ٢٠٠ ستاد من الساحل، أي نحو ٤٠ كم، ولما كانت ثاج تبعد عن جبل نحو ٨٠ كم، فقد أثار هذا الموضوع إشكالية، بينها

(١) السنان، مها بنت عبد الله (د.ت)، الصلات الفنية بين الجزيرة العربية ومصر في العصر الهلنستي، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد العشرون، العدد الأول، ص ٣٣٩.

السحيباني، فهو يرى أن نسبة الخطأ في المصادر الكلاسيكية، وفي نقل الأرقام من قبل الإغريق موجودة، وهو أمر طبيعي جداً ومتوقع، لأن أقرب مسافة لثاج عن الساحل هي ٧٠ كم، من الجهة الشرقية، وهذا يؤدي إلى موقع الدفي، شمال غرب ميناء الجبيل. وبافتراض أن العوامل الطبيعية للمناخ وانحسار البحر، فمن الوارد أن البحر في فترات ما قبل الميلاد كان أقرب بكثير من المسافة التي هي عليه الآن^(١).



صورة رقم (٣٢) دمية آدمية ذات رقبة طويلة، وملامح الوجه واضحة، موقع الدفي، العصر الهلنستي.

إن معاينة موقع ميناء الدفي (على ساحل الخليج العربي) تظهر أكوام صغيرة من الحجارة الجيرية المنحوتة المتفرقة، توحي أن بعض المباني الحجرية كانت قائمة في هذا المكان، أهمها بناء مشيد من الحجر الجيري، واستخدم الجص الأبيض مونة بين أحجار بنائه، وفي تكليسة الأرضيات وبعض جدرانه، وبعد دراسة هذا البناء من قبل علماء الآثار، ومقارنته مع غيره من مباني أخرى معاصره له؛ تبين أنه قد يكون بناءً رسمياً أو داراً للإمارة. كما تنتشر على سطح الموقع كميات كبيرة من كسر الفخار غير المزججة، ومجموعات قليلة من الفخار الخزفي المدهون بالطلاء القلوي. ومن خلال جميع هذه المعطيات الأثرية؛ استنتج علماء الآثار أن مستوطنة قديمة قامت هنا، وعملت كميناء على ساحل الخليج العربي^(٢)، ربما كانت ميناء الجرهاء، ويقدم السحيباني أدلة ذات طابع فني، قاصدا طبيعة الحلي وأدوات الزينة التي كشف عنها في ثاج، حيث تبين أنها ذات طابع فني متأثر بالتقاليد الهلنستية، وهي شبيهة بما كشف عنه في موقعه الدفي؛ حيث عثر على مجموعة فنية تشابه ما كشف عنه في ثاج^(٣).

(١) السحيباني، عبد الرحمن بن عبد العزيز (٢٠١٨م)، تحديد موقع الجرهاء، ص ٦١.

(٢) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، مج ٨، ف ٢، ص ٣٤٨.

(٣) السحيباني، عبد الرحمن بن عبد العزيز (٢٠١٨م)، تحديد موقع الجرهاء، ص ٦١.

٢ - علاقات الجرهاء الاقتصادية:

لقد اهتم الآثاريون بتحديد موقع الجرهاء **Gerrha** أكثر بكثير من تحليل دورها الاقتصادي، ورغم أننا لا نعلم على وجه اليقين تاريخ نشأتها، لكن يبدو أن الجرهاء كانت مدينة قديمة ترجع في تاريخها إلى ما قبل العصر البابلي الحديث، وصارت تتعاضد ويكثر سكانها حتى غدت مركزا تجاريا هاما على طرق تجارة البخور^(١). وإن أول ذكر للجرهاء يرد في الحملة الثانية من الحملات الاستكشافية التي أرسلها الإسكندر تمهيدا لغزو الخليج العربي (حملة أندروستينيس Androthenes)، وبالتالي فقد وصلنا أقدم خبر عن الجرهاء بفضل ما دونه الجغرافي إراتوستينيس Eratosthenes القوريني (٢٧٦ - ١٩٤ ق.م) في معرض تدوينه لأخبار هذه الحملة، والذي كتب مؤلفه بعد حوالي قرن من وفاة الإسكندر، حيث تحدث عن تجارة الجرهاء والجرهائيين الذين يحملون البخور والطيوب وغيرها من منتجات جزيرة العرب الجنوبية عبر منطقة الخليج العربي إلى بابل^(٢)، وهذا الخبر يشرح لنا سبب نشوء الجرهاء على خطوط القوافل التجارية البرية، كما كان لها ميناء مهم على خطوط الملاحة البحرية، حيث تعامل الجرهائيون اقتصاديا مع شبه القارة الهندية وفارس وبلاد الرافدين وسوريا ومصر وحضرموت، لاسيما أنهم خبروا الطرق البرية عبر شبه الجزيرة العربية من جنوبها إلى شمالها ومن شمالها الشرقي إلى شمالها الغربي، كما استخدموا الطرق البحرية إلى الهند عبر مياه الخليج العربي، وتاجروا بالعديد من السلع الهندية والبضائع العربية والمنتجات الخليجية والأفريقية، كالعاج، والبخور، والعطور، واللبان، والبهارات، والزعفران، والأخشاب، واللؤلؤ، والقطن، والأحجار الكريمة، والمعادن الثمينة، وأنواع عديدة من الطيور والحيوانات، والفواكه. والحرير الصيني المستورد من آسيا زيادة على ذلك. ولما كانت الجرهاء قد نشأت في منطقة زراعية منذ القدم، كثيرة المياه، خصبة التربة، فلا شك أن الجرهائيين قد مارسوا الزراعة أيضا، وأنشأوا البساتين وخاصة بساتين النخيل^(٣).

لقد كان البخور يشكل السلعة الرئيسية التي تتم المتاجرة بها في بلاد العرب، لاسيما أنه كان يدخل بشكل أساسي في الطقوس الدينية التي كانت متبعة في العالم القديم^(٤). وعندما أصبحت بلاد الشام تحت

(١) عبد المولى، أسامة محمود (٢٠١٣م)، تجارة البخور في جنوب شبه الجزيرة العربية في الفترة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير، جامعة الزقازيق، ص ٦٢.

(٢) الأحمدي، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٣٥.

(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٦.

(٤) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، الصلات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند من القرن الأول وحتى القرن السادس الميلادي، مجلة كلية التربية الأساسية، العراق، جامعة بابل، العدد ٧، ص ١٠٥.

سيطرة السلوقيين، ومصر تحت سيطرة البطالمة، وكان لزيادة الطلب على سلعة البخور في مناطق حوض البحر المتوسط، (حتى أننا نقرأ عن استخدام بخور العرب كترياق مضاد لسم الأفعى في بلاد اليونان، ومادة أساسية في قوائم تسوق أبناء النخبة المصرية)، إن استدعى زيادة المحصول السنوي، وكذلك زيادة عدد مرات جمعه. وفي هذه الأثناء اشتد التنافس بين سبأ وقنبان على السيطرة ليس على مناطق إنتاج البخور فقط، بل وعلى طرق تسويقه، لذلك حاولت مملكة حضرموت التي كانت تصرف منتجاتها عن طريق قنبان ومملكة سبأ أن تجد لها منفذا نحو الساحل الشرقي للجزيرة العربية لتصريف منتجاتها بعيدا عن وصاية السبائيين^(١). وهكذا بدأت الجرهاء تلعب ذلك الدور، في ظل غياب كامل للسلطات السلوقية على الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية، ويبدأ هذا الطريق التجاري للبخور من بلاد العرب الجنوبية، ويمر بعدة مناطق تلتقي بمختلف اتجاهاتها في نجران، وعندها يتفرع الطريق في اتجاهين، أحدهما يتجه من نجران نحو الشمال إلى البتراء، والثاني يتجه نحو الشمال الشرقي عبر الفاو في وادي الدواسر، إلى اليمامة، ثم إلى الجرهاء على الخليج العربي، ثم إلى جنوب بلاد الرافدين^(٢). وقد ذكر سترابون أن الجرهائيين تاجروا مع حضرموت، فوصلت قوافلهم إليها في أربعين يوما «ومما يذكر أن طريق الجرهائيين إلى حضرموت تستغرق أربعين يوما^(٣)». وبالإضافة إلى هذا الطريق البري كان هناك طريق بحري آخر يبدأ من موانئ جنوب الجزيرة العربية ويتجه شرقا إلى الدور Al- Dur / أومانا Omana (عُمان)، ومليحة Mleiha (أمانة أم قوين والشارقة في الإمارات العربية المتحدة اليوم)؛ ثم تتابع السفن طريقها مخرة عباب الخليج إلى الجرهاء، وإلى تابلوس وإيكاروس، ومن ثم إلى بلاد الرافدين عبر نهري دجلة والفرات حيث بابل وسلوقية دجلة^(٤).

لقد بيّن سترابون أن الجرهاء كانت في منطقة ذات أهمية كبرى في هذا الطريق التجاري؛ نظراً لوجود مصادر مياه عذبة فيها، لذا تحولت بسرعة إلى مركز تجاري مهم في منطقة الخليج العربي، بينما كانت بقية سواحل الخليج العربي الغربية فقيرة بالمياه^(٥). وقد بيّن لنا طبيعة نشاط أهلها التجاري في قوله: «عمل أهل الجرهاء بالتجارة، حيث كانوا ينقلون برا بضائع العربية وعطورها. ولكن أرسطوبولس يزعم العكس إذ يقول إن أهل الجرهاء ينقلون الجزء الأعظم من بضائعهم إلى بابل على طوافات؛ فهم يبحرون من هنا مع

(١) كليب، مهيب غالب أحمد (٢٠١٠م)، تطور خطوط الملاحة البحرية، ص ١٢٦.

(٢) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، الصلات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٥.

(٣) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٤، الفقرة ٤.

(٤) Adil Hashim Ali., (2017) Op. Cit., p.13.

(٥) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر، ص ١٣٣.

بضائعهم صعودا في نهر الفرات حتى فابساك (قرب الطبقة)، ثم ينقلونها من هناك برا إلى شتى أرجاء البلاد^(١).

وبالإضافة إلى هذا الطريق التجاري الذي ربط الجرهاء ببابل وبلاد الرافدين، كان هناك طريق تجاري بري آخر يربط الجرهاء بالبصرة وبلاد الشام، حيث تاجر الجرهائيون مع الأنباط بإرسال قوافل جمالهم التي قطعت الفياقي مارة بمواضع الماء والآبار إلى دومة الجندل Dumatha، ومنها إلى بترا عاصمة الأنباط، فإذا وصل تاجر الجرهاء إلى أرض الأنباط باعوا ما عندهم للنبط واشتروا منهم ما يحتاجون إليه من حاصلات بلاد الشام والبحر المتوسط^(٢)، وكان لؤلؤ الخليج العربي والبخور أهم المواد التجارية التي نقلها الجرهائيون للأنباط عبر هذا الطريق^(٣)، وقد عمل ملوك الأنباط بكل ذكاء على استثمار هذا الطريق وتنشيط الحركة عليه، لاستغلاله لمصلحتهم ومصلحة مملكتهم الاقتصادية^(٤). وكان هناك تاجر أنباط قد أقاموا في الجرهاء وتاييلوس وتواجدوا فيها بكثرة، ولاسيما خلال العصر الذهبي لازدهار التجارة النبطية خلال القرن الأول الميلادي. وإيماننا من الأنباط بأهمية تجارة الخليج العربي، وضعوا لهم جاليات عسكرية في الجرهاء وتاييلوس، تشهد عليها قبور الضباط الأنباط في هذا المواقع، ولكن هذا لا يعني بأن تاييلوس أو الخليج العربي كان خاضعا لسيطرة الأنباط بشكل مباشر، أو حتى غير مباشر، إنما كانت هذه الجاليات العسكرية لرعاية مصالحهم التجارية وحمايتهم، حيث تواجدوا بكثافة في شبه الجزيرة العربية، والمنطقة الشرقية منها، مثل الجرهاء وغيرها من مدن، لضمان نقل البضائع الواردة من الهند وتاييلوس عبر الصحراء بسلام، على ظهور الجمال إلى المراكز النبطية في جنوب بلاد الشام^(٥).

أما التجار الجرهائيين الذين يريدون أسواقا أخرى غير أسواق النبط، فكانوا يتجهون نحو الشمال، فيدخلون فلسطين قاصدين غزة، أو يتجهون وجهة أخرى هي مدينة بصرى وهي قصبة حوران^(٦). وهكذا سيطر المعنيون على طريق القوافل الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بشمالها، بينما سيطر الجرهائيون على الطريق التجاري الذي يربط الخليج العربي ببلاد الأنباط، وهذه الحقيقة يؤكدها الجغرافي المعروف

(١) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٣.

(٢) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٦.

(٣) عبد المولى، أسامة محمود (٢٠١٣م)، تجارة البخور، ص ٧٣.

(٤) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، العلاقات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٧.

(٥) معراج، محمد رضا إبراهيم (٢٠٠٦م)، تاييلوس وحضارة الأنباط، ص ٢٤.

(٦) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٦.

أجاثارخيدس Agatharchides في معرض حديثه عن البتراء: «بأنها الإقليم الذي يجلبُ إليه الجرهانيون والمعنيون Minoans اللبانَ والبخورَ والنباتاتِ العطرية من جنوب بلاد العرب^(١)». وتجدر الإشارة إلى أن الجمل كان يستخدم واسطة نقل أساسية، في نقل السلع التجارية من مراكز إنتاجها إلى مراكز طلبها (دخل الجزيرة العربية)، وترجع معرفة العرب بالجمل إلى الألف الثاني قبل الميلاد، حيث بدأ تدجينه، وتشير الدراسات والدلائل الأثرية التي ترجع إلى العصور القديمة بأنه قد تم احضاره من منطقة تركمانيا عبر إيران حتى وصل إلى الخليج العربي، وقد عرف العرب سلالة Boctirrian التي تتحدّر منه سلالة الجمل العربي ذو السنم الواحد الذي يعيش في شبه الجزيرة العربية^(٢).



خريطة رقم (١١) طرق التجارة القديمة في شبه الجزيرة العربية

وإذا كان المعنيون أكثر نشاطاً في نقل بخور اليمن إلى البتراء، فيبدو لنا أن الطريق التجاري الواصل ما بين بلاد الأنباط الخليج العربي استخدم خصيصاً لنقل بخور بلاد كرمان (في إيران) لبلاد الشام، حيث

(١) أجاثارخيدس الكنيدي، عن البحر الإثري، الفصل ٥، الفقرة ٨٧. ترجمة: الحسين عبد الله، تعليق: عبد المعطي بن محمد سمس، وإشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٤)، السعودية، الرياض، دار الملك عبد العزيز ٢٠١٧م.

(٢) النعيمات، سلامة (٢٠٠٠م)، تجارة اللبان والبخور، ص ٣١٤.

كانت الجرهاء محطة أساسية لهذه العملية التجارية، ويحدثنا بلينيوس عن هذه العملية التجارية في كتابة التاريخ الطبيعي قائلا: «ويستوردون-أي العرب- من الكرمانيين شجرة إستوبروس Stobrus بغرض التبخير فتتفع في نبيذ البلج ثم يشعلون فيها النيران، فيرتد بخاره من السقف إلى الأرضية فيصدر رائحة طيبة لكنها تسبب صداعاً أليماً قليلاً، ويستخدم للمرضى الذين ينشدون النوم. ومن أجل هذه التجارة فتحوا مدينة كاراي Carra/الجرهاء التي كانت سوقاً لتلك المناطق. ومن هناك اعتاد الجميع سابقاً أن يذهبوا إلى جابا Gaba/ غزة، وهي رحلة تستغرق عشرين يوماً، ثم إلى فلسطين في سوريا^(١)»، وربما أن الجرهائيين استخدموا مياه الخليج العربي لنقل هذا البخور بين ميناء هرمز في أقصى جنوب الخليج العربي وموانئهم في شماله^(٢).



Trading routes at the Gulf during the Hellenistic Period

خريطة رقم (١٢): الطرق التجارية في الخليج العربي وجنوب بلاد الرافدين خلال الفترة الهلنستية نقلا عن بحث:

Adil Hashim Ali., (2017) Op. Cit., p.14

(١) بلينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ١٢، الفصل ٤٠، الفقرة ٧٩.

(٢) كرون، باتريشيا (٢٠٠٥م)، تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة آمال الروبي، مراجعة محمد بكر، مصر، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ص ٧٥.

لقد كان هذا البخور يتابع طريقه حتى يصل إلى مملكة البطالمة في مصر، حيث أشارت البرديات المصرية - البطلمية أن البخور الجرهائي كان يصل إلى مصر منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد؛ وهناك برديتان تسجلان نشاط زينون، أن أحد أهالي كونس في كاريا وكان يعمل وكيلا عاما ثم مدير أملاك أبولونيوس Apollonios وزير مالية بطليموس الثاني، حيث ذكرت أقدم هاتين البرديتين، وهي بردية زينون ذات الرقم: Zenon papyri 59536؛ والمؤرخة بصيف سنة ٢٦١ ق.م، قائمة بمحتويات أحد المخازن الخاصة بأبولونيوس استوردها وكلاؤه من جزيرة العرب مباشرة، وتشمل خمرا وعسلا، وخمس وزنات من اللبان الجرهائي، ووزنة من المر، وعدة مكايل من الكاسيا، وكميات غير معروفة من العطور، وكميات من القرفة، وبضائع أخرى كانت تأتي من شبه الجزيرة العربية. أما البردية الثانية ذات الرقم: 59009 فإنها تؤرخ تقريبا بين كانون الأول ٢٦٠ ق.م ونيسان ٢٥٨ ق.م، وقد كتبت هذه البردية في فلسطين، وهي قائمة سلع تشتمل على بخور الجرهاء، تلقاها زينون من رجل من مؤاب Moab يسمى ماليخوس Malichos (من المحتمل من الأنباط)، عندما كان في فلسطين نيابة عن أولونيوس. وإن ما تجدر الإشارة إليه هو أن فلسطين وجنوب سورية كانت تحت سيطرة البطالمة معظم القرن الثالث قبل الميلاد، إلى أن استعادها أنطيوخس الثالث نهائيا في أعقاب معركة بانيون سنة ٢٠٠ ق.م^(١). وفي المقابل أتت أدلة من البحرين على الصلات التجارية بين الخليج العربي والبطالمة؛ هي أواني زجاجية مصنوعة في مدينة الإسكندرية، هيلينية الطابع، تم العثور عليها في قرية المقشع شمال المنامة، تعكس علاقات تجارية بين البطالمة والخليج العربي، خلال هذه الفترة، فترة توسع البطالمة^(٢).



بردية زينون رقم 59536 والمؤرخة بصيف سنة ٢٦١ ق.م.

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٨٢، ٧٨٣.

(٢) شاهين، علاء الدين (١٩٩٧م)، تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، ص ١٣٠.

٣- هوية الجرهاء ونظامها السياسي:

لا يعلم على وجه اليقين النظام السياسي الذي كان معمولاً به في الجرهاء، ولا تاريخ تأسيسها، ولا بنيتها الديمغرافية، وإن كان سنترابون قد أشار إلى أن هذه المدينة (أي الجرهاء) قد تم تأسيسها من قبل الكلدانيين المنفيين من بابل، «وهي مستوطنة لبعض اللاجئين الكلدانيين من بابل»^(١)، وأشار دانيال بوتس أن نيكادر Nicander الكولفوني أحد كتاب القرن الثالث الباكر قبل الميلاد، كتب «أن بدو الجرهاء والبدو يحرقون حقولهم قرب الفرات»^(٢). كما أنهم استخدموا اللغة الآرامية في علاقاتهم الدبلوماسية، كما سيمر في هذا البحث عند الحديث عن حملة أنطيوخس الثالث عليهم نحو سنة ٢٠٥ ق.م. وبالتالي جميع هذه المؤشرات تشير إلى أن الجرهائيين لم يكونوا إغريقاً، وأنهم لا يتحدثون اليونانية، بدليل أن رسالة الجرهائيين للملك أنطيوخس الثالث ترجمت له، مما يعني أنها غير مكتوبة باللغة اليونانية، حيث كانت مكتوبة باللغة الآرامية، ولو كانوا إغريقاً لما كتبوا باللغة الآرامية^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن الجرهائيين استخدموا أسماء عربية قريبة من الأسماء التي استخدمها الأنباط؛ مثل حاربات (الحارث)، ولم تكن هذه الأسماء لأفراد وإنما اسماً لملك، وهذا ما ظهر جلياً في نقودهم، ثانياً استخدم الجرهائيون اللغة الآرامية لأنها صارت اللغة الدارجة، بعد أن اتسع انتشارها في شرق الجزيرة العربية منذ القرن الثاني قبل الميلاد^(٤)، بالإضافة إلى أنهم استعملوا الحروف العربية الجنوبية وهذا ظاهر من نقودهم، حيث كتبوا عليها أسماء ملوكهم (أبياتا، أبي أيل) وألتهتم (الشمس)، كما استخدموا الحروف العربية الجنوبية (مثل حرف الشين، والألف) للترميز على نقودهم.

ويقترح بعض المؤرخين أن قطع العملات النقدية التي حملت اسم إله الشمس، والقطع النقدية التي عليها حرف الشين الشاقولي أو الأفقي، ربما كان يسكها اتحاد قبلي يسيطر على طرق التجارة الرئيسية بين الخليج العربي وشمال شبه الجزيرة العربية، وربما أن هاتين المنطقتين كانتا تشتركان بعبادة إله واحد (الشمس)، ويعتقد أن القطع النقدية التي تحمل اسم إله الشمس هي الأقدم في المجموعة، تليها القطع التي تحمل حرف الشين الأفقي، ثم القطع التي تحمل حرف الشين الشاقولي، ومع ذلك لا زلنا بعيدين عن فهم عبادة الشمس

(١) سنترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٣، الفقرة ٣.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٧٣.

(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٦.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام في شرق الجزيرة العربية، ط ٢، ترجمة صباح عبود جاسم، الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، هيئة الشارقة للآثار، ص ٢٤٨.

بصورة جلية في جزيرة العرب قبل الإسلام^(١). وإن كان هناك شبه يقين من انتشار هذه العبادة في منطقة الخليج العربي في العصور الكلاسيكية، ومن المحتمل وجود أكثر من معبد لإله الشمس في شمال شرق الجزيرة العربية، وتؤكد النقود والعملات المكتشفة في شرق الجزيرة العربية هذا الواقع، فهي تمد الباحثين بمعلومات سياسية واقتصادية ودينية عن المنطقة، فمثلما توحى بنظام اقتصادي واحد للخليج العربي خلال العصور الكلاسيكية، فإنها توحى بديانة واحدة، ومعبود واحد؛ هو إله الشمس، الذي تظهر صورته على العملات العربية المسكوكة في إبان تلك الحقبة، وتكاد أن تكون صورته تقليدا صريحا لصورة الإله زيوس، الذي لم يعبد في العرب قط. وإن ما عزز تلك الفرضيات هو أن الفريق البلجيكي من جامعة Ghent University (ضمن البعثة الأوروبية للجزيرة العربية) قد قام باكتشاف أحد معابد عبادة الشمس سنة ١٩٨٩م في منطقة الدور Ed-Dur (إمارة أم قوين في دولة الإمارات العربية المتحدة)، كما تم اكتشاف حوض حجري فوق أحد المذابح عليه نقش مكون من سبعة أسطر بالخط الآرامي، ورد فيه اسم إله الشمس^(٢).

لكن السؤال الذي يطرح نفسه من أين تسربت عبادة الشمس إلى الخليج العربي؟ من المؤكد أن عبادة الشمس كانت معروفة في اليمن، منذ القرن العاشر قبل الميلاد، في زمن الملكة بلقيس ملكة سبأ^(٣)؛ حيث جاء في القرآن الكريم في سورة النمل الآية ٢٤: «وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله». ومثلما كانت عبادة الشمس شائعة في جنوب شبه الجزيرة العربية، كانت شائعة في شمالها؛ في الإطار التمودي واللاحاني، ويظهر اسم الشمس عنصرا ينطوي على معنى الألوهية في تركيب أسماء الأشخاص التموديين، والليانيين، والديديانيين، والصفائيين، وفي علم الأسماء الآرامية، وبين العرب في بلاد الرافدين خلال الألف الأول قبل الميلاد. لكن الفارق الوحيد بين معبود الشمس في شمال الجزيرة العربية عن جنوبها؛ أنه كان إلها مؤنثا في شمالها، بينما كان إلها مذكرا في جنوبها وفي بلاد الرافدين. ومثلما ارتبط الخليج العربي بعلاقات ثقافية وطيدة مع جنوب الجزيرة العربية من خلال القوافل التجارية، كانت له علاقات ثقافية وطيدة مع شمال الجزيرة العربية (الأنباط)^(٤)؛ لمسناها في طقوس الدفن في تايوس، لكن كتابة اسم الشمس بأحرف جنوبية

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٤٨.

(٢) قادوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، مصر، الإسكندرية، مطبعة الحضري، ص ٢٨٧، ٢٨٩.

(٣) قادوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، المرجع نفسه، ص ٢٨٨.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٤٩.

هو مؤشر (وإن كان نسبياً) إلى أن عبادة الشمس -ربما- تسربت إلى الخليج العربي من اليمن في زمان غير معلوم على وجه اليقين^(١).

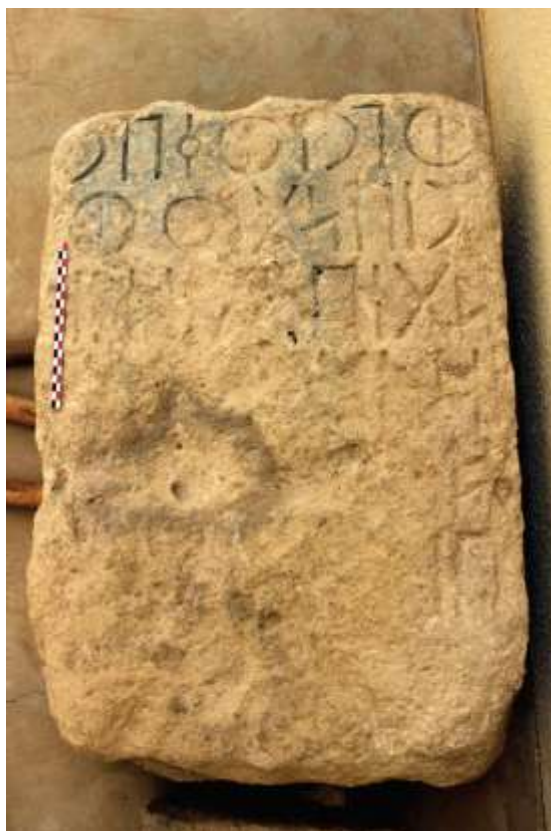
كما تم العثور في تاج، وعين جاون، والقطيف، وأبقيق، والحنا، وكلها مناطق تدخل في إطار نفوذ مملكة الجرهاء، على أكثر من ثلاثين نقشاً مكتوباً بالأحرف المستخدمة في جنوب الجزيرة العربية. وهذه النقوش ذات الطابع الجنائزي النموذجي، محفورة على مسلات جنائزية، تمتاز بأنها مستطيلة على العموم، طولها ضعف عرضها، وعرضها أكبر من ثخنها. ومعظمها على النموذج الآتي: «نصب تذكاري /ضريح أو قبر (نفس وقبر nfs wqbr) (الاسم الأول للشخص) ابن (الاسم الثاني للشخص) من المجموعة أ، من المجموعة ب». وقد كُتبت النقوش المسماة «إحسانية» (والتي تنسب إلى إقليم الاحساء، في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية)، بخطٍ تطور من الخط السبئي؛ المتضمن بعض الحروف التي تتخذ أشكالاً خاصة. لكن اللغة المستخدمة ليست من جنوب الجزيرة؛ وهي بالتالي لهجة من شمال الجزيرة العربية القديمة، حيث تتميز باستخدام أداة التعريف هن han، والتي تفرقها عن لهجات العرب الجنوبية. والأسماء الواردة في هذه النصوص سامية. وعلى الرغم من أن معظم النقوش الإحسانية قد عُثِر عليه خارج إطار الحفريات، حيث أعيد استخدامها في بناء البيوت أو في طلي الآبار، يُتيح لنا نقشٌ من هذا النوع؛ لا يخلو من أهمية، تمّ العثور عليه في مدينة أوروك جنوب العراق، وأخذ الرقم: CIH 699، أن نعرف كيف كانت المسلات موضوعة في الأصل. فمسلة أوروك كانت قائمة في أحد أطراف حجرة للدفن، والنقش متجهاً نحو الداخل^(٢).



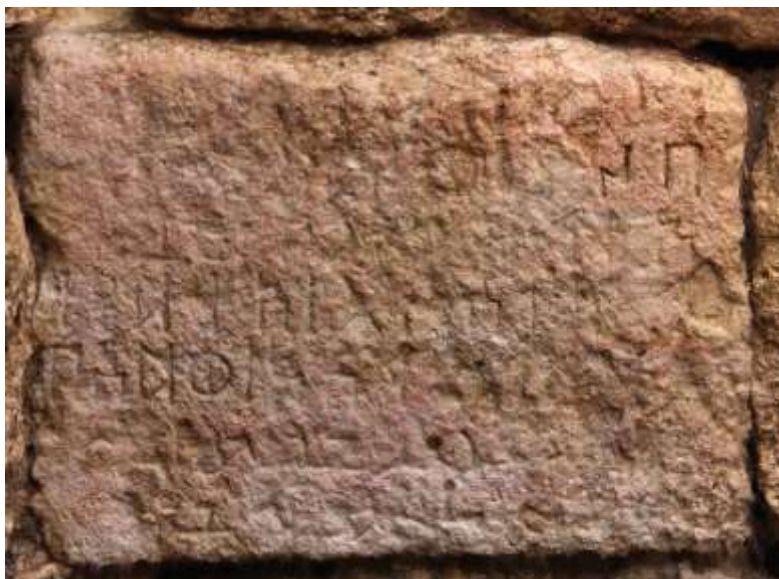
نقش إحساني من موقع تاج
Stone inscriptions
found in Thaj

(١) قادوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، ص ٢٨٨.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٣٦٩.



صورة رقم (٣٣): نقش إحساني من موقع تاج بعرض ٢٠ سم



صورة رقم (٣٤): نقش إحساني من موقع تاج، أعيد استخدام الحجر في بئر، أبعاده ٣٢ × ٦ سم

لذلك هناك ملامح عربية حقيقية لمملكة الجرهااء. وبالمجمل يمكننا القول إنّ هذه المملكة التجارية قد ضمت داخل جدرانها وفي المدن التابعة لها -بالإضافة إلى سكانها العرب الأصليين- جاليات من أعراق وقوميات مختلفة، جمعتهم عمليات التبادل التجاري. ورغم ذلك كان المجتمع الجرهائي متناسقا لغة وديانة وعرقا ومهنة. وبالتالي إن هذا النوع من الدول القائمة أصلا على التجارة كمصدر رزق أساسي لها، تحتم عليها طبيعتها تبني نوع من أنظمة الحكم الشبيهة بأنظمة دويلات المدن، فهذا النظام يعطي حرية أكبر للعمليات التجارية والتجار، وبما أننا لا زلنا نجهل موضع عاصمة الجرهااء الحقيقي، ولا يوجد بين أيدينا نصوص كتابية تسرد لنا التاريخ السياسي لهذه المملكة، سنكتفي بالإشارة إلى أسماء عدد من ملوك الجرهااء؛ الذين حفظتهم لنا النقود الجرهائية، وهم:

جدول بملوك الجرهااء		
التسلسل	التاريخ (تقريبي)	اسم الملك
١	٢٢٠ - ٢٠٠ ق.م	أبياتا
٢	٢٠٠ - ١٩٠ ق.م	غير معروف
٣	١٩٠ - ١٧٠ ق.م	حاريثات (الحارث)
٤	١٧٠ - ١٦٠ ق.م	تالبوش
٥	١٦٠ - ١٤٠ ق.م	أبي أيل بن تالبوش

٤ - حملة أنطيوخس الثالث على الجرهااء سنة ٢٠٥ ق.م:

لقد اكتسبت الجرهااء شهرة بعيدة في العالم القديم، بسبب مركزها التجاري الممتاز، وذاع خبر ثراء أهلها وغناهم، حتى زعم سُتْرَائُون أنهم كانوا يكتنزون الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وأنهم اتخذوا من الذهب أنية وكؤوسا وأثاثاً، وجعلوا سقوف بيوتهم وأبواب غرفهم به وبالأحجار النفيسة الغالية، وغير ذلك مما يسيل له لعاب الجائعين إلى المال^(١)، ويربط المؤرخون الكلاسيكيون الجرهااء مع سبأ في بلاد اليمن، كون الاثنين كانتا أكثر بلاد العرب ثروة^(٢)، إذ يقول سُتْرَائُون: «ولديهم وفرة كبيرة من هذه المواد العطرية حتّى إنهم يستعملون القرفة والكاسيا والنباتات العطرية الأخرى، بدلاً من الأعشاب والحطب في إشعال النار، وفي أراضي السبئيين أيضاً نبات يسمى لاريمنوم Larimnum [اللبن] وهو ذو رائحة عطرية قوية جداً

(١) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٦.

(٢) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٣٦.

وبفضل هذه التجارة فإن هؤلاء الناس والجرهانيين من أغنى الناس؛ ولديهم كميات كبيرة من المشغولات الذهبية والفضية، مثل الآرائك والموائد الثلاثية الأرجل والأواني وكؤوس الشراب، وكذلك المنازل المزيّنة بالزخارف على الأبواب والجدران، والأسقف المطعمة بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة، ويذكر أرتيميدوروس هذه الأشياء عن هؤلاء الناس، أما بقية الأوصاف فيُشَبَّه بعضها ما يذكره إراتوستينيس [نحو ٢٧٥ - ١٩٥ ق.م.]، وبعضها الآخر حصلنا عليه من المؤرخين الآخرين^(١). وقد تميزت علاقات الجرهانيين مع الدول المجاورة بصورة عامة بالهدوء وحسن الجوار، رغبة من الجرهانيين في تسيير أمورهم الاقتصادية والتجارية، دون إحداث أي مشاكل مع الدول الحاكمة القريبة منهم. ولم تسجل إلا حادثة واحدة معروفة من حالات الاعتداء تلك، وهي قيام الملك السلوقي أنطيوخس الثالث بغزو الجرهاء نحو سنة ٢٠٥ ق.م، طمعا في ثروتها^(٢).

لقد استعان أنطيوخس الثالث بالأسطول السلوقي المرابط في مياه الخليج العربي سنة ٢٠٥ ق.م؛ لغزو مدينة الجرهاء^(٣)، بهدف السيطرة عليها وعلى ثرواتها وما تكتنزه من ذهب وفضة ولؤلؤ وأحجار كريمة، وإذلال القبائل العربية المجاورة لها وإحاقها بحكومته، فإما أن تذعن وتستسلم بغير قتال، وتقدم ما عندها هدية طيبة إليه، وإما القتل والنهب وتدنك المدينة دكا. وتقول الرواية التي تتحدث عن طمع الملك السلوقي وجشعه للمال، أن المدينة المسالمة التاجرة أرسلت رسولا إلى الملك يحمل كثيرا من الأموال والتحف والهدايا راجين منه أن يتركهم وشأنهم، وألا يحرمهم من نعمتين عظيمتين أنعمتها الآلهة عليهم، نعمة السلام ونعمة الحرية، وهما من أعظم نعم الآلهة على الإنسان. فرضي من حملته هذه بالرجوع بهذه الجزية الكبيرة من الفضة والأحجار الكريمة، وهكذا اشترت المدينة الوادعة سلمها وحريتها بالمال من هذا الطامع^(٤).

وفي رواية أخرى أن الملك المذكور لما عاد من حملته الشرقية على الهند ٢١٠ - ٢٠٥ ق.م^(٥)، وكان قد ترك فيها (أندروستينيس) ليقوم بجمع الأموال التي وافق الملك الهندي (سوفاجاينوس) على دفعها للسلوقيين، اتجه نحو الغرب^(٦)، ومن ميناء أنطاكية فارس في شبه جزيرة بوشير، أبحر صوب السواحل

(١) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٤، الفقرة ١٩.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٥.

(٣) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٦٦٨.

(٤) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٦.

(٥) انظر تفاصيل الحملة في كتاب: العابد، مفيد رائف (٢٠٠٢م)، دراسات في تاريخ الإغريق، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(٦) Schoff (Wilfred H.), the periplus of the Erythraean sea, 10, p.26. نقلا عن بحث: حمدان، عبد المجيد

(٢٠١٤م)، العلاقات التجارية، ص ٣٢.

الشرقية لجزيرة العرب^(١)، فنزل في أرض خطينة Chattenia^(٢)، وهي من أرض الجرهاء. وعندئذ أرسل الجرهائيون رسلا يفاضونه على الصلح على نحو ما ذكرنا، فوافق على أن يدفعوا إليه في كل سنة جزية من فضة ولبان وزيت مصنوع من البخور^(٣).

وهذه الرواية أوردها بوليبيوس Polybius (٢٠٤ - ١٢٢ ق.م) والذي جاء بعد نصف قرن من إراثوستينيس^(٤): «لاباي Labae مثل ساباي Sabae / سبأ إحدى مدن خطينة Chattenia إن جنس لاباي مثل ساباي. كلتاهما مدينة تابعة لخطينة، إذ إن خطينة مدينة تابعة للجرهائيين إن خطينة هي المدينة الثالثة التابعة للجرهائيين. وتعد خطينة بشكل أو بآخر مدينة فقيرة، لكن شيدت فيها قرى وأبراج من طريق ثروة الجرهائيين؛ لأنهم هم من يقطنونها. إنَّها تقع على الخليج العربي يذكر المواطنون الخطينيون: هكذا أصدر أوامره أي: الملك أنطيوخس الثالث بعدم القضاء على مدينة الخطينيين وقد توسل الجرهائيون إلى الملك بعدم القضاء على ما أعطتهم المعبودات، وهو السلام الأبدي والحرية. وعندما فُسر الخطاب قال الملك: إنه منحهم مطالبهم. وعلى إثر تأكيد الحرية للجرهائيين كرموا على الفور الملك أنطيوخس بخمس مئة تالينت من الفضة، وألف قطعة من اللبان، ومئتي قارورة مما يسمى زيت المر. بعد ذلك قاد رحلة بحرية إلى جزيرة تيلوس Telos ثم رحلة بحرية أخرى إلى سلوقية Seleucia وكانت التوابل تأتي من البحر الإريثري/ الخليج العربي^(٥)». ويظهر من هذه الرواية أن مجيء الملك إلى أرض الجرهائيين كان من الهند، وكان قد رجع بعد أن قاد جيشه إليها، وأنه نزل بأسطوله في ساحل عُرف ب خطينة وهو الخط^(٦).

وقبل إنهاء الحديث عن حملة أنطيوخس الثالث على الجرهاء تجدر الإشارة إلى قضية إشكالية ومهمة وهي الهدف الحقيقي الكامن وراء حملة أنطيوخس الثالث على الجرهاء، فهل كان حقا أنطيوخس الثالث يطمع بالمال والجزية والضرائب، كما أجمعت المصادر الكلاسيكية؟ أم أن هناك هدفا أهم بالنسبة للدولة

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٨٤.

(٢) خطينة: هي الخط؛ ساحل العروض، وهو إقليم مشهور من بلداته العقير والقطيف وقطر، وقيل أن الخط هو ساحل اليمامة، ويرى البعض أن الخط اسم ميناء بعينه على ساحل الخليج العربي، وهو في الوقت نفسه اسم إقليم يشمل كامل ساحل الخليج العربي الغربي، ثم اقتصر على القطيف، انظر: صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٣٨.

(٣) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٦.

(٤) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١٢٦.

(٥) بوليبيوس، التواريخ، الكتاب ١٣، الفصل ٩، الفقرة ٥-١.

(٦) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٧.

السلوقية؟ في الواقع كان عند الملك أنطيوخس الثالث النية في إخضاع الجرهاء، والقبائل المجاورة لها، إذ إنَّ الحاجة إلى البضائع التي تتاجر بها كتوابلها وسائر منتجاتها الأخرى، وأهمية وضعها المتوسط بين شطري الإمبراطورية الشرقي والغربي من جهة طرق الملاحة كانت كلها اعتبارات ذات شأن^(١).

ويرى بعض المختصين ممن يعتمدون على تفسير التاريخ بالمذاهب الاقتصادية، أن غزو السلوقيين للجرهاء يندرج في إطار التنافس الاقتصادي مع البطالمة على خطوط التجارة من وإلى الهند، ولما كانت الجرهاء تصدر معظم بضائعها التي تستوردها من الهند عبر أراضي الدولة السلوقية، فإن ذلك الأمر كان حسنا بالنسبة للدولة السلوقية، ولما بدأت بتغيير خطوط قوافلها التجارية ورغبت في الاتصال بالبطالمة في مصر، فإن ذلك أثار حفيظة السلوقيين، ودفعهم إلى التلويح باستخدام القوة ضد هذه المملكة التجارية^(٢)، فلو تأملنا في السلع التجارية وفي واردات الرسوم المحتملة التي خسرها البطالمة، بعد هذه الحملة لسهل علينا أن نفهم الأسباب الكامنة ورائها، ولم يكن أنطيوخس الثالث بقصير النظر، ليدمر الجرهاء أو يحتلها^(٣)؛ لأنه لا فائدة من احتلال هذا المكان الصحراوي، لا بل إنه لو قام بذلك لأسهم في تعطيل سبل تجارة الدولة السلوقية مع الهند وجنوب بلاد العرب، بل كان مقتتعا أن أهل الجرهاء أدري بمسالك المنطقة وعوامل استمرار ازدهارها، فرضي أن يصلحهم وأن يقبل منهم الجزية^(٤)، ولا سيما أن هذه المملكة سرعان ما أذعنّت ورضخت للأمر الواقع، وقدمت الهدايا وفُرض الطاعة، كما قبلت بزيادة الضرائب التي تدفعها للخزانة السلوقية في أنطاكية؛ إعلانا وتأكيدا منها على حيادها وصفتها التجارية^(٥).

وإنما يدعم وجهة النظر هذه؛ هو أن أنطيوخس الثالث سعى لتنشيط تجارة الخليج العربي حتى على الجانب الشرقي منه؛ أي الساحل الفارسي، في أعقاب حملته الشرقية، بمعنى إبعاد خطوط التجارة قدر الإمكان عن منافسيه البطالمة، والسيطرة عليها، حيث صارت البضائع الهندية تأتي عن طريق مياه الخليج العربي، ثم تنتقل إلى سوسا، وبعد ذلك تنقل بالقوافل إلى سلوقية دجلة، وما يدل على ذلك هو الزيادة الملحوظة للنقود التي سكت في دار سك سلوقية دجلة والمكتشفة في سوسا، والتي تعود إلى عهد الملك أنطيوخس الثالث

(١) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١٢٦.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٥.

(٣) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٨٦.

(٤) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان، ص ١٢٦.

(٥) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٥.

بعد حملته الشرقية^(١)، فعلى نقيض قطع البرونز الـ ٣٣ التي عثر عليها في سوسا وأخذت من سلوقية دجلة ويعود تاريخها إلى سلوقس الأول وسلوقس الثالث (٣١٠ - ٢٢٢ ق.م). ظهرت ٣١٤ قطعة نقدية في عهد أنطيوخس الثالث، يضاف إليها ١٠٦ قطعة من عهد سلوقس الرابع، ولا شك أن هذا الارتفاع في عدد العملات مرده إلى ارتفاع عدد الصفقات التجارية الداخلية بين سوسا وسلوقية دجلة، التي يمكن اعتبارها ناشئة عن نجاح جهود أنطيوخس الثالث بتوجيه تجارة الخليج العربي نحو بلاد بابل^(٢).

وهكذا يبدو أن هذه الحملة كانت بهدف فرض الإشراف السلوقي على التجارة الخليجية المزدهرة، ومحاولة جادة من الملك السلوقي لصرف هذه التجارة عن الأعداء التقليديين للسلوقيين؛ وهم البطالمة في مصر^(٣). والدليل الأكثر مصداقية على هذا هو أن هذه السياسة تتوافق مع سياسة الدولة السلوقية التجارية، والتي كانت تتمثل في جذب التجارة الوافدة من الهند، ووسط آسيا وبلاد العرب، لكي تمر بالمناطق الخاضعة للدولة السلوقية. كما كانت تسعى إلى إيجاد أسواق في الغرب والشمال، تكون قادرة على استيعاب البضائع القادمة من الشرق، بالإضافة إلى منتجات الدولة السلوقية، وبالفعل نجحت الدولة السلوقية في توطيد علاقاتها مع جزيرة رودس في بحر إيجه، التي تمكنت من التحرر من هيمنة البطالمة على تجارتها، حيث أصبحت تستقبل السفن السلوقية، كما تستقبل السفن البطلمية^(٤).

ويبدو أن الجرهائيين فهموا المطلوب منهم جيداً، لا بل وأسهموا في تلك السياسة التجارية السلوقية، حيث توقفوا عن التجارة مع البطالمة، وبعد انتصار السلوقيين على خصومهم في سنة ٢٠٠ ق.م، أصبح جوف وجنوب سورية تابعا للدولة السلوقية، وبالتالي استطاع الجرهائيون أن يستأنفوا التجارة مع البحر المتوسط من طريق المسار الأكثر مباشرة، أي وادي السرحان وفلسطين والبتراء، بدلاً من المرور من طريق نهر الفرات^(٥). لقد جاءت البيئة الأهم من ديلوس Delos على وجود تجار جرهائيين في بحر إيجه خلال هذه الفترة، ف تملاتوس Temallatos / تيم اللات الجرهائي قدم عدة تقديرات في سيرابيون سنة ١٤٥ / ١٤٦ ق.م، وفي أرتميسيون سنة ١٤١ / ١٤٠ ق.م؛ اشتملت على مبخرة، وقد حملت إحدى تقديراته أحد شعارات الشمس. وقدم تاجر عربي ثان يدعى كسمايوس Kasmaios بن أبايوس Abdaios مذبحة باليونانية إلى

(١) حمدان، عبد المجيد (٢٠١٤م)، العلاقات التجارية، ص ٤٠.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٨٧.

(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٥.

(٤) حمدان، عبد المجيد (٢٠١٤م)، العلاقات التجارية، ص ٢٦.

(٥) هيلند، ربرت (٢٠١٠م)، تاريخ العرب في جزيرة العرب، ص ٤٩.

هيلبوس في جزيرة كوس Cos في وقت ما من القرن الثاني ق.م، ومع أن الأحرف الثلاثة الأولى من اسمه حفظت وحدها، فقد اقترح أن كسمايوس هو أيضا من أهالي الجرهاء^(١). وهكذا يظهر أنه رغم المنافسة الحادة بين البطالمة والسلوقيين إلا أن تجارة الشرق البرية والبحرية كانت بأيدي العرب خلال القرون الثلاثة قبل الميلاد^(٢).

٥- زوال الجرهاء:

أما الفترة الزمنية التي زالت فيها الجرهاء كدولة وحاضرة فيرجح أنها في مطلع القرن الثاني الميلادي، وتعود أسباب انهيارها إلى عدة أمور من أهمها ظهور منافسين ومحطات ومراكز تجارية مهمة كميسان وتدمر والدور وملحية^(٣)، فتطور صناعة السفن، أدى إلى تمكنها من قطع مسافات طويلة من غير الحاجة إلى التوقف في موانئ كثيرة، وبالتالي صارت السفن تقطع المسافة الممتدة من موانئ الدور ومليحة (في أقصى جنوب الخليج العربي) حتى ميسان (في أقصى شمال الخليج العربي)، دون الحاجة للتوقف في موانئ الجرهائيين، أو أن الجرهائيين لم يتمكنوا من مزاحمة السفن الأخرى، فأخذ نجمهم بالأفول^(٤). كما لعب التواصل المباشر بين الفرثيين والهنود عاملا إضافيا^(٥)، والأهم من هذا هو تغلغل الفرس في بلاد العرب، حيث استطاعت فارس أن تتغلغل ثقافيا وسياسيا في بلاد العرب، كما كان للفرس رابحة تركت أثرها في نفوس جميع العرب حتى بلاد اليمن، وبدل العثور على نقود فارسية ترجع إلى منتصف القرن الثاني ق.م في اليمن على هذا الأثر التجاري، فضلا عن ذلك فقد امتد النفوذ السياسي الفارسي إلى اليمن، وظل قائما حتى دخل عاملهم عليها في الدين الإسلامي. كما أن الخليج العربي كان يعاني من منافسة البحر الأحمر له كطريق للتجارة، إذ إن البطالمة والفينيقيين، اهتموا بتجارة البحر الأحمر؛ كطريق من طرق التجارة مع الجزيرة العربية^(٦)، واهتم الرومان بالتواصل مع الهند عبر البحر الأحمر أيضا، دون الحاجة للتجار الجرهائيين^(٧).

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٨٨، ٧٨٩.

(٢) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي، ص ٨.

(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٧.

(٤) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٩.

(٥) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٧.

(٦) غلاب، محمد السيد (١٩٧٩م)، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، ص ١٩٧.

(٧) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٧.

وربما أن الأمر لم يقتصر على الطرق البحرية، فتحول طرق القوافل البرية في داخل شبه الجزيرة العربية؛ ربما لعب دورا مساعدا في ذلك أيضا، حيث نشط الأنباط في نقل تجارة الحجاز واليمن. وبالمعموم كانت الطرق البرية تتحول دوما، لعوامل سياسية واقتصادية وعسكرية، وبتحسن وسائل المواصلات، فيؤدي هذا التحول إلى اندثار مدن وظهور مدن، ولا نزال نرى أثر هذا التحول في حياة قرى جزيرة العرب حتى الأمس القريب^(١). وفي الوقت نفسه الذي تدهورت فيه مراكز داخل البر بسبب تحول طرق التجارة عنها، شهدنا انسياح القبائل العربية في المنطقة. هذا التغير نشهده بالشكل الأوضح في الاختلاف الملحوظ في الأسماء التي أطلقها بطليموس (Ptolmy; 6. 7) على شعوب هذه المنطقة، والذي أكمل عمله نحو سنة ١٥٠م، ووصف كثيرا من الأسماء؛ المألوفة لنا من التاريخ العربي اللاحق، فعلى سبيل المثال، يورد اسم تنوخ Thanuitae، وهو اتحاد قبلي عربي تقول المصادر العربية إنه ترك تهامة ونجد واستوطن شمال شرقي جزيرة العرب، وهناك انضم إليه -بحسب بطليموس- كل من قبيلة عبد القيس Abucaei، وبنو عُليْس Ioleisitai^(٢). وأخيرا يمكننا القول إن الخليج العربي لم يستعد مكانته بعد انهيار الجراء، إلا بعد قيام الدولة الساسانية نحو سنة ٢٢٥م، فالأسرة الساسانية جاءت من جنوب غرب إيران، وكانت هذه الأسرة على دراية بالحياة البحرية في الخليج العربي، فبنوا أسطولا قويا وأعادوا الأمن للخليج العربي، وقضوا على القراصنة فيه، حتى أصبحت التجارة وصيد اللؤلؤ فيه مأمونين. ومن هنا يبدأ عهد طويل من التعاون العربي -الفارسي من أجل الحصول على جزء من تجارة الشرق ومنافسة البحر فيها^(٣).

٦ - مواقع عاصرت الجراء وربما كانت تابعة لها:

وتجدر الإشارة إلى عدد من المواقع الأثرية في منطقة الجراء، والتي كانت مدنا تجارية مزدهرة؛ يشهد على ذلك بناؤها وآثارها، وربما كانت هذه المدن قائمة على نظام دويلات المدينة، تربطها بالجراء علاقات التحالف التجاري والصداقة، بحكم أن جميعها يقع على طرق القوافل التجارية في الإقليم نفسه، وتعاشرت تاريخا مع الجراء وزمن ازدهارها، ويعتقد أن السلطات المحلية في هذه المدن قد قامت بإصدار عملاتها الخاصة، التي حملت أسماء ملوكها وأسماء معبوداتها. حيث تم العثور على عدد كبير من المسكوكات خلال الحفبة الهلنستية في إقليم الجراء؛ على امتداد شرق الجزيرة العربية، وصولا إلى الساحل الواقع ضمن

(١) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٩.

(٢) هيلند، ربرت (٢٠١٠م)، تاريخ العرب في جزيرة العرب، ص ٥٠.

(٣) غلاب، محمد السيد (١٩٧٩م)، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، ص ١٩٧.

أراضي دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم، وعمان. إلا أنه يرجح أن تلك المناطق قامت بتقليد العملات السابقة ولم تكن ضمن أراضي مملكة الجرهاء، وإن كان لدانيال بوتس رأي مخالف أدلى به مؤخراً (٢٠١٨م) حيث أشار إلى أن حكم الجرهاء امتد في زمن ملكها أبي أيل إلى مليحة Mleiha، في إمارة الشارقة، حيث يقول: «فلم يعد يبدو ممكناً تجاهل الدليل المستمد من قوالب مليحة، من المؤكد فعلياً الآن بأن أبي إيل لا بد وأنه حكم في مليحة^(١)». إن جميع هذه المسكوكات تقليد لعملة الإسكندر اليونانية، التي كانت متداولة منذ أيامه وخلال سنوات حكم الإمبراطورية السلوقية لسورية وبلاد الرافدين، لكنها تحمل هوية محلية، طبعاً مع التنويه للدور المهم للمسكوكات في قضية السيادة الوطنية والاستقلال، ومن هذه المدن: عين جاوان، المدينة الواقع اليوم جنوب مطار الظهران، وموقع منجم الملح الأثري، وسنقدم لها بعض الشروح:

أ. عين جاوان:

تقع عين جاوان بمحافظة القطيف في المنطقة الشرقية، في الركن الشمال الغربي من خليج تاروت على مسافة ٣ كم من الساحل، وإلى الشمال من بلدة صفوى بنحو ٦ كم، ويعد موقع عين جاوان من أكبر المواقع الأثرية في شرق الجزيرة العربية حيث تقدر مساحته الإجمالية بحوالي ٢٠٠ هكتار؛ ونظراً لكبر مساحة الموقع وأهميته بوصفه نقطة قريبة من ساحل البحر يرحح أن الموقع ربما كان مستوطنة بلبانة Bilbana التي رسمت في خريطة بطليموس^(٢). لقد أفادت المسوحات الميدانية والحفريات الأثرية فيه؛ بأن الموقع هو مستوطنة أثرية كبيرة يبرز فوق سطحها رؤوس جدران مبنية بالحجر الجيري والطين، ومغطاة من الداخل بطبقة ملاطية جصية بيضاء، كما يحتوي الموقع على سلسلة المدافن الركامية أو التلالية مبنية بحجارة جيرية تربط بينها مونة طينية. ويتألف المدفن الركامي الواحد من القبر الرئيس وتلحق به قبور ثانوية، حجمها قياسياً بمثيلاتها في مواقع أخرى بالمنطقة مثل مدافن الظهران وعين السبح، وفي ضوء نتائج الحفريات الاختيارية التي نفذت في الموقع يتضح أنه يحتوي على سبع طبقات أثرية ضمن ثلاث مراحل استيطانية، الأولى تؤرخ لما قبل القرن الرابع قبل الميلاد، وبعدها مرحلتان معاصرتان لمنشآت معمارية يعود تاريخها إلى الفترة الهلنستية والرومانية. والكشف على أحد مدافن الموقع في حفرة إنقاذية وجد أنه يتكون من مدخل خارجي يُفتح على دهليز مسقوف يفضي إلى قاعة كبيرة مستطيلة الشكل أبعادها نحو ٢٥ × ٧٠

(١) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام، ص ٢٤٧.

(٢) السعود، عبد الله بن سعود (١٤ يوليو - ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠م)، موقع عين جاوان الأثري، دليل معرض «طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية» بإشراف أ. د. علي بن إبراهيم الغبان، أ. د. بياتريس أندريه-سالفيني وآخرون، باريس، متحف اللوفر، ص ٣٨٩.

قدما، وتفتح في جدرانه الخمسة حجرات دفن صغيرة (كهوف)، في حين تعلو القائمة الرئيسية غرفة دفن إضافية، وشيد هذا المدفن بالجر الكلسي المحلي المغطى بملاط جصي من الخارج، وتتكون واجهات الجدران من الداخل من حجارة كلسية مستطيلة ومهذبة ومثبتة بقليل من الطين، وعلى الرغم من أن المدفن الرئيسي وجد منهوبا إلا أنه عثر خارجه على أربعة توابيت حجرية^(١)، لقد حوى التابوت الشمالي هيكل فتاة تبلغ من العمر (٦) سنوات تقريبا، وأما التوابيت الثلاثة الجنوبية فقد حوى كل منها هيكلًا لذكر بالغ، وقد دفنت الجثث الثلاث داخل توابيت من الخشب أغلقت بمسامير حديدية^(٢). ومن المرجح أن هذا المدفن يعود إلى إحدى الأسر الكبيرة في عين جاون ذات المكانة الاجتماعية المرموقة^(٣). وقد تم العثور على بعض من اللقى الأثرية في الأضرحة الأربعة الخارجية كانت على النحو الآتي:

-المدفن الجنوبي الغربي: كان رأس الهيكل العظمي في الطرف الجنوبي، ومع أن بقايا التابوت الخشبي كانت في حال أمكن معه معرفة شكله العام إلا أن يد البلى كانت قد أصابته وخلفتها أشبه شيء بالمسحوق الناعم، وأما العظام فقد نالها الكثير من الضرر. والأثر الوحيد الذي عثر عليه كان حلقة ذهبية صغيرة يزين بها الشعر.

- المدفن الجنوبي: كان رأس الهيكل في الطرف الغربي، وطرف التابوت العلوي محدب الشكل. والأدوات التي عثر عليها كانت عبارة عن حلقتين ذهبيتين صغيرتين ومتساويتين في الحجم، يزين بهما الشعر، وسيف حديدي في حالة غير جيدة، وهذا السيف عريض يشبه في شكله ورقة الشجر وكان ممددا إلى جانب الهيكل من الجهة اليسرى، أما غمده فكان من الخشب وكان له غطاء من الجلد، وأما مقبضه فكان في الأصل من العاج وثبت بالصمغ الحيواني^(٤).

-المدفن الجنوبي الشرقي: كان رأس الهيكل في الطرف الشمالي، وكانت إحدى المربعات الحجرية التي تغطي هذا الضريح قد سقطت في الحفرة؛ ونتيجة لذلك كان رفات الميت الذي يرقد فيها أسوأ حالا من جميع المدفونين. والأثر الوحيد الذي عثر عليه هو سيف حديدي من النوع الطويل الضيق العرض، وقد وجد إلى جانب الهيكل من الناحية اليسرى وكان محطما لثمانى قطع، وقد ترك الزمن أثره على هذا السيف فخلف فيه

(١) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، مج ٨، ف ٢، ص ٣٤٨.

(٢) السعود، عبد الله بن سعود (٢٠١٠م)، موقع عين جاون الأثري، ص ٣٩٠.

(٣) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، مج ٨، ف ٢، ص ٣٤٨.

(٤) السعود، عبد الله بن سعود (٢٠١٠م)، موقع عين جاون الأثري، ص ٣٩٠.

انحناء ظاهرة إلى الأمام. أما الغمد فكان من الخشب وكان له غطاء من الجلد، ويبدو أن المقبض كان قد صنع من الخشب أيضاً، وقد ثبت خشب الغمد وجلده إلى بعضهما بطوق برونزي ضيق^(١).



صورة رقم (٣٥): ضريح موقع عين جوان، طيران (سالم بن أحمد)، المنطقة الشرقية، ص ٣٤٨

-**المدفن الشمالي الشرقي.** كان رأس الهيكل في الطرف الغربي، ورغم أن جميع المربعات الحجرية التي كانت تغطي هذا الضريح بقيت في مكانها، إلا أن الضريح عانى الأمرين بسبب رشح الماء إلى داخله وما نفذ إليه من الصلصال، ولقد كانت البقايا بكاملها مغطاة بطبقة سمكها ١٢ سم من الصلصال المبلل الثقيل. ووجدت بقايا لتابوت، كما عثر على تمثالين صغيرين كان علو كل منهما ٦ بوصات تقريباً وكان أحدهما مصنوعاً من الجص وما تزال عليه بقايا طلاء أحمر، وله قاعدة مربعة. ويمثل هذا التمثال امرأة مرتدية كامل ملابسها، ذراعها اليمنى منحنية عند المرفق ومنطوية فوق صدرها والذراع اليسرى تتدلى في استرخاء على جانب الجسد، أما الرأس فلا وجود له. أما التمثال الثاني فكان من المرمر، وتظهر عليه من آثار طلاء أزرق ولم يحافظ عليه كما ينبغي؛ فالرأس والذراعان والصدر والجزء السفلي من الساقين لم يعثر لها على أثر^(٢). كما عثر في هذا القبر على عقد خرزة من ذهب وشكله عدسي، ومع لآلى، وعقيق أحمر، وحلق مستدير من ذهب مرصع بحجارة نصف كريمة، كما عثر على مرمر، وكأس برونزية، ومراة، وأربعة أواق شعر ذهبية، وطوق عنق

(١) السعود، عبد الله بن سعود (٢٠١٠م)، موقع عين جاون الأثري، ص ٣٩٠.

(٢) السعود، عبد الله بن سعود (٢٠١٠م)، موقع عين جاون الأثري، ص ٣٩٠.

من الذهب وقارورة زجاج صغيرة. وتذكر العقود على العموم بحلي تدمر ودورا أوريوس في القرنين الأول والثاني الميلاديين^(١).



صورة رقم (٣٦): عقد ذهبي دقيق الصنع زين بحبات اللولو والأحجار الكريمة، مدافن عين جاون، القرنين الأول والثاني الميلاديين.

ب. الظهران:

توجد منطقة أثرية تضم مستوطنة كبيرة وطريقاً قديماً يخترق الموقع جنوب مطار الظهران وعلى بعد أربعة كيلومترات منه، ويوجد جوارها حقل مدافن تلالية يحوي ٩٠٠ مدفن؛ تم حفر ستين مدفنًا منها، ووجد أن عدداً من هذه المدافن يمكن أن يعود تاريخه إلى العصر السلوقي، استناداً إلى فخارها وبعض اللقى الأثرية الأخرى المكتشفة فيها. وقد قام أحد الهواة في سنة ١٩٦٩م بالتنقيب في موقع جنوب مطار الظهران وكشف جانباً من مبنى حجري صغير مجصص، بالإضافة إلى كوات عوارض السقف الأصلية، وزين المبنى من الخارج بزخارف تتمثل في زهر زنبق ملون بالأحمر والأخضر^(٢). وعثر على كنز هائل من الحلي في جرة صغيرة قرب المبنى، ضم (٢٧) حجر عقيق أحمر، و(٧) أحجار كريمة من نوع جمشت أو بجادي، و(٣) خرزات عقيق مجموعة بطوق، وخاتم ذهب رصع بأحد الأحجار الكريمة. ويضم الكنز ثلاثة أزواج أقراط ذهبية متقنة الصنع؛ على زوج منها أسد رايش فوق صف من الرمان المتدلي. وتتصل حلقة معلقة بالذهب بظهر الأسد بسلسلة ذهب مضفورة، ترتبط بحلقة نصف دائرية مزخرفة بحبيبات وكانت الأقراط المتقنة شائعة في العهد الهلنستي. أما الزوج الثاني فيتألف من حلقة ذهب لها خرزة بشكل برميل

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٩٦٣.

(٢) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، مج ٨، ف ٢، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

ويتدلى منها شبه منحرف، ويمكن تمييز حقلي زخرفة على شبه المحرف بوضوح. أما الزوج الثالث من الأفرط فله مجموعة معقدة من الكرات المتدلية المعلقة بحلقة نصف دائرية. كما عثر في الكنز على سوار ذهب أجوف، وكانت أطراف الأساور تنتهي بصور حيوانية، فيها صور رؤوس الوعول التي كانت شائعة خلال العصر الهلنستي. هذا بالإضافة إلى (٢٧) حلية ذهبية صغيرة بأشكال مختلفة تشمل الخرز المربع والمستطيل والمستدير والمزخرف بحبيبات^(١).

لقد تم تنقيب الموقع بصورة منظمة في سنة ١٩٧٧م، وتم تحديد نحو (٣٠) معلما في رقعة لا تتعدى أبعادها ٢ × ٣ كم، وقد جرى تنقيب اختياري في مواجهة أحد الجدران الداخلية لمبنى تبين أنه أكبر المعالم المعمارية، ويمثل منشأة دفاعية. كما تم الكشف عن معلم آخر هو بقايا قناة مائية تجري مياهها بصورة متقطعة من الشمال إلى الجنوب منحدر، مما يشير إلى احتمال أن تكون عينا للمياه، أما المنشأة الدفاعية فهي حصن دفاعي أو قلعة خماسية الأضلاع، مشيدة من الحجارة الصغيرة، يبلغ طول الضلع الواحد منها ٢٢م، وفي كل ركن من أركانها برج دائري بارز، فضلا عن أسوار بلغت سماكتها نحو ٢,٧م، حيث تظهر الأبراج متممة للأسوار، ما عدا السور الجنوبي الشرقي الذي يبدو مسطحا من جسم القلعة بارزا تسنده إحدى الدعامات، وتم الكشف عن ثلاثة مستويات على عمق ١,٩ يتألف كل مستوى من الرماد، والرمال الباهتة مع بعض قطع الفحم النباتي، والمتحجرات الرملية، وكسر الفخار، وتتخلله طبقة رقيقة من الرمال النظيفة^(٢).

إن منطقة الظهران هي أيضاً موقع منطقة استيطانية كبيرة وحقول دفن تحتوي على تلال تضم آلاف القبور، وبالتالي ليس من المستغرب أبداً النقاط عدد من المسكوكات منها عبر السنين. من جهة أخرى كانت مناطق القطيف والهفوف من الناحية التاريخية دائماً ذات أهمية أكبر من الظهران بفضل المخزون الواسع من المياه الجوفية التي تظهر فوق سطح الأرض على شكل ينابيع متدفقة وفي الأماكن التي تحفر فيها الآبار والتي تسمح بتواجد تجمعات سكنية كبيرة في الماضي. لكن اتساع بساتين النخيل في كلتا المنطقتين، جعل اكتشاف المواقع الأثرية مسألة بالغة الصعوبة. إن اللقى القليلة التي تم العثور عليها في الهفوف وبالقرب من جبل بري إلى شمال القطيف من الصعوبة بحيث يمكن اعتبارها ممثلة لما يجب أن يكون بانتظار الآثاريين في كلتا المنطقتين إلى الآن^(٣).

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٢٧، ٧٢٨.

(٢) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، مج ٨، ف ٢، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٣) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام، ص ١٧، ١٨.

ج. موقع منجم الملح:

هو عبارة عن منطقة واسعة من الحقول القديمة ترويه مياه وادي أفتان، ويبعد موقع منجم الملح الأثري زهاء ٢٥ كم إلى شمال غرب العقير، وتنتشر على سطح الموقع كسر الفخار، توجد آثار جدران مبان ترتفع عن السطح بمقدار ١٠ - ٣٠ سم وقد تمكنت البعثة الأثرية الدنماركية سنة ١٩٦٨م من تعيين بعض المنشآت البنائية في الموقع وتاريخها إلى العصر الهلنستي، ومنها (الحصن) وهو مبنى مربع الشكل له سور واق يعلوه آخر طيني، يبلغ طول الجانب الواحد منه ٥٠ م. وقد حفرت البعثة المذكورة خندقاً اختيارياً صغيراً في المكان الذي أطلق عليه اسم (حصن السبخة) عثر فيه على كميات من الفخار تشابه الفخار الذي عثر عليه في ثاج والبحرين، وأجري سبر مماثل في بناية مماثلة أعطى نتائج مماثلة، حيث عثر في الخندق على عدد من الكسر الفخارية المعروفة في ثاج والبحرين من العصر الهلنستي، وهذا هو الحصن المسمى (حصن البر الداخلي)، وتبين أنه حصن مشيد من أحجار منحوتة ضخمة، وقد بلغ قياس بعديه نحو ٤٩ × ٥٢ م، إضافة إلى جدران لمنشآت معمارية أخرى تقع إلى الشرق وإلى الجنوب الشرقي من الحصن، أما في الجنوب الغربي منه توجد مجموعة من المقابر الركامية المسيحية، والتي تغطي مساحة ١٠ كيلو متراً مربعاً^(١).

وقد عثر في الموقع على كسرة صغيرة من أوبولة فضية مشابهة لمواد ثاج، ولكن ذات وجه شبيه بدراخمة الاسكندر الرباعية من بيبيلوس. ودراخمة رباعية أثينية (بومه) تؤرخ بأوائل أو منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، ومسكوكتان معدنيتان قديمتان تؤرخان بأوائل القرن الرابع قبل الميلاد عائدتان لأرادوس. كما عثر على مسكوكة رديئة الحال معمولة على نمط دراخمة رباعية للإسكندر (معدن رديء)، ولكن لا تحمل العلامة (AE) ذكر أنها من مجموعة صغيرة تتكون من ١٢ أو ١٥ من مسكوكات مماثلة^(٢).

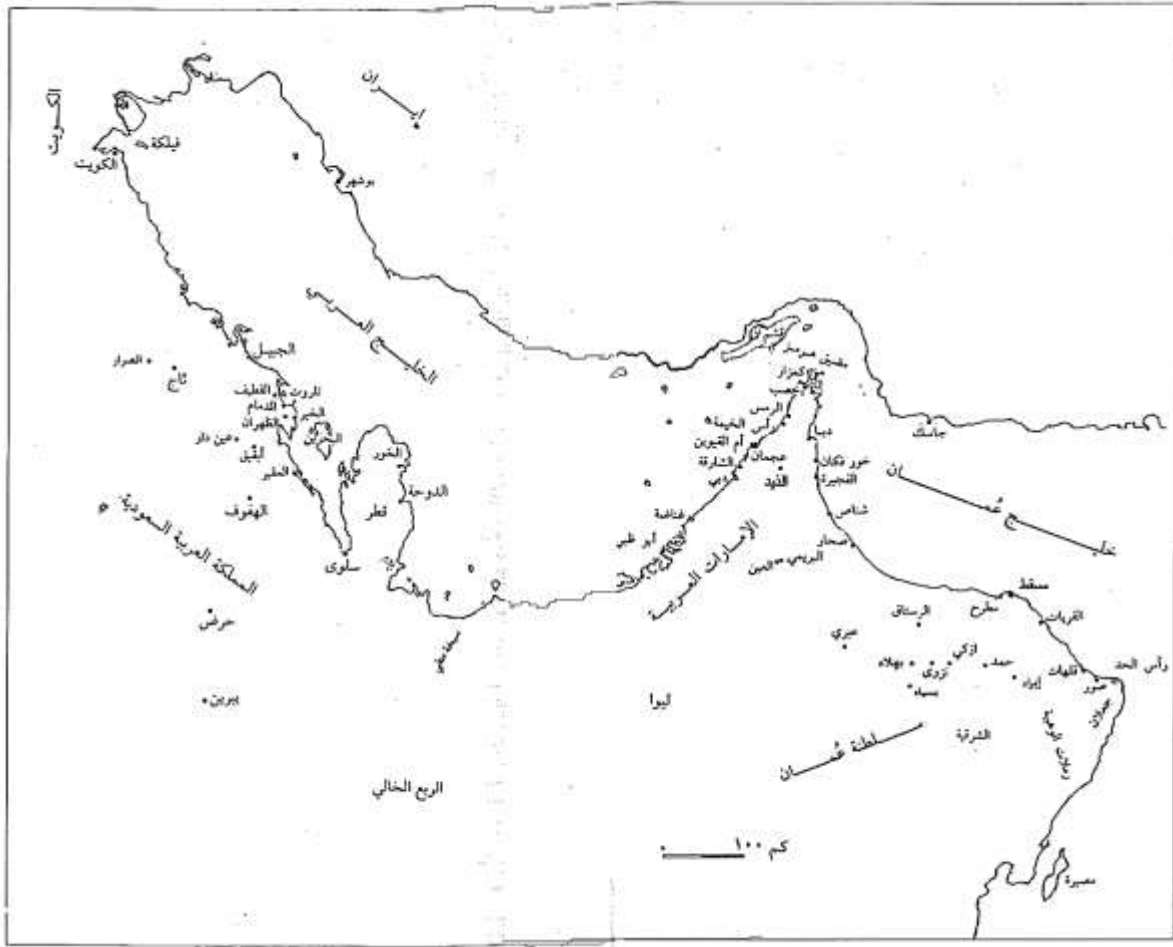
د. جبل كنزان:

يقع موقع كنزان على بعد نحو ٤٠ كم جنوبي غربي موقع منجم الملح وعلى نحو ٢٣ كم شمال شرق الهفوف، وتتراكم فيه قطع فخار القدور العائدة للعصر الهلنستي، ويضم ما يزيد على أربعين تل دفن، وحقول قديمة، وانقاض مستوطنة تحيط بها كثبان رملية، وقعر بحيرة متحجرة، وبقايا خندق وسد، ولا شك أن أهم اللقى فيه هي مئات المسكوكات التي عثر عليها هناك والتقطت من سطح الموقع. كما التقط الزائرون أيضاً

(١) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، مج ٨، ف ٢، ص ٣٤٦. وانظر: بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٣١، ٧٣٢.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام، ص ١٨، ١٩.

ثماني سبائك نحاسية ذات شكل هرمي نوعاً ما، تزن كل منها حوالي ٤,٥ كغم. لقد تم تحليل هذه السبائك باستعمال طريقة المصورة (بلازمة) المتقارنة بالتحريض (ICP) وظهر بأنها تتكون من حوالي ٩٩ - ٩٨ % من النحاس الخالص. ويحتمل أن هذه السبائك استخدمت في سك النقود البرونزية الصغيرة التي عثر منها في الموقع^(١). كما عثر علماء الآثار على ست قوالب لسك العملة مصنوعة من النحاس، كما عثر فيها على ٢٠ دراخمة من الفضة^(٢)، إن اكتشاف هذه السبائك، وهذه القوالب النحاسية، يجعل من المحتمل جداً بأن هناك مكاناً لسك العملة كان يوجد في جبل كنزان^(٣).



خريطة رقم (١٣): منطقة الخليج العربي وأهم المواقع الأثرية فيها، دانيال بوتس، الخليج العربي، ج ٢، ص ٦٥٠

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٣٢.

(٢) يوسف، فرج الله أحمد (يناير ٢٠٠٢م)، مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام، مجل أدماتو، العدد الخامس، السعودية، الرياض، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، ص ٩٦.

(٣) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٧٣٢.

رابعاً: نقود الخليج العربي خلال العصر السلوقي:

لا شك أن منطقة شمال شرق الجزيرة العربية بما فيها من محطات تجارية مثل الجرها، وغيرها من مدن إقليم الأحساء كانت من المناطق الهامة في التبادل التجاري في الجزيرة العربية، والتي ربطت تجارة الشام مع منطقة الخليج العربي والهند^(١). ونتيجة لاتصال ممالك شبه الجزيرة العربية التجاري بالبلاد المجاورة، وبالأخص مع الإغريق، عرف العرب المسكوكات منذ وقت مبكر تقريبا في نهاية القرن الخامس ق.م، حيث تعاملوا بالنقود الإغريقية^(٢). وكون هذه المنطقة (شمال شرق الجزيرة العربية) مركز تجاري دولي مهم بدأت بسك عملات خاصة بها^(٣)، حيث بدأ العرب بإصدار المسكوكات منذ مطلع القرن الرابع ق.م^(٤).

إن اكتشاف نقود إغريقية في الخليج العربي له شأن تاريخي كبير؛ لأنه يشير بوضوح إلى تدخل الإغريق في أمور الخليج العربي في هذا العصر، وحكمهم لسواحل الجزيرة العربية، كما أنه سيعين في التوصل إلى تثبيت تواريخ حكم السلوقيين لهذه المنطقة، وإن مجموع النقود التي تم الكشف عنها في مختلف أرجاء الخليج العربي، تشرح لنا بدقة مدى امتداد سلطان السلوقيين الاقتصادي والسياسي في هذه الجهات، وتعين صلاتهم بالشعوب العربية القاطنة على بقية سواحل الخليج وفي الأراضي البعيدة عن منطقة نفوذ السلوقيين^(٥).

١ - النظام النقدي الدولي الجديد:

بعد أن اعتلى الإسكندر المقدوني ابن فيليب عرش مقدونيا سنة ٣٣٦ ق.م، وحكم بعد ذلك إمبراطورية مترامية الأطراف امتدت من اليونان إلى الهند، أمر مدن السك التي استولى عليها بسك نقوده الخاصة دليلا على أنه صاحب السلطان، وكانت هذه النقود تسك في جميع أنحاء الإمبراطورية، وبذلك أسس الإسكندر نقدا موحدا في العالم القديم، ووضع نظاما نقديا دوليا ذا معدنيين هما الذهب والفضة^(٦). وعندما أسس

(١) قادنوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، ص ٢٨٤.

(٢) حسن، علي حسن (٢٠١٢م)، تأثير الطراز الإغريقي على النقود المضروبة في ممالك شرق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رؤية تحليلية جديدة، ضمن موسوعة الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة، التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسطى، المجلد الأول، جامعة الملك سعود، الرياض، ص ١٠٧.

(٣) قادنوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، ص ٢٨٤.

(٤) حسن، علي حسن (٢٠١٢م)، تأثير الطراز الإغريقي على النقود، ص ١٠٩.

(٥) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٣٣.

(٦) حسن، علي حسن (٢٠١٢م)، تأثير الطراز الإغريقي على النقود، ص ١٠٩.

الإسكندر المقدوني النظام النقدي الدولي، سارعت كل الممالك القديمة إلى تقليده، وضرب مسكوكاتها تقليدا لمسكوكاته من قطعة الدراخمة. كما أن الدويلات العربية في شبه الجزيرة العربية قد تأثرت مسكوكاتها بمسكوكات الإسكندر المقدوني^(١).

إن مسكوكات الإسكندر منها مسكوكات فضية فئة الأربعة دراخمة تحمل على وجهها رأس الإله هرقل (الإله الحارس) التي يعتقد بعضهم أنها في الحقيقة رأس الإسكندر نفسه، وإن صح هذا الاعتقاد يكون الإسكندر هو أول من وضع صورته على المسكوكات في العالم القديم. أما الوجه الآخر من مسكوكات الإسكندر فإنه يحمل صورة الإله زيوس كبير آلهة اليونان، جالسا على العرش وعلى يده اليمنى الممدودة إلى الإمام نسر، وفي يده اليسرى صولجان، وغالبا ما يكون اسم الإسكندر مكتوبا خلف العرش، وقد استمر إصدار هذا الطراز من المسكوكات لمدة مائتي سنة بعد وفاة الإسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ ق.م^(٢).

وبعد وفاة الإسكندر كانت المقاطعات الشرقية من نصيب سلوقس الذي اتبع النظام السياسي القائم على مبدأ تقسيم مملكته إلى ولايات (سترايبات) وكان فيها مدن إغريقية تتمتع بالحكم الذاتي تحت السيادة السلوقية، ولها نظامها الخاص في ضرب المسكوكات^(٣). وقد أسهم دخول الإغريق (السلوقيون والبطالمة) إلى البحار الجنوبية؛ كالخليج العربي والبحر الأحمر، في احتكاك مباشر بين الثقافة اليونانية والثقافات الشرقية، حيث عثر على لقي، ونقود، ودور سك عملات، وكتابات يونانية في مواضع متعددة من الخليج العربي، والسواحل الإفريقية، وسواحل الجزيرة العربية، فمثلا عثر في خرائب مدينة (تمنع) على كثير من الأشياء الهيلينية الأصل أو المتأثرة بالهيلينية، من تماثيل وتحف فنية وفخار وما شابه ذلك، هي من نتائج التبادل التجاري^(٤). وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي أجريت في شرق الجزيرة العربية عن وجود مسكوكات في العديد من المواقع مثل تايلوس (البحرين) وثاج، وعين جاون، وجبل بري، والشعبة، ومنجم الملح، والهفوف، وكنزان، وعُمانا (الدور)، فيلكا، ومليحة^(٥).

(١) يوسف، فرج الله أحمد (٢٠٠٢م)، مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص ٩٤.

(٢) حسن، علي حسن (٢٠١٢م)، تأثير الطراز الإغريقي على النقود، ص ١٠٩.

(٣) يوسف، فرج الله أحمد (٢٠٠٢م)، مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص ٩٤.

(٤) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٣٠، ٣١.

(٥) يوسف، فرج الله أحمد (٢٠٠٢م)، مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص ٩٤.

٢ - أنماط نقود الخليج العربي:

لقد قام حكام ممالك شرق الجزيرة العربية والخليج بضرب المسكوكات التي يتضح عليها التأثير بمسكوكات الإسكندر المقدوني، وإن كان هناك بعض الفروق فالمسكوكات المحلية المضروبة في شرق الجزيرة العربية امتازت بعدم استواء سطحها^(١)، وذلك بأن يكون وجه العملة (Obv) محدبا قليلا، ولا تظهر عليه أي كتابات أو رسوم، أما ظهر العملة (Rev) مقعر نسبيا ويصور الإله شمس في هيئة كبير المعبودات الإغريقية (الإله زيوس) جالسا على عرش^(٢)، وبذلك تتشابه نقود الخليج العربية مع مسكوكات مملكة كندة العربية المضروبة في قرية الفاو^(٣)، وهي على عكس العملات السلوقية التي تكون مستوية تماما، والتي غالبا ما يظهر على وجهها صورة الملك الحاكم^(٤). كما امتازت الصور المرسومة على مسكوكات شرق الجزيرة العربية، بأنها تبدو على هيئة خطوط تجريدية وبعيدة عن محاكاة الطبيعة، وليست مثل المسكوكات الإغريقية والسلوقية^(٥)، حيث امتازت رسوم نقود الجزيرة العربية بالبساطة في عرض المنظر المنظر المصور، فالإله المصور على ظهر العملات العربية يظهر على شكل خطوط تجريدية وهندسية لمعبود جالس على عرش، يقف نسر على يده اليمنى الممتدة إلى الأمام، في حين يمسك صولجانا في يده اليسرى، وعلى الرغم من أن المنظر نفسه موجود على ظهر بعض العملات السلوقية، إلا أنه منفذ بدرجة إتقان أكبر، وبالتالي يختلف اختلافا ملحوظا من الناحية الفنية^(٦). أما الميزة الأخرى للنقود العربية؛ بأنه قد كتب عليها بخط المسند. هذا وقد عُثر على قوالب لسك النقود في ممالك شرق شبه الجزيرة العربية، تثبت أن النقود التي وجدت هناك، وكانت متداولة، قد سكّت في هذه الممالك^(٧)، ويمكن تقسيم هذه العملات إلى ثلاثة ثلاثة أنماط أساسية:

-
- (١) حسن، علي حسن (٢٠١٢م)، تأثير الطراز الإغريقي على النقود، ص ١١٠.
 (٢) قادوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، ص ٢٨٤.
 (٣) حسن، علي حسن (٢٠١٢م)، تأثير الطراز الإغريقي على النقود، ص ١١٠.
 (٤) قادوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، ص ٢٨٧.
 (٥) حسن، علي حسن (٢٠١٢م)، تأثير الطراز الإغريقي على النقود، ص ١١٠.
 (٦) قادوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، ص ٢٨٧.
 (٧) حسن، علي حسن (٢٠١٢م)، تأثير الطراز الإغريقي على النقود، ص ١١٠.

أ. النمط الأول:

يمثله عملة برونزية صغيرة من فئة الأبولة Obola حيث الوجه محدب نسبياً، لا تظهر عليه أي معالم، والظهر مقعر نسبياً ويظهر في الوسط المعبود شمش (إله الشمس) جالساً على العرش في هيئة جانبية، على نمط الإله اليوناني زيوس، باسطاً ذراعيه ويمسك باليد اليسرى صولجاناً ويظهر فوق يده اليمنى ما يشبه الطائر (بما يكون نسراً)، ويظهر أمام ركبة المعبود بقايا حرف W (ش) بالشكل العمودي، يرمز إلى الإله شمش. وفي هذا النمط نجد أن الفنان قد جسد المعبود شمش إله الشمس في الجزيرة العربية بشكل مجسم نسبياً، وليس عبارة عن خطوط تجريدية هندسية، كما في الأنماط الأخرى، لذا فإن هذا النمط يعود لفترة مبكرة تقدر بمطلع القرن الأول للميلاد، استناداً إلى عدم وجود دوائر أو نقاط بارزة ربما ترمز للإله شمس^(١).

ب. النمط الثاني:

يتميز هذا النمط بضخامة حجم العملات التي تتراوح بين ٢ سم - ٢,٧ سم ومعظمها من فئة الأربعة دراخمة Tertradrachm، الوجه محدب نسبياً ولا تظهر عليه كالعادة أية معالم. أما الظهر فهو مقعر نسبياً ويظهر في الوسط الإله اليوناني زيوس باسطاً ذراعيه، ويقف على اليد اليمنى طائر (ربما النسار الطائر المفضل للإله زيوس)، بينما يمسك في يده اليسرى صولجاناً، وفي الجهة اليمنى توجد دائرتان ربما ترمزان للشمس، ومن الجهة اليسرى تظهر الحروف (ش، م، س) المكونة لاسم الشمس. ويتميز هذا النمط عن سابقه بالتجسيم الواضح سواء في الجزء السفلي من جسم المعبود شمس، أو في كرسي العرش، وكذلك بوجود دوائر مفرغة ونقاط بارزة أسفل الذراعين اليمنى واليسرى، ونقطة واحدة بارزة تحت كرسي العرش، ولعل أهم ما يميز هذا النمط عن سابقه وجود اسم معبود الشمس كاملاً في حين يكتفي في النمط الأول بالإشارة إليه بحرف واحد فقط هو حرف الشين W ويرجح تأريخ هذا النمط إلى فترة لاحقة للنمط الأول في القرن الأول الميلادي، بناء على كينونة الخطوط الهندسية وتجسيمها، أي إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي^(٢).

(١) قالدوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، ص ٢٨٥.

(٢) قالدوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، المرجع نفسه، ص ٢٨٥.

ج. النمط الثالث:

يتميز هذا النمط عن النمطين السابقين بالشكل العمودي للمعبود شمش الذي صور بخطوط هندسية بحتة. وجه العملة محدب نسبيا وأملس ويخلو كالعادة من أية زخارف أو كتابات أو رسوم. أما ظهر العملة فهو مقعر نسبيا ويظهر في الوسط المعبود شمس معبود الشمس جالسا على العرش في هيئة المعبود زيوس، باسطا ذراعيه ويقف على يده اليمنى طائر مرسوم بالطريقة التجريدية العمودية، بينما يمسك بيده اليسرى صولجانا يرتكز على الأرض بمحاذاة أرجل كرسي العرش. وعلى الجهة اليمنى توجد دائرتان ترمزان إلى المعبود شمش بالإضافة إلى وجود نقاط بارزة أسفل الذراعين وكرسي العرش. واستنادا إلى طراز هذا النمط الذي يستخدم الخطوط الهندسية البحتة والشكل العمودي، فإن تأريخه يرجع إلى الفترة ما بين أواخر القرن الأول الميلادي، حتى القرن الثالث الميلادي. ويمكن القول إن الخصائص الفنية الأساسية التي تميز هذه العملات، هو أنها خاضعة لتأثير بعض العملات السلوقية التي كانت سائدة في تلك المنطقة^(١).

٣- أهم القطع النقدية التي عثر عليها في الخليج العربي خلال العصور الكلاسيكية:

تختص هذه الفقرة بالنقود اليونانية التي عثر عليها في الخليج العربي، وبالنقود العربية التي سكت تقليدا لها، حيث ظهرت مسطحة وعلى وجهها صورة الإسكندر المقدوني، وتجدر الإشارة إلى أن أقدم هذه القطع النقدية التي عثر عليها في الخليج العربي؛ كانت قطع النقود التي عثر عليها في جزيرة فيلكا في آذار سنة ١٩٦٠م، وكانت كتلة ملتصقة بعضها ببعض، وعند فكها وتنظيفها تبين أنها تضم ١٣ قطعة نقدية فضية من فئة أربعة دراخمة، كان منها القطعة رقم واحد، التي تحمل صورة أنطيوخس الثالث، الذي حكم الامبراطورية السلوقية ما بين (٢٢٣ - ١٨٧ ق.م)، وبالتدقيق أكثر في صورة الملك على الدراخمة يتبين أنها تمثل في أول شبابه، وبالتالي يمكن تحديد تاريخ القطعة إلى بداية حكمه، أي نحو سنة ٢١٢ ق.م، وعلى ظهر هذه القطعة تظهر صورة الإله أبوللون؛ سلف وإله الأسرة السلوقية، ويبدو جالسا على عرشه المقدس، ينظر إلى سهم في يده اليمنى وقوس بيده اليسرى، وعلى كل وجه من الإله اسم الملك، وفي أقصى اليمين والشمال وضع ختم الشخص الذي صك العملة. ويبدو من الطراز على الاجمال بأن القطعة من مسكوكات الامبراطورية في الشرق، ويشير الختم إلى سوسا، التي كانت هي الأخرى منطقة تصك فيها النقود

(١) قاندوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، ص ٢٨٦.

في عصر الدولة السلوقية، وسوسا تقع على مقربة من مكان اكتشاف هذه النقود في جزيرة فيلكا. وما تزال العملة في حالتها الجيدة، ومن الواضح أنها لم تستعمل لفترة طويلة^(١).



صورة رقم (٣٧): مجموعة النقود الفضية من فئة ٤ دراخمة التي عثر عليها في فيلكا، التقرير الشامل، ص ٦٥

(١) مورخولم، أوتون (١٩٦٠م)، نقود يونانية من جزيرة فيلكا، ترجمة وزارة الإرشاد والأنباء، منشورات إدارة الآثار والمتاحف، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ص ٢. وانظر: التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣م)، ص ١٦، ١٧.

أما بقية النقود وهي اثنتا عشرة قطعة أرقامها من ٢-١٣، فهي مسكوكة بنفس أسلوب قطعة النقد السلوقية التي تقدم الحديث عنها، وهي بحالة جيدة كذلك. وعلى الوجه صورة هرقل يحمل جلد الأسد الذي لبسه بعد انتصاره على الأسد النيمي Nemean، وعلى الوجه الثاني صورة كبير الآلهة اليونانية زيوس Zeus جالسا على عرشه، ويحمل في يده اليمنى المنبسطة طيره المقدس، النسرو، وبيده اليسرى عصا طويلة، وخلف الشكل الجالس تبدو الكتابة اليونانية، بحروف بدائية ضعيفة، وبجانبا علامة الشخص الذي سك النقود وهي الحرف (ش) (w) ولذلك فإن النقود سكت باسم الإسكندر. على الرغم من وفاته قبل ضربها بقرن كامل. وهناك ما حمل عدد من علماء الآثار على الاعتقاد أنها ضربت في فيلكا، فالنقود لم يتداولها أحد، بل نقلت رأسا من مكان صباها إلى مكان دفنها، لكن لما كانت فيلكا تحت الحكم السلوقي، وبالتالي لا يحق لها إلا ضرب النقود السلوقية، ما دفع علماء الآثار لتقديم تخمين ثاني مرضي، هو أن الجرهانيين من ضربوا هذه النقود، فالمكان قريب، وجزيرة فيلكا على خطوط قوافلهم، وهم خارج نطاق سيطرة السلوقيين، وكان الجرهانيون يرغبون بضرب نقودهم باسم الاسكندر للاستمرار بالمحافظة على سمعتهم التجارية، وكسب العالم الإغريقي، والمتأثرين بالثقافة الإغريقية، وإذا أضفنا إلى هذه المعطيات بدائية الضرب، فإنها أمور تصب كلها في منطقية هذا الافتراض^(١).

وإن ما دعم هذا الفرضية، أن ثاج كمكان متوقع لعاصمة الجرهانيين في شرق الجزيرة العربية، ودون أن نذكر العدد الكبير من المسكوكات التي وجدت فيها، فقد عثر فيها على آثار قوالب لسكب النقود والعملة، لذلك من الطبيعي الظن بأن ثاج كانت موقعا لسك العملة، وتدعم اثنتان من اللقى السطحية التي عثر عليها في ثاج هذا الاقتراح. اللقية الأولى وهي الأهم؛ كانت عبارة عن قرص طيني بقطر حوالي ٢سم الوجه الأول خالٍ من النقوش (باستثناء بعض طبغات أصابع واضحة)، أما الوجه الآخر يحمل طبعة درخمة رباية. تُظهر الطبعة بشكل واضح ذراعين وجسد، وعرش شخص جالس، وصولجانه، ونسراً، واسم الإسكندر AΛEΞANΔ POY (الأسطوري) وحرف (ش) (w) الأفقي، الذي كان يرمز للشخص الذي يسك النقود، وجزءاً من حدود النقاط التي تحيط بالمشهد، ويقترح دانيال بوتس أن هذا القرص الطيني وهو قالب للوجه الثاني (القفا) لنقود إغريقية فضية من فئة الأربعة درخمة، ضربت لإتمام معاملاتهم التجارية مع الإغريق أو المتأثرين بالثقافة الإغريقية. كما وجدت على تل منخفض وصغير في ثاج، بدن مسكوكة صغيرة، وقد انتشرت فوق هذا التل نفايات نحاسية غير متميزة. كما وجدت هنا أيضاً قطعتان نحاسيتان صغيرتان جداً

(١) مورخولم، أوتون (١٩٦٠م)، نقود يونانية من جزيرة فيلكا، ص ٣. وانظر: التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣م)، ص ١٦، ١٧.

عثر عليهما في أثناء عملية النخل) وكذلك قطع بلّون عديدة مقعرة ومحدبة. ويعتقد دانيال بوتس بأنه يوجد هناك احتمال أن تكون هذه القطعة الصغيرة؛ بدن مسكوكة غير مطروقة لقطع البلّون المحدبة المقعرة الصغيرة التي عثر عليها فوق التل، وبناء على ذلك يمكن أن يشير هذا الكشف لمكان السك^(١).

كما عثر في فيلكا على كنز ثاني سنة ١٩٦١م لم ينظف حتى سنة ١٩٧٤م تضمن دراخمة لسوقس الثاني، ضربت في سوسا، وثلاث دراخمات لأنطيوخس الثالث ضربت في سوسة أيضا، وثمانية قطع عملة سكها الملك أبيثا من جزيرة العرب الشمالية، وأربعة إصدارات من جزيرة العرب الشرقية عليها رمز الشين الأفقي. واكتشف كنز ثالث في فيلكا في تل خزنة سنة ١٩٨٤ يتألف من ٢٦ دراخمة فضية من دراخمات الإسكندر، ودراخمة واحدة لسوقس الأول. وهناك ١٥ سكة في الحد الأدنى، يتوزع ضربها من أمفيبوليس وكورنتي في الغرب إلى همذان (أكباتان) في الشرق^(٢).

كما أظهرت التنقيبات الأثرية بعض قطع النقود السلوقية الأخرى في شمال الخليج العربي، وجدت منفردة هنا وهناك، منها ثلاث قطع نحاسية سلوقية، عثر عليها في سلوقية دجلة، واحدة ضربها سوقس الأول باسم الإسكندر المقدوني، بينما القطعتان الثانية والثالثة فهما من ضرب أنطيوخس الثالث^(٣). كما عثرت البعثة الدنماركية في فيلكا أيضا على دراخما نقش على وجهها صورة الملك السلوقي أنطيوخس الثاني، وعلى الوجه الآخر للعملة ربة النصر واقفة في قارب على شكل بطة. وفي سنة ١٩٨٤م عثرت البعثة الفرنسية على العديد من المسكوكات في فيلكا، منها دراخما فضية نقش على وجهها صورة الإسكندر الأكبر، وعلى الوجه الآخر لها الإله زيوس جالسا على عرشه، ويستند على ذراعه اليمنى الممتدة طائر، بينما تلتف يده اليسرى حول صولجان. كما عثر على دراخمة فضية نفذت بذات الأسلوب أيضا، حيث نقش على وجهها صورة سوقس الأول، وعلى ظهرها الإله زيوس جالسا على عرشه، ويستند على ذراعه اليمنى الممتدة طائر، بينما تلتف يده اليسرى حول صولجان^(٤). إن هذه القطع النقدية تعطي صورة صادقة عن مدى ارتباط فيلكا اقتصاديا بمدن الإمبراطورية السلوقية الكبرى. ولا شك أن قيمة هذه القطع في ندرتها^(٥).

(١) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام، ص ١٦.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٩١٦.

(٣) مورخولم، أوتون (١٩٦٠م)، نقود يونانية من جزيرة فيلكا، ص ٣. وانظر: التقرير الشامل (١٩٥٨-١٩٦٣م)، ص ١٧.

(٤) يوسف، فرج الله أحمد (٢٠٠٢م)، مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص ٩٥، ٩٦.

(٥) مورخولم، أوتون (١٩٦٠م)، نقود يونانية من جزيرة فيلكا، ص ٣.

كما عثر على مجموعة من المسكوكات المضروبة محليا في تايلوس (البحرين)؛ لوحظ عليها التأثيرات الخارجية الصرفة؛ فهي تحتوي على صور وأشكال وكتابات يونانية؛ يتضح منها التقليد والمحاكاة، بسبب عدم ضبط أشكال الحرف، أو الاختلاف في موضعها بالنسبة للكلمة^(١)، وسبقت الإشارة من قبل في هذه الرسالة إلى كنز ٢٩٢ قطعة نقدية فضية، والتي تؤرخ عادة بسنة ٢٤٠ - ٢٢٠ ق.م، وقد عثر على هذه النقود في جرة موضوعة تحت أرضية إحدى الدور، مقابل واجهة جدار المدينة وتشمل هذه النقود ثلاث فئات، الفئة الأولى وتشمل ثلاث دراهمات من نمط دراهمات الإسكندر، يشهد وجه هرقل Heracles على وجهها قبالة اليمين، عليه فروة جلد الأسد النيمي وتحيط به حلقة من النقاط الصغيرة، لكن لا ترى معالم الإسكندر على وجه هرقل ورأسه، كما كان يحصل أحيانا عند تقليد عملة الإسكندر، ويرى على ظهر الدراخمة صورة امرأة أو إله جالس من دون لحية، يلبس تاجا ترى أشراطته بوضوح، وعلى غرار ما في عملة الإسكندر الأصلية يجثم نسر على يده اليمنى الممدودة، ويمسك بصولجان بيده اليسرى، وقد استبدل اسم الإسكندر الذي يكتب على الجانب الأيمن للعملة باللغة اليونانية، بالاسم (أبيثا) الذي كتب بحروف عربية جنوبية، وقد نقش أيضاً أعلى القطعة الحرف (ألف) بالعربية الجنوبية، الحرف الأول من اسم (أبيثا). وحفر نقش شمس بأحرف جنوبية عربية مقابل ركبتى الإله الجالس، الذي يختلف بعدة نواحي عن صورة الإله زيوس؛ الموجودة تقليدياً على إصدارات عملة الإسكندر التي تقلدها هذه الفئة^(٢).

أما الفئة الثانية من نقود هذا الكنز في جزيرة تايلوس، فيرجح أنه ضرب سنة ١٩٠ ق.م، وهو شبيهه بالسابق مع بعض التعديلات البسيطة، لكن أهم ما فيه من إشارة إلى أنه نقش عليه بحروف عربية جنوبية «حريثات ملك الجرهاء». مع ظهور شعار النخلة عليه بدلا من حرف (ألف) بالعربية الجنوبية، ولا شك أن هذه النقود ضربت في مملكة الجرهاء، ووصلت إلى جزيرة تايلوس بواسطة التجار، وهذا أمر منطقي. بينما تؤرخ الفئة الثالثة من نقود هذا الكنز بسنة ١٦٠ ق.م، ويبلغ عددها ٧٧ قطعة، يُظهر وجه هذا الصنف من المسكوكات رأس هرقل الذي يبدو أكثر تشويهاً من صور الإسكندر الأصلية، حيث يظهر فك الأسد بارزا على نحو خاص، وأصبح على شكل شبه دائرة منحنية تحيط بإذن هرقل. ومع ذلك فإن ملامح الوجه مازالت تتسم بالواقعية بالمقارنة مع العديد من الأنواع الأخرى. يُظهر على قفا العملة شخص متوج يمكن مقارنته في معظم الحالات مع الشخص الموجود على مسكوكات أبيثا. من ناحية ثانية، توجد هناك فروق مهمة يمكن رؤيتها

(١) ناشر، هشام عبد العزيز (٢٠٠٣م)، التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة عدن، اليمن، عدن، ص ١٦٧.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٢٦، ٨٢٧.

أيضاً. فلم يعد الشخص يمسك قسبة في يده اليمنى الممتدة، ولكن بدلاً من ذلك يسند رأس حصان. واستبدلت علامة الألف العربية الجنوبية بشجرة نخيل ذات هيئة تجريدية، أو على ما يبدو أنها حزمة من الحنطة، التي يوجد تحتها حرف (الشين) الآرامي، وحرف (الألف) الآرامي، ورأس ثور، ورأس ثور مقترناً بحرف الألف العربي الجنوبي، أو لا شيء على الإطلاق خلف الشخص الجالس، وبدلاً من اسم الإسكندر، كتب عليها بحروف آرامية أبي إيل ابن تلبش. وأفضل نموذج من هذه الفئة محفوظة في متحف البحرين بالرقم: (٣١٤٢٨٤). وبالإضافة إلى هذه الإصدارات يوجد هناك مجموعات أخرى من المسكوكات الشبيهة والتي نقش عليها بحروف عربية جنوبية اسم الإله «شمس»، أو كان يختصر اسمه فيكتب حرف الشين فقط، كإشارة إلى هذا المعبود^(١). ومن هذه النقود، نقود البحرين، يتضح مدى التأثير المتبادل بين مناطق شرق شبه الجزيرة العربية، وجنوبها من جهة، وبينها وبين الحضارة اليونانية (السلوقية) من جهة أخرى، والتي تدل بما لا شك فيه أن التجارة أدت دوراً رئيساً في بلورتها^(٢).

كما عثر في **كنزان** على عشرين دراهمة ترك وجهها خالياً من النقوش، بينما نقش على ظهرها صورة المعبود شمس، وقد رسمت بطريقة تجريدية، وهو جالس على عرش، ويوجد ما يشبه قبعة عريضة تستقر فوق قمة رقبة المعبود شمس، كما عثر في ذات الموقع على مسكوكات برونزية نقش على أحد وجهيها صورة المعبود شمس، وترك الوجه الآخر خالياً^(٣). وعثر في **الإمارات العربية المتحدة في إمارة أم قوين**، في موقع الدور، على دراهمة تعود إلى أيام الملك سلوقس الثالث أو سلوقس الرابع، رسم على وجه العملة ملك يحمل الديادима (عصابة رأس؛ وهي قطعة قماش زرقاء عليها نقاط بيضاء، اعتمدها الإسكندر بعد انتصاره على الملك دارا الفارسي رمزا للملكية، وسار الملوك السلوقيون على نهجه) ووجه له لحية قصيرة، ينظر ناحية اليمين، أما على ظهر العملة فكانت توجد صورة الإله أبوللون جالسا على الصخرة المقدسة في معبده في دلفي، التي كان يعتقد اتباعه أنها مركز الأرض. كما عثر في ذات الموقع على دراهمة ثانية تعود لعصر سلوقس الثالث^(٤).

(١) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، **مسكوكات ما قبل الإسلام**، ص ٢٦.

(٢) ناشر، هشام عبد العزيز (٢٠٠٣م)، **التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية**، ص ١٦٧.

(٣) يوسف، فرج الله أحمد (٢٠٠٢م)، **مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام**، ص ٩٦.

(٤) حمدان، عبد المجيد (٢٠١٤م)، **العلاقات التجارية**، ص ٣٨.

الفصل الرابع

الخليج العربي خلال الحقبة الرومانية – الفرثية

أولاً: مملكة ميسان والخليج العربي:

تُعد مملكة ميسان على الشاطئ الشمالي للخليج العربي/ جنوب بلاد الرافدين، من أهم الممالك التي عرفت في العصر الهلنستي، ولا تقل أهميتها عن أهمية أي مملكة أخرى في ذلك الوقت، فموقعها المتوسط بين الخليج العربي وبلاد الرافدين وعليلام، وسيطرتها على الطرق التجارية بين هذه الأقاليم الثلاثة هو الذي أعطاها هذه الأهمية. لقد كانت ميسان إحدى أهم المدن التي أنشأها الإسكندر المقدوني في سنة ٣٢٤ ق.م؛ بعد دخوله إلى الشرق، وسماها الاسكندرية^(١)، وكان يهدف من إنشاء هذه المدينة السيطرة على طرق المواصلات بين بلاد الرافدين والخليج العربي والهند*. ولكن في أثناء الفترة السلوقية لم تؤد الإسكندرية الدور المتوقع الذي أراده الإسكندر لها. بسبب بروز مدينة الجرهاء، في شمال شرق شبه الجزيرة العربية، وسيطرتها على طرق تجارة الخليج العربي. ونظرا لأن المدينة قد بنيت فوق أراض منخفضة، أدنى من شط العرب، ما جعلها تتعرض للفيضانات التي عملت على تدميرها^(٢).

لقد حددت نتائج الدراسات الحديثة موقع المدينة بدقة في مكان يسمى (مغلوب) إلى الجنوب الشرقي من تلال خيابر قرب مدينة البصرة اليوم، ولا تزال الأسوار المبنية من الطابوق والطين حول المدينة ماثلة للعيان بارتفاع يصل إلى أربعة أمتار، وهي الشيء الوحيد الذي يمكن مشاهدته في سهل منبسط على مد البصر، وإن الجزء الوحيد الذي لا زال محافظا على كامل ارتفاعه هو السور الشمالي، بطول ٢,٤ كم، ولا تزال بعض أجزاء السورين الشرقي والغربي ظاهرة، ولكن السور الجنوبي يكاد أن يكون قد تهدم بالكامل، وقد تبين أن الحد الجنوبي للمدينة يتوقف عند قاع قديم لعطفة من نهر قارون. وقد أظهرت الصور الجوية أن المدينة بنيت على الطراز الهلنستي التقليدي، وظهر في هذه الصور عدد من البنايات الكبيرة فيها، كما تبين أن مباني المدينة امتدت على مساحة تزيد عن خمسة كيلومترات مربعة^(٣).

(١) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ١٧.

* لقد تمت الإشارة في الفصل الثاني من هذه الرسالة بشكل تفصيلي لتأسيس المدينة.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٧.

(٣) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٢٣.



صورة رقم (٣٨): صورة جوية لموقع المدينة وإعادة تكوين سورها بالوسائل الرقمية، الطائي، ص ٢٤



صورة رقم (٣٩): صور جوية لموقع مدينة ميسان تظهر فيها المخطط الهلنستي للمدينة القائم على الشوارع

المتقاطعة، وعدد من المباني الكبير فيها، الطائي، ص ٢٦

وبعد التعرف على تأسيسها وموقعها يمكن الحديث عن الأحداث السياسية التي قذفت بها إلى المقدمة. لقد كانت الظروف السياسية التي مرت بها المنطقة دقيقة؛ فزادت من أهمية مدينة الإسكندرية، حيث تولى الحكم فيها رجل يدعى تychon بعد ثورة ملون على حكم أنطيوخس الثالث، وكان رئيساً لأركان

الجيش السلوقي، ويبدو أن تعيين حاكم ذو منزلة عالية يدل على بدء اهتمام السلوقيين بها لما لها من أهمية اقتصادية، وأراد هذا الحاكم أن يعيد سيطرته على طرق التجارة العالمية، وازداد كذلك نشاط الأسطول السلوقي في الخليج العربي بهدف الوصول إلى حرية الملاحة فيه، والمحافظة على الطرق البحرية المؤدية إلى الهند^(١). وقد أعيد بناء هذه المدينة مرة أخرى في عهد الملك السلوقي أنطيوخس الرابع (١٧٥ - ١٦٤ ق.م) وسماها أنطاكية^(٢)، حيث قرر هذا الملك تحسين الوضع الاقتصادي في مملكته فاهتم بهذه المدينة لتكون مفتاح تجارة الهند، لعله يسيطر من خلالها على تجارة الخليج العربي^(٣).

بعد أن استقلت ميسان عن السلطات السلوقية*، لعبت دورا مهما في تجارة الخليج العربي، بوصفها من أهم حلقات الوصل في التجارة الدولية في العصور الكلاسيكية. فكيف استقلت تلك المدينة؟ لقد عيّن الملك أنطيوخس الرابع أميرا عربيا يدعى إسباسيني (Spasini) (Hyspaosines) واليا على مقاطعة البحر الإريتري (الخليج العربي)، وكانت أنطاكية (الإسكندرية سابقا، خراكس لاحقا) عاصمة لهذه المقاطعة، لكن أنطاكية سرعان ما تهدمت بسبب الفيضانات، فما كان من حاكمها إلا أن أعاد بناءها، وصار يعد مؤسسها الثالث^(٤)، ومنذ ذلك الوقت صارت تعرف باسمه خراكس إسباسيني Charax Spasini؛ نسبة إلى إسبأوسينيس؛ الأمير العربي الذي استقل بها، والذي يذكر الصالحي نقلاً عن بلينيوس أنه لقب ملكا، ولم يكن ممثلاً للحاكم السلوقي، وكان عمره آنذاك يتراوح ما بين ٣٠-٤٠ سنة^(٥). ويظهر جليا من اسمه أنه من سكان المنطقة الأصليين، فالمقطع الثاني من اسمه؛ هو اسم الإله سين، (إله القمر المشهور في بلاد الرافدين)، وغالبا ما نجد أسماء أبناء بلاد الرافدين تفتن بأسماء الآلهة الرافدية، كما هو الحال مع أمارسين Amarsin (٢٠٤٥ - ٢٠٣٧ ق.م) وهو ثالث ملوك سلالة أور الثالثة، وابنه شوسين Shusin (٢٠٣٦ - ٢٠٢٨ ق.م)، وابنه أبيسين Ibbinsin (٢٠٢٧ - ٢٠٠٣ ق.م) آخر ملوك سلالة أور الثالثة (ومعنى اسمه سمي الإله سين). لا بل إننا سنجد أن غالبية ملوك ميسان يحملون أسماء بابلية، وإن كانت تكتب بصيغ

(١) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، دراسة تاريخية أثرية، مجلة المورد، الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، ص ٧.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٧.

(٣) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ١٧.

* لقد تمت الإشارة لأهم الأحداث التي عاشتها المدينة في العصر السلوقي في الفصل الثالث من هذه الرسالة بشكل تفصيلي.

(٤) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٧٥.

(٥) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ٧.

إغريقية، والدليل المهم على أصول هذا الأمير المحلية أنه كان يقدم الصلوات والتضحيات إلى معبد مردوك؛ الإله القومي للبابليين^(١).

ويحدثنا بليينيوس بوصف دقيق عن إعادة البناء وأسبابه فيقول: «وعندما تهدمت للمرة الثانية أعاد بناءها إسباوسينيس Spaosines ابن ساجدودوناكوس Sagdodonacus ملك العرب المجاورين الذي ذكر عنه يوبا بالخطأ أنه كان أحد حكام ولايات أنطيوخوس، فقد شيد على ضفتي النهرين سدوداً لحمايتها، وأطلق عليها اسمه. ويمتد طول هذه السدود ستة أميال، وعرضها أقل من ذلك بقليل. وكانت تبعد أول الأمر عشرة استادي من الساحل، وكان لها ميناؤها الخاص بها، ولكن يوبا حدد هذه المسافة بخمسين ميلاً. وفي أيامنا هذه حددت المسافة على يد سفراء العرب، وبتجارنا الذين ذهبوا إلى هذا المكان بمئة وعشرين ميلاً. ولا يوجد مكان في العالم تكونت فيه الرواسب الطينية بالأنهار بسرعة أكبر أو بحجم أكبر من هذا المكان؛ ومما يثير الدهشة أن الفيضانات التي تنطلق لمسافة كبيرة لداخل المدينة لا تحمل لهم مرة أخرى هذه الرواسب^(٢)».

في الواقع لقد حدثت تبدلات سياسية عميقة في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد في منطقة الشرق القديم انعكست بصورة واضحة على منطقة الخليج العربي، حيث استفاد أهل ميسان من ضعف الدولة السلوقية في أواخر حكمها، بسبب ما انتابها من انقسامات، وعمتها الاضطرابات، وتعرضت لغزوات عنيفة، خاصة من الفرثيين الذين ظهروا في منطقة همدان وسيطروا على ما حولها، وزحفوا على العراق ودحروا السلوقيين وطردوهم منه^(٣). استطاع إسباسين أن يحافظ على مدينته بعيداً عن تلك الصراعات والمنازعات وسرعان ما استغلت ميسان موضعها على النهاية الشمالية لخطوط تجارة الخليج العربي، شرق شط العرب، وانتهزت الظرف السياسي الذي كانت تمر به المنطقة وتمكنت من إعلان استقلالها^(٤)، فبعد وفاة أنطيوخس السابع في ربيع سنة ١٢٩ ق.م، نصب هذا الوالي نفسه ملكاً على الولاية، واستقل بها عن الدولة السلوقية، وتمكن من توسيع حدود دولته الجديدة ومد سلطانه على بابل في السنة نفسها، وهكذا يعد

(١) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٠.

(٢) بليينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٣١، الفقرة ١٣٩، ١٤٠.

(٣) العلي، صالح أحمد (٢٠٠٠م)، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ص ٦٥.

(٤) Salles, J-F., (1990) The Periplus of the Erythraean Sea and the Persian Gulf, Seminar: India and the Roman world, 1st – 4th cent. A.D. Madras, 20-21 Dec., p.2.

إسباسين مؤسس أسرة حكمت ميسان لقرون. وكانت مملكة ميسان تضم مدنا أخرى غير العاصمة خراكس، هي فرات وأفاميا وكان ميناؤها الرئيسي هو ميناء أبولوجوس^(١).

كان أول خطر واجهته الإمارة العربية حديثة الاستقلال؛ هو حدوث نوع من التفاهم ما بين الفرثيين والسلوقيين في عهد الملك الفرثي ميثرادادس الأول (Mithradates I ١٧١ - ١٣٨ ق.م)، ما أتاح المجال له ليضم سوسا وميديا ويهدد ميسان^(٢)، لكن لا تسعفنا المصادر في توضيح علاقات ميسان مع الفرثيين خلال هذه الفترة في التحديد، وربما أن الفرثيين بقيادة ميثرادادس الأول قد أحجموا عن قتال ميسان، لأن الجيش الفرثي المكون من الفرسان، كان من الصعب عليه التقدم وخوض الأهوار في الطريق إليها، وتسارعت الأحداث بعد موت ميثرادادس، وخاصة بعد الأفعال الاستفزازية للإنسانية، التي قام نائب الملك المدعو هيمروس Himeros الذي عينه الملك الفرثي فراتيس الثاني (١٣٨ - ١٢٧ ق.م) سنة ١٢٩ ق.م، ضد سكان مدن بلاد الرافدين، مما حدا بالملك إسباسين أن يهاجمه وينتصر عليه، ويعلن نفسه ملكاً على بابل في سنة ١٢٨ ق.م، وما يدعم ذلك هو المعلومات التي دونت على رقيم طيني عثر عليه في بابل، يعود تاريخه إلى سنة ١٢٧ ق.م^(٣). كما قام هذا الملك العربي بشن حرب على جبهة العيلاميين، إذ استطاع أن يجتاحهم ويهزمهم قائدهم بتتيت Pettit، ويخرب مدينة عيلام نفسها^(٤).

وإمعاناً في تأكيد استقلاله، قام هذا الملك بضرب نقود خاصة به، جيدة الصنع في دور ضرب النقود في عاصمته خراكس^(٥)، حيث ظهرت أولى النقود باسمه سنة (١٢٤-١٢٣ ق.م)، مضروبة من الفضة، وتزن أربعة أضعاف الدراخمة (أي أها تترادراخمة)، نُقش على وجهها صورة الملك وهو حليق اللحية وشعره قصير، وعلى ظهرها نُقشت صورة هرقل وهو جالس على كرسي، ومستريح بعد عناء ومشقة، وهي تشبه نقوده الأخرى التي ضربت هناك خلال السنوات التالية ١٢٢-١٢٠ ق.م، وتعد دليلاً على أنه كان المنافس الطموح للفرثيين، وأنه كان ملكاً ثرياً وعظيماً. كما وصلت نقود إعلامية لهذا الملك مخلده عليها انتصاراته العسكرية في عيلام وانتصاراته في بابل على السلوقيين^(٦).

(١) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٧٥.

(٢) العنبي، نوره صالح محمد (٢٠١٨م)، علاقة الجزيرة العربية، ص ١٩.

(٣) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ٨.

(٤) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٤١.

(٥) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ٨.

(٦) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٢.



صورة رقم (٤٠): قطعة نقدية فضية من فئة الأربعة دراخمة تظهر عليها صورة إسباسين حليق اللحية وشعره قصير، وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي، وتؤرخ هذه القطعة بنحو سنة ١٢٤ ق.م. الطائي، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٢

لقد استمر إسباسين بالسيطرة على بابل حتى سنة ١٢٤ ق.م، عندما استعاد منه الملك الفرثي أرتبان الأول (١٢٧-١٢٤ ق.م) مدينة سلوقية وإقليم بابل^(١). وبعد أن تمكن الملك الفرثي ميتراداتيس الثاني Mithradtes II (١٢٣-٨٨ ق.م) من توطيد السلطة الفرثية -حيث استعادت الدولة الفرثية شيئاً من عافيتها في عهده- توجه إلى إسباسين ملك ميسان، وهزمه، ثم تركه يحكم منطقة ميسان تحت النفوذ الفرثي. وهكذا خضع ملوك ميسان في أغلب فترات حكمهم للنفوذ السياسي الفرثي، وفي المقابل منح الفرثيون الاستقلال الذاتي لميسان؛ من حيث أحقية ملوكها في سك عملاتهم الخاصة بهم، وحرية في التعاملات التجارية الواسعة مع منطقة الخليج العربي، وتدمير، والرومان، والهند، ولكن كانوا يتدخلون أحياناً بشكل مباشر في شؤون هذه الدولة^(٢). وتتابع من بعده الملوك يسكون النقود؛ على أحد وجهيها صورة لرؤوسهم، تتجلى فيهم سحتهم العربية وأزياؤهم العربية، وعلى الوجه الآخر صور ترمز للآلهة اليونانية، وعلى تلك النقود كتابات بالإغريقية، تعبيراً عن تأثرهم بالثقافة الإغريقية، ومن هذه النقود عرفت أسماء ملوكهم، وأغلبها أسماء عربية، أو محرفة عنها^(٣). ورغم أن لهذه الدولة عملتها الخاصة، رمزا لسيادتها واستقلالها، إلا أنها لم

(١) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ٨.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٧٥. وانظر: العتيبي، نوره صالح محمد (٢٠١٨م)، علاقة الجزيرة العربية، ص ٢٠.

(٣) العلي، صالح أحمد (٢٠٠٠م)، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٦٥.

تجد حرجا من أن تسمح بتداول عملات البلدان الأخرى بها بما يتلاءم مع مركزها في التجارة الدولية^(١). وقد استمرت هذه الإمارة العربية مستقلة على هذا النحو حتى نهاية القرن الثاني بعد الميلاد^(٢).

أما عن **البنية الديموغرافية** لهذه المملكة؛ فقد انتقلت إلى هذه المنطقة (شط العرب والساحل الشمالي للخليج العربي) قبائل عربية قدمت من الجزيرة العربية مدفوعة بالجفاف والقحط في أزمان متعاقبة، ونصب سادتها أنفسهم عمالا عليها منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وتدل أسماء أولئك العمال على أن أصحابها كانوا من أصل عربي صميم، وأن الأسر التي كونوها هي أسر عربية، نستدل على ذلك من أسماء ملوكها الأوائل، والمعروف أن الملوك المتأخرين يتأثرون عادة بتيارات عصرهم الاجتماعية وبرسومه وعاداته، فاتخذ هؤلاء الأمراء والعمال العرب أسماء يونانية أو سريانية أو فارسية تظهر وكأنهم من أصل يوناني أو سرياني أو فارسي، في حين أنهم من أصل عربي ولهذا كانت لأسماء مؤسسي الأسر أهمية كبيرة في إثبات أصل الأسرة. ولقد استغل العرب هذا الموقع المميز والطرق التجارية المارة فيه، وجنوا من الضرائب التي فرضوا عليه أرباحا كبيرة، ولاسيما أن أهمية هذه الرقعة الجغرافية تدعمت بأهمية سياسية، كإمارة فاصلة واصله بين الرومان والفرس^(٣).

ولما كانت هذه المملكة مملكة تجارية بامتياز فقد انعكست علاقاتها التجارية الدولية على بنيتها الديموغرافية؛ حيث استقرت في عاصمتها، فضلا عن سكانها الأصليين، جاليات من تدمر، ومن الأنباط، ومن الآراميين، والكلدانيين، والبابليين، واليونان، والرومان، والهنود، ومن العرب المختصين بطرق الصحراء ومسالكها، ويبدو أن استقرار مثل هذه الجاليات كان للأغراض التجارية أنفة الذكر، إذ كانت هذه المدينة أحد أهم المراكز التجارية مع الهند، حيث كانت السفن القادمة من الهند تفرغ فيها حمولاتها في مينائها الشهير أبولوجوس، أو في **جزيرة الخارج** * التابعة لها، كما كانت السفن التجارية تنطلق منها باتجاه الهند، وقد جنى سكان مملكة ميسان من هذه التجارة أرباحا كبيرة^(٤)، لاسيما بعد أن اشتدت المنافسة بين تجار تدمر وتجار

(١) العبادي، أحمد صالح (٢٠١١م)، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وبلاد الهند في العصور الهلنستية والرومانية، مجلة الوثيقة، المجلد ٣٠، العدد ٦٠، البحرين، المنامة، ص ١٠٥.

²) Salles, J-F., (1990), Op. Cit., p.2.

(٣) طقوش، محود سهيل (٢٠٠٩م)، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص ٣٣٢.

* كانت **جزيرة خارج** محطة تجارية متقدمة في الخليج العربي، وكانت تحت إشراف مملكة ميسان، وعثر فيها على ختم ميساني يحمل صورة رأس لأحد الملوك الميسانيين، انظر: صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٨٧.

(٤) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، الصلات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٥.

الأنباط على سلعها الهندية، حيث كان التجار الأنباط يقومون بنقل تلك السلع إلى البتراء لإعادة تصديرها إلى الغرب الروماني^(١)، وما زاد من تلك الأرباح أن فرض تجارها ضريبة على حركة البضائع في أسواقها، كما فرض ملكها ضريبة على جميع البضائع المارة بأراضي مملكته، مقابل أمن الحمولة والتجار الأجانب^(٢). وحرصا في الحفاظ على موارد هذه التجارة؛ قام ملوك ميسان بحماية الطرق البحرية في الخليج العربي، أو تسيير السفن فيه، ومما يشير إلى ذلك أنه وجدت على العملات البرونزية لأبو داكوس Apodakos ثاني ملوك ميسان، صورة لسفينة شراعية، وشكل السفينة يوحي أنها بحرية، ولا يمنع أن تكون تجارية أيضا^(٣).

لقد تسلم هذا **الملك (أبو داكوس)** الحكم بعد أبيه إسباسين في سنة ١٠٩ ق.م، بعد أن توفي عن عمر ناهز الـ ٨٥ سنة، واستدل على كونه ابن إسباسين أنه ظهر على العملات بشكل شبيه بشكل أبيه (الملك إسباسين). لقد عرف هذا الملك الجديد بولعه بالشؤون البحرية، حيث أنشأ أسطولا حربيا استخدمه لحماية التجارة في الخليج العربي، ويستدل على ذلك أنه قام بسك نقود برونزية تظهر عليها صورته في مقدمة سفينة بحرية؛ على هيئة رأس كبش لإتلاف سفن العدو، وكذلك ظهرت السفن على عملاته وهي تحمل منجنيق، مما يدل على أنها سفينة حربية استخدمت ضمن الأسطول الحربي لحماية التجارة. وفي عهده احتلت ميسان مركزاً أساسياً في التجارة بعد أن استتب الحكم للفرثيين في العراق، وخاصة في التجارة مع الهند والشرق الأقصى، ولذلك ليس بغريب أن يهتم أبو داكوس ببناء هذا الأسطول، وهذا ما تأكد من خلال جهوده المبذولة لبعث التجارة وحمايتها، ومن جملة إشارات متنوعة عن علاقات طيبة وجيدة خلال مدة حكمه؛ بين مملكة ميسان والصين، حيث استقبلت ميسان عدداً من الوفود الصينية، كان من بينها الوفد الذي أرسله الامبراطور الصيني (هو Ho)، بقيادة الجنرال (بانشو Panchoo)، وقد تعرف هذا الجنرال على أهمية ميسان بوصفها مركزاً تجارياً مهماً في المنطقة، وعلى تنظيم الشؤون التجارية فيها، وربما يعود اهتمام الصين بها لأن أهلها كانوا وسطاء بين روما والصين، وقد تأكدت تلك السفارات من مجموعة من اللقى الأثرية تكاد تكون غريبة لأنها تحمل رموزاً كتابية بالأحرف الصينية^(٤). ومن أهم ما ترك لنا هذا الملك (أبو داكوس) مجموعة من النقود التي ظهرت صورته عليها؛ جالسا بوضع جانبي، ويضع التاج على رأسه، وهو

(١) العبادي، أحمد صالح (٢٠١١م)، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وبلاد الهند، ص ١٠٥.

(٢) Salles, J-F., (1990), Op. Cit., p.14.

(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٧٩.

(٤) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٣، ٤٤.

حليق اللحية، وعلى الظهر صورة هرقل جالساً على كرسي، ويمسك بيده عصا وحوله كتابة تقرأ فيها: «الملك أبو داكوس»^(١).



صورة رقم (٤١): قطعة نقدية تظهر عليها صورة أبو داكوس حليق اللحية وشعره قصير، وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي. الطائي، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٤

وهكذا امتد نفوذ ميسان منذ الثالث الأخير من القرن الثاني ق.م، على كامل مياه الخليج العربي، بوصفها وريث السلوقيين الشرعي، وحليف الفرثيين السياسي، والأهم من هذا وذلك أن ملوكها من أبناء المنطقة الأصليين، ويدل على ذلك النفوذ النقش القرباني الذي عثر عليه في موقع الشاخورة* وهو يشير صراحة أن جزيرة تايوس كانت تخضع لسلطة الملك إسباسيني. أما النقش الثاني فهو مدون على حجر رملي جيري، وهو عبارة عن شهادة قبر من موقع الشاخورة أيضاً، وترجمته: «أويديساروس بن أويديساوس، الإسكندراني و.... (السنة) ١٩٥». وتوجد صعوبة كبيرة في ترجمة هذا النص نظراً لعدم وضوح بعض كلماته. وترد في النص لفظة kubernetes وربما هي اللفظة اليونانية المقابلة للكلمة المستخدمة في العربية: نوخدة. وهو اسم سامي الأصل ربما هو «إيشار» أحد المعبودات في مملكة الحضر، وهو اسم مركب من كلمتين «عويض - إيشار» بمعنى «إيشار يحميني» أو «إيشار الحامي». ويحتمل أن يكون «عويد» أو «عويضة». وكونه إسكندراني ليس بالضرورة الإسكندرية في مصر، وربما هي الاسم القديم لميسان، أو ربما هي الإسكندرية على البحر الإريتري، وربما كان صاحب هذه الشهادة من

(١) القيسي، ناهض عبد الرزاق دفتر (تشرين الأول ٢٠١٨)، وحسن (سهيلة)، النقود البارثية ومملكة ميسان (خاراكس) ٢٤٥ ق.م - ٢٢٤ ميلادية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦٦، ص ١٠.

* جرى الحديث عنه بصورة مفصلة في الفصل الثالث.

الجرهاء أو من ميسان أو من البحرين نفسها، ولكن يجيد اللغة اليونانية، ويؤرخ النص بحدود القرن الثاني أو بداية القرن الأول ق.م، ووجود كتابات بالغة اليونانية في جزر البحرين يشير إلى معرفة السكان بهذه اللغة. وربما أن جالية يونانية قد توطنت في هذه الجزيرة، وكانت تعمل في التجارة بين منطقة الخليج العربي وبلاد الرافدين من جهة، وبلاد الهند من جهة ثانية^(١).

في الواقع لقد صنعت سيطرة ميسان على البحرين تراثا فكريا ضئيلا، لكنه هام؛ ف أثناوس Athenaius الذي عاش في القرن الثاني يذكر في كتابه مآدبة السفسطائيين Deipnosophistai مقطعا مطولا يصف فيه فرثيا بالتفصيل، حرره إيزدوروس الخاركسي، الكاتب الميساني الشهير، وتحدث فيه عن صيد اللؤلؤ في مياه تلّوس/ أوس أو تيلس، واقتبسته كاملا؛ نقلا عن دانيال بوتس: «يقول إيزدوروس الخاركسي في وصف فرثيا: تقع إحدى الجزر في الخليج الفارسي الذي يعثر فيه على كثير من اللؤلؤ، وتحيط بها أطوال مصنوعة من القصب يغطس منها الغواصون في البحر حتى عمق ٢٠ قامة، ويجلبون من قعره محاراً تتألف الواحدة منه من صدفتين. ويزعمون أن المحارة تنتج أصغر الصدف، عندما تكثر العواصف الرعدية والأمطار الغزيرة، ويحصلون منها على معظم اللآلئ وأجودها وأكبرها، في الشتاء يغور المحار عادة في ثقب صخر البحر، بينما يسبح هنا وهناك طيلة الليل فاتحا صدفتيه، ومغلقا إياهما في النهار. وعندما يلتصق المحار بالحجارة والصخور في وقت هيجان الأمواج، يترسخ ثم يتثبت، وينتج اللآلئ، التي تنشأ من شيء عالق في لحمه، يتغذى به. وتنمو في فم المحارة وتمتلك مخالب تدخل به الغذاء، وتشبه السرطان الصغير، وتسمى "حارس المحار" ويغرز لحمها كالجذر وسط الصدفة. وتتكون اللؤلؤة قربه، وتتشكل في الجزء الصلب من الصدفة وعندما يحيط اللحم باللؤلؤة، يتوقف نموها، ويحبوها القمر مزيدا من الشفوف والصفاء. وعندما يعيش المحار في قعر البحر ينتج أصفى اللآلئ وأكبرها، إلا أن العائم منها على وجه الماء يتج لآلئ صغرى رديئة اللون، لأن أشعة الشمس تؤثر فيها. ويتعرض غواصة اللؤلؤ إلى الخطر عندما يمدون أيديهم مباشرة إلى المحارة المفتوحة لأن انفراج صدفتها يطبق على أصابعهم في الغالب وقطعها، فيهلكون في مكانهم أحيانا، إلا أن الغواصين الذين يقتلعونها يمدون أيديهم تحتها من جهة واحدة، فينتزعون الأصداف بسهولة من الصخور^(٢)».

(١) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٨٦.

(٢) مآدبة السفسطائيين، ٣، ١٤٦. نقلا عن: بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٨١، ٨٨٢.

لقد حرص أهل ميسان على إنماء تجارتهم مع تدمير ومدن بلاد الشام، وكانت هذه التجارة قد ازدادت أهميتها بعد استقرار الدولة الرومانية، أدرك أهل ميسان ما يجنونه من هذه التجارة، ومن ضعف خطر الرومان عليهم، فوطدوا علاقاتهم مع الجرهاء ومع البحرين، ومع تدمير في بلاد الشام، وعنوا بتحسين الطرق، ووضعوا لها المنارات، لإرشاد القوافل. كما وضعوا حاميات على هذه الطرق التجارية. وبذلك لم يتضعض أهل ميسان من الاضطرابات التي واجهها الفرثيون في أواسط العراق^(١).

لقد وصلت علاقتها الاقتصادية والدبلوماسية شرقاً حتى الصين، حيث زارها الرحالة الصيني كان ينك Kan Ying سنة ٩٧م، مبعوثاً من الزعيم الصيني (بان جاو) (Pan Tchao) من سلالة هان للاتصال بالإمبراطورية الرومانية^(٢)، ووصفها في كتابه رحلة حول البحر الكبير^(٣)، حيث يسميها مدينة تياوتشي Tiao-tche، ويصفها بأنها «تقع فوق الجبال، ويبلغ طول محيطها أربعين (لي) ونيف، وتطل على البحر الغربي، فتحيطها الشواطئ المتعرجة من ثلاث جهات؛ جنوباً وشمالاً وشرقاً، بينما كانت الزاوية الشمالية الغربية متصلة بالبر، وجوها يميل إلى الرطوبة، وفيها من الحيوانات الأسد ووحيد القرن والجمل ووحيد السنم والطاووس وطائر ضخم بيضه كبير كالإبريق [ربما النعام]، والمسافر ينطلق منها على ظهر الخيل باتجاه الشمال ثم يتحول جهة الشرق فيصل خلال ستين يوماً أو أكثر إلى آنشي التي تخضع لحكم تياوتشي، فهناك مقر كبار القادة، حكام تياوتشي، حيث كانوا يفرضون الرقابة على المدن التابعة لهم^(٤)»، وقد رغب هذا المبعوث في ركوب سفينة توصله إلى الامبراطورية الرومانية، ولكن البحارة أقنعوه بعدم الاقدام على مثل هذه الخطوة، والقيام بهذه الرحلة، لما يتخللها من أخطار؛ من بينها أن كانت الرياح إذا كانت غير مواتية، فإن الرحلة قد تستغرق سنتين، وأخبروه ببعض القصص عن موت بعض الرجال من حنينهم إلى الوطن، بسبب طول الرحلة، ويبدو أن لتجار ميسان الدور الأكبر في ترويج مثل هذه القصص حيث أرادوا أن يظلوا وسطاء بين روما والصين^(٥). وأخيراً رغم عدم دقة الأوصاف التي قدمها الكاتب الصيني إلا أن إيراد ميسان في

(١) العلي، صالح أحمد (٢٠٠٠م)، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٦٦.

(٢) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٣.

(٣) العبادي، أحمد صالح (٢٠١١م)، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وبلاد الهند، ص ١٠٦.

(٤) Hourani. G. F., (1951) Arab Seafaring in The Indian Ocean In Ancient and Early -Medieval time., Princeton, pp.13-15.

(٥) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٣.

الكتابات الصينية وزيارة البعثات الصينية لها؛ يعبر عن مدى الأهمية الاقتصادية التي أولتها الصين لمنطقة الخليج العربي^(١).

وفي عهد ملكها الثالث تيراريوس الأول (Tirairous I) (٩٠ - ٧٨ ق.م) شهدت ميسان تطورات اقتصادية مهمة فالطريق التجاري الذي يمتد من موانئ الخليج العربي، والمحاذي لنهري دجلة والفرات، كان طريقاً سهلاً ومريحاً للقوافل التجارية، وكذلك كان الطريق النهري، ولكن الأحداث التي شهدتها سورية في القرن الأول ق.م، حيث كانت الإمبراطورية السلوقية تلتظ أنفاسها الأخيرة، ما أدى إلى شيوع الفوضى فيها، وكان مدعاة لتدخل القوى الأجنبية. وقد تزامن اضطراب الأمن في سورية مع اضطراب الأمن في فارس، حيث تنازعت طبقة النبلاء على العرش. وهذا ما دعا تجار الخليج العربي إلى تغيير وجهتهم باتجاه بلاد الأنباط، رغم أن هذا الطريق الصحراوي كانت تحف به المخاطر، وقد عمد الأنباط إلى العناية بهذا الطريق عن طريق حفر الآبار، وتشديد الخزانات، وإقامة مراكز الحماية^(٢). وكان الأنباط في هذه الفترة، في ظل سلطان ملكهم الحارث الثالث (٨٧ - ٦٢ ق.م) قد وصلوا إلى ذروة مجدهم، حتى إن أهل دمشق دعوهم ليدخلوا مدينتهم سنة ٨٥ ق.م^(٣).



صورة رقم (٤٢): قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة تيراريوس الأول وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي.
انظر: الطائي، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٦

(١) البكر، منذر عبد الكريم (١٩٨٦م)، دولة ميسان العربية، مجلة المورد، الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، العراق، بغداد، ص ٢٥.

(٢) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٥.

(٣) عاقل، نبيه (١٩٨٣م)، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، مطبعة الداودي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ص ١٠٦.

تسلم الحكم بعد وفاة الملك تيراريوس الأول ابنه تيراريوس الثاني (٧٧ - ٤٧ ق.م) وقد شهد عصره استمرار العلاقات التجارية مع الأنباط، بالوتيرة ذاتها التي كانت عليها الأمور أيام والده^(١)، حتى سنة ٦٤ ق.م، التي كانت هذه السنة حاسمة في تاريخ المنطقة، حيث سقطت سوريا بيد الرومان، وحاول الرومان مد نفوذهم على منطقة شرق الأردن، إلا أنهم اصطدموا بقوة الأنباط، ورغم عجز الرومان عن السيطرة على بلاد الأنباط، إلا أن نفوذهم تقلص، وتراجعت تجارتهم، وتحولت سياسة ملوكهم إزاء هذه القوة الدولية الطارئة على المنطقة إلى حماية ممتلكاتهم وصون استقلالهم من الغزو الخارجي^(٢). وهكذا تحولت علاقات الخليج العربي التجارية إلى الرومان مباشرة، بوصفهم المسيطرين على كامل موانئ البحر المتوسط.



صورة رقم (٤٣): قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة تيراريوس الثاني وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي. انظر: الطائي، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٨.

أما في عهد الملك أتامبليوس الأول Attambelos I (٤٤ - ٢٤ ق.م)، واسمه آرامي يعني تيم بعل، أعلن ميسان عن إقامة علاقات تجارية مع الرومان، لا بل إن ملكهم لُقّب بلقب «فيل-روماني Phil-romai» أي محب الرومان، وتحالف معهم في المناوشات التي دارت بينهم وبين الفرس خلال سنوات (٥٣ - ٣٣ ق.م)، وأسهم في إذكاء نار الفتنة التي كانت تعصف بالعرش الفرثي، لكن الأمور لم تجر على ما يشتهي الرومان، وصدقهم أتامبليوس، حيث فشل تيراداتس الثاني؛ المنافس الذي كانوا يدعمونه، مقابل انتصار أفراطس الرابع. وقد أسهم كل هذا في تراجع اقتصاد ميسان واضراب تجارتها، حتى أن النقود التي ضربها اتصفت بالرداءة.

(١) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٧.

(٢) عاقل، نبيه (١٩٨٣م)، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، ص ١٠٧ - ١٠٨.

استمرت الأمور على حالها في عهد خليفته ثيونيسيوس الأول (Theonesios I) (٢٤-١٧ ق.م) حيث تعطلت
تجارة ميسان متأثرة بالتنافس على العرش الفرثي^(١).



صورة رقم (٤٤): قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة أتامبليوس الأول وعلى الظهر تظهر صورة هرقل وهو جالس على كرسي.
انظر: الطائي، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٩.



خريطة رقم (١٤): مملكة ميسان انظر: الطائي، أسرار نخلة ميسان، ص .

(١) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٤٩.

ثانياً: الرومان والخليج العربي:

تجدر الإشارة إلى خطأ الفكرة الشائعة بأن الرومان لم يهتموا بطريق الخليج العربي التجاري، حيث لم يكن يعني لهم كثيراً ما داموا وضعوا يدهم على بلاد الأنباط منذ أن احتلها الإمبراطور تراجان Trajan سنة ١٠٦م، وسيطروا على موانئ البحر الأحمر، وبالتالي سيطروا على أهم الطرق التجارية^(١)، وأخذت السفن الرومانية تجوب البحر الأحمر والمحيط الهندي ذهاباً وإياباً دون حاجتها إلى وساطة العرب، وقد تحقق للرومان ذلك بعد أن استدل الملاح اليوناني هيبالوس Hippalus من تعلم فن الملاحة المباشرة في المحيط الهندي من بلاد العرب إلى الهند بمساعدة الرياح الموسمية الجنوبية والغربية التي تهب في الصيف، وإن هذا الاكتشاف أدى إلى تغيرات كبيرة في حجم وتنظيم وتسيير تجارة المحيط الهندي^(٢). والنقود الرومانية الموجودة في الهند وسيلان تشير إلى قيام علاقات تجارية مهمة بين الإمبراطورية الرومانية وشرق آسيا (في عهد الأباطرة الرومان الأوائل)، إلا أن الخليج العربي لم يلعب دوراً مهماً فيها^(٣).

مع الأخذ بعين الاعتبار جميع المعلومات المتقدمة، تشير المصادر إلى أن هناك علاقات وصلات دبلوماسية بين الهند والرومان، حيث قدم وفد من مدينة بريجازا Barygaza * إلى الرومان سنة ٢٦ ق.م؛ وكانت هذه المدينة تحكم من قبل سلالة ملوك ساكاس Sakas، وامتد حكمها ليشمل معظم الهند، وقد استقبل أغسطس Augustus (٢٧ ق.م - ١٤م) هذا الوفد في إسبانيا حيث كان يقوم بحملة فيها، وقد التمس الوفد الهندي من هذا الإمبراطور صداقة الرومان، حيث كانت بلاد الهند مهددة من الفرس الفرثيين، ولما كان الهنود يعتقدون أن الرومان يحضرون لغزو بلاد فارس، سارعوا لعقد تحالف عسكري مع الرومان موجه ضد الفرس، حتى إن السفراء الهنود أثتوا على الإمبراطور الروماني وقارنوا بينه وبين مجد الإسكندر، في إشارة إلى غزوه للإمبراطورية الأخمينية وهدمها. هذه السفارة أرسلت من قبل الملك الهندي Azes آخر ملوك سلالة Saka الهندية، علماً أن هذه السلالة كانت متأغرة، حتى إن الملك Azes أصدر عملة هندية

¹⁾ Blázquez Martínez & José María., (2006) Op. Cit., pp.19, 20.

^(٢) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي، ص ١٠.

³⁾ Blázquez Martínez & José María., (2006) Op. Cit., p.20.

* هو ميناء بهروش Bharoch، وعرف في الأدب الهندي القديم باسم بهاروكاشا Bharukachha وكان الميناء يرتبط بمدينة تاكسيلا Taxila في شمال غرب الهند بطريق بري، وقد خدم هذا الميناء مدينة Minnagara التي كانت عاصمة للمملكة الملك Saka الهندي. كما كان هذا الميناء يرتبط مع وسط الهند بطريق آمنة، وقد اجتمعت في هذا الميناء سلع متنوعة مثل بخور ولبان شبه الجزيرة العربية والمنسوجات الهندية والصينية والخمور الرومانية والذهب والفضة والأحجار الكريمة، ووصلته سفن تجارية قادمة من بلاد العرب، وشرق إفريقيا، والخليج العربي. انظر: صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٦٢.

عليها صورة الربة أثينا، ودون على تلك النقود عبارات يونانية مثل «ملك الملوك العظيم». كما أن هناك سفارة ثانية أرسلها الملك الهندي ذاته سنة ٢٢ ق.م إلى الرومان، وتجدر الإشارة إلى أن سفراء الملك Azes وصلوا إلى أراضي الإمبراطورية الرومانية عبر مياه الخليج العربي، ومنه سافروا برا إلى ولاية سورية الرومانية، ومنها إلى جزيرة ساموس Samos حيث كان أغسطس موجودا فيها لاستقبال سفراء البعثات، ولم يعد سوى ثلاثة أفراد من هذه البعثة إلى الهند، حيث قضى البقية نحبهم على الطريق بسبب عدم تحملهم عناء السفر ومشقته عبر هذا الطريق الطويل^(١).

لقد حمل السفراء الهنود الذين مثلوا أمام الإمبراطور أغسطس رسالة خطية باللغة اليونانية مدونة على لفافة بردي من الملك Azes، وقد وضح فيها هذا الملك أن هناك نحو ٦٠٠ أمير في شمال الهند مستعدون للانضواء تحت راية أغسطس متى قدم إلى الهند، وأنهم متلهفون للقتال معه ضد الفرس، الذين أوشكوا أن يحتلوا أملاكهم، واقترح الملك الهندي على أغسطس ميثاق تحالف عسكري شبيه بالميثاق الذي وقعه الإسكندر مع الملك الهندي بوروس Porus، وعرض الهنود على أغسطس حرية الحركة في بلادهم، وأعلنوا استعدادهم للتعاون معه في أي مطلب شريف. وقد قبلت معاهدة الصداقة من الملكين، لكن أغسطس خلال هذه المرحلة بالذات بدأ بمفاوضات السلام مع الفرس، وألغى خطته لأي حروب شرقية أخرى^(٢).

كما تشير المصادر إلى أن هناك علاقات وصلات دبلوماسية بين روما وأحد ملوك الخليج العربي وهو ملك مملكة ميسان الملك أتامبيلوس الثاني Attambelos II (١٧ ق.م - ٨م) حيث تم أول اتصال مباشر للرومان بمنطقة الخليج العربي، وكان ذلك في حدود سنة (١ ق.م - ٤م) عندما تم اختيار جايوس قيصر Caius Caesar، حفيد أغسطس وابنه بالتبني لرئاسة بعثة خاصة لتنظيم علاقات روما مع الشرق^(٣)، ويبدو أن هذه الخطوة التي قام بها أغسطس لم تكن ارتجالية، بل مدروسة وبعمق؛ فقد كلف أغسطس أحد ملوك المغرب العربي وهو يوبا الثاني Juba II بتأليف كتاب عن شبه الجزيرة العربية، حتى يستعين به جايوس قيصر أثناء وجوده في الجزيرة العربية، وحتى تتدارك من خلاله السلطات الرومانية الإخفاقات التي منيت بها في حملة إيلبيوس جالوس سنة ٢٤ ق.م على اليمن^(٤)، وعندما وصل جايوس إلى

^{١)} McLaughlin, R., (2014) The Roman Empire and the Indian Ocean., The Ancient World Economy and the Kingdoms of Africa, Arabia and India., Great Britain, 2014, p.157.

^{٢)} Ibid, p.158.

^(٣) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٥٢.

^(٤) مضوي، خالدية (سبتمبر ٢٠١٧م)، جوانب من تاريخ جزيرة العرب قبل الإسلام، كتاب أرابيكا للملك الموريطاني يوبا الثاني (٢٥ ق.م - ٢٣ ق.م) مجلة كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد ٣٧، ص ١٠٠.

الشرق واتصل بجغرافي يدعى ديونسيوس Dionysius من مدينة خراكس (عاصمة ميسان)، وهو كاتب روماني من أصل إغريقي ويعرف باسم ديونسيوس الهليكاناسوس Dionysius of Halicarnassus (٦٠ ق.م - ٧م) من بين كتاباته الآثار الرومانية Roman Antiquities. ويذكر بلينيوس أن هذا الجغرافي كان قد انتهى من كتابة وصف للكرة الأرضية، لذلك قام بإعداد كراس لمساعدة المبعوث الروماني احتوى على معلومات جغرافية وتاريخية عن المنطقة. وذكر بلينيوس أيضا بأن الرومان قد حافظوا على علاقات سياسية واقتصادية جيدة مع دولة ميسان؛ لأنها كانت المسيطر على طرق التجارة التي تزود الأسواق الغربية بالبضائع الهندية والعربية^(١).



صورة رقم (٤٥): قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة أتامبليوس الثاني. انظر: الطائي، أسرار ميسان، ص ٥٣.

وإنما يؤكد هذا الرأي هو دليل أثري مؤداه أن حوالي نصف العملة الرومانية التي وجدت بالهند ترجع إلى عهد كل من الإمبراطورين أغسطس وخليفته تيبيريوس Tiberius (١٤ - ٣٧م) [٨٠ % منها فضية و ٢٠ % منها ذهبية]، ومعنى هذا أن التجارة الرومانية مع الهند قد نشطت نشاطا كبيرا خلال هذه الفترة، وغني عن البيان أن نقطة الوسط في طريق التجارة بين روما والهند تشغلها سواحل شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يدل على أن روما إن لم تكن قد وضعت المنطقة تحت نفوذها، تكون قد حصلت على تسهيلات تجارية كبيرة عبر موانئها^(٢). وما يوحي بذلك هو مجموعة من اللقى والشواهد الأثرية؛ منها قطعة معدنية رومانية عثر عليها في موقع الدور/ عمانا^(٣)، تعود لعهد الإمبراطور الروماني أغسطس (قطعة واحدة)، ولعهد الإمبراطور

(١) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٥٢. وانظر: بلينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٣١، الفقرة ١٤١.

(٢) مضوي، خالدية (سبتمبر ٢٠١٧م)، جوانب من تاريخ جزيرة العرب قبل الإسلام، ص ١٠١.

(٣) Potts, D.T., (2001) Before the Emirates :an Archaeological and Historical Account of Developments in the Region c. 5000 BC to 676 AD., p.55.

الروماني تيبيريوس Tiberius (ثلاث قطع)^(١)، كما عثر البرتغاليون في القرن السابع عشر الميلادي (١٦٠١م) على كنز من المسكوكات الذهبية لهذا الإمبراطور الروماني في منطقة صحار Sohar في عُمان*. وهذا شاهد على حجم تغلغل الرومان في منطقة الخليج العربي^(٢).

كما لم تنقطع البعثات الدبلوماسية للخليج العربي، والتي أخذ يرسلها الأباطرة الرومان الذين تعاقبوا على الحكم، حيث عثر على كتاب في معبد الرب بعل في تدمر يشير إلى قام جيرمانيكوس Germanicus (ممثّل الإمبراطور الروماني في بلاد الشرق) بإرسال سفارة إلى الخليج العربي - ميسان نحو سنة ١٨ / ١٩ ق.م^(٣)؛ وقام بهذه السفارة تاجر تدمري عربي اسمه الاسكندر، ولا شك أن اختيار الرومان لرسول من تدمر للقيام بهذه المهمة إنما يعبر عن مدى متانة العلاقات بين تدمر وميسان^(٤). وقد اتصل هذا الرسول بملك مملكة ميسان عبد نرجال Abdi Nergal (١٠ - ٣٦م)، وقد وجد هذا الرسول أن دولة ميسان مستقلة؛ أي لا يوجد أي تأثير للدولة الفرثية عليها^(٥).



صورة رقم (٤٦): قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة عبد نرجال. الطائي، أسرار نخلة ميسان، ص ٥٥.

¹⁾ Haerinck, E., **Internationalization and Business in Southeast Arabia during the Late 1st century B.C./1st Century A.D.**: Archaeological Evidence from Ed-Dur (Umm al-Qaiwain, U.A.E.), p.203.

* لقد اكتسبت صحار أهميتها من موقعها في خليج عمان على الطريق البحرية الواصلة بين الخليج العربي وحضرموت ومنها إلى بلاد اليمن، انظر: صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٤٤.

²⁾ Haerinck, E., (1998) **International contacts in the southern Persian Gulf in the late 1st century B.C. / 1st century A.D.**, Iranica Antiqua, vol. XXXIII., p.291.

^(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٥٨.

^(٤) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٦٢.

^(٥) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٥٤.

كما أن المصادر الكلاسيكية نقلت لنا صور براقة عن الأوضاع الاقتصادية المزدهرة التي شهدتها موانئ بلاد العرب بسبب الإقبال المتزايد على السلع العربية النفيسة؛ كاللبان، والمر، والعطور، والتوابل^(١)، بينما صدر الرومان المنسوجات والألبسة والنبذ الإيطالي إلى الهند عبر موانئ الجزيرة العربية، وقد لاقى هذا النبذ رواجا كبيرا في الهند، بالإضافة إلى نوع آخر من نبذ آسيا الصغرى، ونبذ بلاد العرب، وفي الموروث الثقافي الكلاسيكي أن إله النبذ ديونئوسوس Dionysius (باخوس Bacchus) عند اليونان والرومان، قد سافر إلى بلاد الهند حتى يذيقهم طعم نبذ البحر المتوسط، وأن الهنود عندما كانوا يتذوقون النبذ يسكرون بسرعة ويتصرفون كالمجانين^(٢). وفي المقابل استمر اهتمام الرومان بمختلف منتجات الجزيرة العربية، وبالمنتجات الهندية القامة عبر موانئ الخليج العربي، والتي استهلكت في الإمبراطورية الرومانية بكميات كبيرة، حتى إن الإمبراطور نيرون Nero (٥٤ - ٦٨م) أحرق كل ما تنتجه الجزيرة العربية من بخور في عام كامل في يوم وفاة زوجته^(٣)، وكان الملك ميسان أتامبليوس الثالث Attambelos III (٥٤ - ٧٢م) معاصراً للإمبراطور نيرون، حيث استمرت العلاقات الدبلوماسية الرومانية مع الخليج العربي، إذ وجد ملك ميسان في روما حليفاً له ضد سلطان الملك الفرثي، وطبقاً لهذه العلاقات المتطورة جاء هذا الملك بتجار رومان وأسكنهم على شواطئ الخليج العربي لغايات تجارية، كما وصل تاجر عربي، واحد على الأقل من ميسان؛ اسمه فايوريوس ابينيريكوس إلى مدينة بومبي Pompeii قرب نابولي في إيطاليا^(٤).



صورة رقم (٤٧): قطعة نقدية من ميسان تظهر عليها صورة أتامبليوس الثالث. انظر: الطائي، أسرار ميسان، ص ٥٩.

(١) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي، ص ١١.

^٢ McLaughlin, R., (2014) Op. Cit., p.165.

^٣ Blázquez Martínez & José María., (2006) Op. Cit., p.19.

(٤) البكر، منذر عبد الكريم (١٩٨٦م)، دولة ميسان العربية، ص ٢٤. وانظر: صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٧٥، ٧٦.

ويحدد لنا بلينيوس سعر المر المستورد عن طريق الخليج العربي (الإريثري) حيث يقول: «يصل أعلى سعر للمر المزروع إلى أحد عشر ديناراً. والمر الإريثري -الذي يحسبه الناس أنه عربي- يصل إلى ستة عشر ديناراً للرطل الواحد^(١)». هذا ناهيك عن لؤلؤ الخليج العربي الذي كان سلعة مطلوبة في الإمبراطورية الرومانية، وقد تحدث بلينيوس عن أهم المواد التي كان يستوردها الرومان من الجزيرة العربية، حتى إنها شكلت بالإضافة إلى المواد المستوردة من الصين والهند ما يشبه حالة استنزاف للاقتصاد الروماني، واشتكى من هذا الواقع المرير للإمبراطور تيبيريوس Tiberius (١٤ - ٣٧م) وبين له أن اقتصاد الدولة في خطر، وأن أموال روما تذهب من أجل أشياء تافهة^(٢)، فيقول: «ويؤكد ذوو الخبرة في هذا الشأن أن بلاد العرب لا تثج في عام كامل تلك الكمية الضخمة من الطيوب التي كان يحرقها الإمبراطور نيرون في يوم واحد في مراسم جنازة زوجته بوبايا Poppaea ولا بد أن يوضع في الحساب العدد الضخم من الجناز التي تقام سنوياً في كل أنحاء العالم، التي تتكدس فيها الطيوب على شرف جثامين الموتى، في حين تقدم كسر الخبز للمعبودات فقط. وبلا شك فإن بحر بلاد العرب هو "الأبعد" من بين أراضيها؛ لأنه هو الذي يمدنا باللؤلؤ. وعلى أقل تقدير فإن الهند وسيريس Seres /الصين وبلاد العرب يحصلون على مبلغ مئة مليون سيسيتيرتيوم sestertium من إمبراطوريتنا كل سنة، تمثل قيمة ما يكلفنا به ترفنا ونساونا، وإنني أتساءل عن مقدار هذه الطيوب التي تذهب الآن للمعبودات أو لقوى العالم السفلي^(٣)».

كما أن المصادر المتأخرة تشير أن تراجان Trajanus (٩٨ - ١١٧م) لم يكتف بالسيطرة على البحر الأحمر، بل كان يطمع في بناء أسطول في الخليج العربي^(٤)، الشريان الآخر لتجارة الهند، وقد فضل الرومان الخليج العربي على البحر الأحمر بسبب عوائق الملاحة فيه؛ إذ تكثر به الشعاب المرجانية، والمخاطر الطبيعية الأخرى، فضلاً عن أعمال القرصنة التي انتشرت في مناطق واسعة منه، الأمر الذي زاد من أهمية الخليج العربي في أعينهم^(٥). وتحدث المصادر الكلاسيكية عن الهجوم العنيف الذي شنه تراجان على بلاد الرافدين والدولة الفرثية؛ حيث احتل عاصمتهم (طيسفون) المدائن في صيف سنة ١١٦م، وواصل حملته إلى الجنوب عن طريق دجلة إلى أن بلغ (ميسان)، ووصل إلى شواطئ الخليج العربي من ناحية

(١) بلينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ١٢، الفصل ٣٦، الفقرة ٧٠.

(٢) Haerincx, E., (1998) **International contacts**, Op. Cit., p.291.

(٣) بلينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ١٢، الفصل ٤١، الفقرة ٨٣، ٨٤.

(٤) Blázquez Martínez & José María., (2006) Op. Cit., p.20.

(٥) العبادي، أحمد صالح (٢٠١١م)، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وبلاد الهند، ص ٩١.

العراق^(١)، ومن المحتمل أن أهمية ميسان الاقتصادية، وموقعها على رأس الخليج العربي، وعلاقتها المتشعبة مع المنطقة، والهند، وعموم شرق آسيا، كانت مشجعاً للرومان للاتصال بها^(٢). وتصف المصادر الكلاسيكية رحلته النهرية، واستقباله من قبل ملك ميسان أتامبليوس الخامس، الذي كان على رأس المستقبلين في مدينة أفاميا في حدود ميسان الشمالية، إذ يدل ذلك على استقلالية المملكة التامة عن السيطرة الفرثية^(٣)، ومدينة أفاميا هذه يحدد لنا بليينيوس موقعها بدقة، فيقول: «ويذكرُ تَجَارِنا أَنَّ ملكَ خراكَس يحْكُمُ كذلكُ أفاميا، تلكَ المدينةُ التي تقعُ عندَ التقاءِ فيضانِ نهري الفرات ودجلة^(٤)».

وعلى شاطئ الخليج العربي في ميناء أبولوجوس (تريدرون) وقف تراجان متأسفاً، بعدما شاهد سفينة تمخر عباب الخليج العربي تقصد الهند، لأنه كان كبير السن لا يقدر أن يصنع ما صنعه الإسكندر المقدوني الفتى^(٥). وقد أمر تراجان بإرسال سفن ضخمة لتعبر ميناء (تريدرون) وتتجه إلى الهند، أملاً في التذكير في أمجاد الإسكندر ورغبته في تحقيق طموحاته. وربما اعترف ملك ميسان بسلطة تراجان على مملكته وأصبحت تابعة له^(٦). إذ كان الإمبراطور تراجان أول وآخر إمبراطور روماني يصل إلى الخليج العربي، وبذلك الوصول تحقق هدفه في جعل الطريق من البحر المتوسط نحو الشرق الأقصى مفتوحاً^(٧)، لكن هذا لم يستمر بالنسبة لسيطرة الإمبراطورية الرومانية بوفاة تراجان في سنة ١١٧م. تخلى الرومان عن أطماعهم في الشرق، وأنهى هادريان Hadrien (١١٧ - ١٣٨م) جميع النزاعات مع الفرثيين. لكن اهتمام الرومان بالتجارة استمر بشكل طبيعي واستمرت القوافل بين تدمر وموانئ الخليج العربي دون تدخل الفرثيين الذين ابتلوا بنزاع داخلي وتنافس على السلطة بين ثلاثة أدياء للعرش^(٨). وإذا كان الرومان قد فشلوا في فرض هيمنتهم المباشرة على الخليج العربي^(٩)، إلا أن الشواهد الأثرية تشير إلى أن منطقة الخليج العربي

(١) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي، ص ١٣.

(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ١٤.

(٣) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٦٤.

(٤) بليينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٣٢، الفقرة ١٤٦.

(٥) شاكر، محمود (٢٠٠٥م)، موسوعة تاريخ الخليج العربي، الأردن، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص ٥٢.

(٦) عليوان، حواء ميلاد (٢٠٠٧م)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة تدمر (١٠٦ - ٢٧٣م)، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة المرقب، ليبيا، ص ٢٩٩.

(٧) النوري، ميثم عبد الكاظم (٢٠١٧م)، العلاقات الفرثية الرومانية ٢٤٧ ق.م - ٢٢٦م، العراق، بغداد، دار مكتبة عدنان، ص ١٠٧.

(٨) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٦٤.

(٩) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي، ص ١٣.

كانت مأهولة بكثافة بالتجار الرومان خلال هذه الفترة، وأنها كانت تمارس نشاطها التجاري بحرية تامة مع جميع الأسواق العالمية بما فيها السوق الرومانية^(١)، وهذا الطرح بطبيعة الحال يدعو لإيضاح الأمر.

لقد احتل الرومان سورية في سنة ٦٤ ق.م بقيادة بومبي (١٠٦ - ٤٨ ق.م)، وصار نهر الفرات حدًا فاصلًا بين الدولة الفرثية والدولة الرومانية، «يشكل نهر الفرات والمنطقة الواقعة على جانبه الشرقي حدود إمبراطورية الفرثيين»، «وكان الفرثيون في وقت من الأوقات حريصين على صداقة الرومان، لكنهم ثأروا لأنفسهم بعد أن بدأ كراسوس الحرب عليهم^(٢)» سنة ٥٣ ق.م، ورغم العلاقات المتوترة بين هاتين الدولتين، إلا أن الطرفين كانا حريصين على مصالحهم المشتركة، وعلى استمرار النشاط التجاري على طريق البادية المختصر؛ بمحاذاة نهر الفرات من تدمر إلى الخليج العربي، فهو مباشر وسريع^(٣)، وكان هذا الأمر مناسبة جيدة ومناسبة لسكان المنطقة الأصليين، ووزعوا ولاءهم بين هاتين الدولتين بما يناسب مصالحهم، «ويميل بعض هؤلاء [أي العرب] إلى الفرثيين وبعضهم الآخر إلى جانب الرومان، أي الجانبين أقرب إليهم^(٤)». وكانوا قد استغلوا هذا الظرف منذ أواخر أيام الدولة السلوقية وأسسوا لأنفسهم عددا من الممالك التجارية، على طريق الفرات - الخليج العربي، والظاهر أن عددا من هذه الإمارات العربية القبلية فقدت بعض استقلالها، بعد أن ظهرت قوة جديدة حلت محل الدول الهلنستية، وهي الدولة الرومانية، وبعد أن امتد نفوذ الفرثيين في الشرق. لكن إمارات عربية أخرى استمرت واستفادت بعضها من الصراع السياسي والاقتصادي بين الرومان والفرس لاسيما مملكة تدمر^(٥)، التي ازدادت أهميتها ولاسيما بعد احتلال الرومان لمنافستها البتراء وتحويلها إلى ولاية رومانية سنة ١٠٦ م^(٦).

في بيديا Bidya الواقعة في منتصف الطريق بين الفجيرة وديبا Dibba، في إمارة الفجيرة اليوم/ الإمارات العربية المتحدة، عثرت بعثة التنقيب الأثري السويسرية العاملة، على مدفن هيليني أعيد استعماله مرة ثانية خلال العصر الروماني - الفرثي، عثر في الموقع على أباريق فخارية مزججة، من ذوات الأقدام، ولها مقابض من نوع الإبهام، كما عثر على طاسة زجاجية، برفقة قارورة زجاجة صغيرة، كل هذه المواد يمكن أن تؤرخ بالقرن الأول الميلادي، ومن المحتمل بنسبة عالية أنها مستوردة، ولاسيما الطاسة الزجاجية،

^{١)} Salles, J-F., (1990), Op. Cit., p.1.

^(٢) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ١، الفقرة ٢٨.

^(٣) الجناحي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، الصلات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٨.

^(٤) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ١، الفقرة ٢٨.

^(٥) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٥م)، العرب والتجارة الدولية، ص ١٧٧.

^(٦) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٦٤.

فشكلها وطريقة صناعتها توحى بأنها مستوردة من الإسكندرية البطلمية، أو من إيطاليا الرومانية، بينما أوحى صناعة القارورة الصغيرة بأنها مصنوعة في إحدى ورشات الساحل السوري، حيث تم استيرادها من فينقيا^(١). كما عثر في موقع الدور على كميات كبيرة من اللقى الرومانية، كالفخار والزجاج والقطع البرونزية، ومجموعة من التماثيل^(٢). ومصباح روماني من البرونز مقبضه مستدير الشكل، كما عثر على قطعة مماثلة له في مدينة بومبي في إيطاليا. وتكعيبة كانت تستخدم كمنضدة للتماثيل الصغيرة، لكن لسوء الحظ لم يعثر على التماثيل الصغيرة، وهذه التكعيبة نفذت بأسلوب غربي صرف، ظهر عليها تمثال نصفي لرجل من إحدى الجهات. كما عثر على رأس كبش روماني برونزي. كما عثر على ختم من العقيق تظهر عليه ربة النصر مع درع ورمح. وعثر على كميات كبيرة من مزهريات الزجاج الروماني في موقع الدور كان من بينها المزين بأشكال السمك والعنب، وهذه المزهريات تؤرخ بين ٢٥ ق.م و ٧٥ م. وتجدر الإشارة إلى أن إنتاج المزهريات الزجاجية في روما كان يتم بكميات كبيرة، وبأسعار زهيدة، وكانت أعداد كبيرة في روما تعمل في هذه المهنة، وقد وصل هذا الزجاج حتى الصين، وكان يستخدم كوسيلة للمقايضة بمنتجات شرقية ثمينة^(٣).



صورة رقم (٤٨): التكعيبة الرومانية، التي كانت تستخدم لوضع تماثيل الآلهة عليها، كشف عنها في موقع الدور، الإمارات العربية المتحدة

¹⁾ Salles, J-F., (1990), Op. Cit., p.7.

²⁾ Haerinck, E., (1998) **International contacts**, Op. Cit., p.292.

³⁾ Haerinck, E., **Internationalization and Business**, Op. Cit., p.203.



صورة رقم (٤٩): زجاج روماني، ربما صنع في شرق المتوسط/ عثر عليه في موقع الدور/ الإمارات العربية



صورة رقم (٥٠): لقى رومانية متنوعة عثر عليها في موقع الدور الأثري، الإمارات العربية المتحدة.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف وصلت هذه المواد التجارية الرومانية إلى الخليج العربي؟ إن تتبع مخطط طريق طاسة زجاجية وجدت في بيديا أو في البحرين أو حتى في الدور، سواء صنعت في الإسكندرية أم إيطاليا، (فهذا ليس مهماً)، ما دامت قد وصلت من الغرب ودخلت الخليج العربي، لكن المهم بالنسبة لنا كيف دخلت الخليج العربي؟ من أي ميناء من مينائيه الرئيسيين في هذه الحقبة؟ عمانا/ الدور في الجنوب، أم أبولوجوس/ تريديون في الشمال؟ إذا افترضنا أن هذه الطاسة قد دخلت من الميناء الشمالي فلا بد أنها نقلت بحراً حتى وصلت إلى مدينة أنطاكية أو أحد الموانئ السورية، ومنه صدرت بواسطة القوافل التجارية عبر تدمر إلى ميسان، ومنها إلى حيث وجدت في بيديا أو في البحرين أو في الدور، وربما وصلت شرقاً أكثر، حيث عثر على طاسات مماثلة في أريخاميدو Arikamedu. وهذا الطريق محتمل بحكم سرعته وقصره والأمان الذي تمتع به التجار وقوافلهم^(١). وما يؤكد أن هذا الطريق كان نشطاً؛ أنه عثر على كميات كبيرة من الفخار والنقود الميسانية في موقع الدور الأثري، كما عثر فيها على كميات كبيرة من العملات والخرز والمواد التجارية الهندية، وهذا يصور لنا الدور على أنها كانت الميناء لتجارة الهند في الخليج العربي، وكانت هذه المواد الهندية تصدر إلى أبولوجوس، وعبر قوافل الجمال أو عبر طوافات وزوارق صغيرة في نهر الفرات كانت تصل هذه المنتجات إلى دورا أوروبوس ومنها إلى تدمر ومن ثم إلى موانئ الساحل السوري ومن ثم إلى روما، بمعنى أن هذا الطريق الأول (الخليج العربي) كان طريقاً مائياً ذهاباً/ إياباً للتجارة الدولية بين الرومان والهنود، من أبولوجوس إلى عمانا للتجارة الرومانية، ومن عمانا إلى أبولوجوس للتجارة الهندية^(٢).

أما الطريق الثاني (الدوران حول الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر) وبالتالي من المفترض أن تكون هذه القطعة قد أبحرت في البحر الأحمر مروراً بخليج عدن وبحر العرب وخليج عمان والخليج العربي إلى أن وصلت إلى الدور/ عمانا، ومنها انتقلت حيث وجدت سواء في بيديا أم في البحرين، أو أنها بيت في الدور نفسها. لكن هذا الطريق طويل، ومكلف، وغير آمن، حيث تتوزع السلطة فيه على أكثر من قوة، وهي أمور لا تشجع على سلوكه من قبل التجار الدوليين، ما دام هناك بديل؛ طريق مختصر وقصير. لذلك يرجح المؤرخون الطريق الأول^(٣). ثم إن الكمية الكبيرة من فخار جنوب بلاد الرافدين التي وصلت نسبتهما إلى

^١) Salles, J-F., (1990), Op. Cit., p.7.

^٢) Haerinck, E., (1998) **International contacts**, Op. Cit., p.292.

^٣) Salles, J-F., (1990), Op. Cit., p.7.

٣٠% من الفخار المكتشف في موقع الدور؛ تؤيد اقتراح الطريق الأول لنقل هذا الكم الكبير من المواد الرومانية^(١).

في الواقع لم يكن طريق الخليج العربي مجهولا البتة بالنسبة للرومان، ليس للأغراض التجارية فحسب، بل للأغراض السياسية كذلك، فبعد أن تمردت هيركانيا Hyrcania على الفرثيين، وهي إمارة واقعة على بحر قزوين، أرادت أن تتحالف مع الرومان، ولما كانت أراضي الدولة الفرثية تحول دون اتصالهم بالرومان، اعتمدوا على طريق الخليج العربي، ففي سنة ٥٧م أبحر من ميناء أبولوجوس وفد هيركانيا إلى مصب نهر السند عبر الخليج العربي، وكان هذا الوفد قادما من روما، حيث ذهب طالبا للتحالف مع الرومان ضد الملك الفرثي فوفجاسيس الأول، وأراد الوفد السفر عن طريق البحر حتى يتجنب المرور في الأراضي الفرثية^(٢).

كما يظهر من خلال وصف الكتاب الكلاسيكيين، وخصوصا في عصر الإمبراطور دوميتيان Domitian (٨١ - ٩٦م)، كلاما عن التجار العرب في نهاية القرن الأول الميلادي، وكذلك عن الموانئ والأسواق العربية التي تزدهم بأصحاب السفن والملاحين العرب، وعن كميات كبيرة من الفلفل جلبت من الشرق، وصار طائر الببغاء المستورد من الهند الطائر الأكثر شعبية في روما. ومن كل هذا نستدل أن التجارة إبان عصر الرومان كانت بيد العرب، وما كان التاجر الروماني إلا وسيطا تأتية المتاجر التي يحملها العرب، علما أنه قد برزت أسماء تجار رومان كبار خلال هذه الفترة منهم كوسمس Cosmus ونيكروس Niceros وكلاهما معاصران لدوميتيان. وفي العصر الروماني كانت تجارة الخليج العربي بيد ميسان، وقد قامت علاقات دبلوماسية بين الإمبراطورية الرومانية وميسان، ويبدو أن لهذه الدولة استقلالاً فعلياً مطلقاً وذلك لاستقبال ميسان رسل روما. وأخيرا لقد اضمحلت موارد الدولة الرومانية الاقتصادية في القرن الثالث الميلادي، نتيجة لاختلال الميزان التجاري، وعدم اهتمامهم بالطرق التجارية وخاصة البحرية، واغفالهم شأن الأساطيل التجارية. ومن المؤشرات الهامة في هذا الشأن العملة؛ حيث لا توجد عملة رومانية في الهند، أو في غيرها من المدن التي تقع على هذا الطريق بعد عهد كراكلا Caracalla (٢١٢ - ٢١٧م)^(٣).

^{١)} Haerincx, E., **Internationalization and Business**, Op. Cit., p.204

^(٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٨١.

^(٣) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٥م)، العرب والتجارة الدولية، ص ١٨٣.

ثالثاً: تدمير الخليج العربي:

تكمن أهمية تدمير في موقعها في واحة في قلب البادية، في منتصف المسافة تقريباً، بين الفرات من جهة، ودمشق وحمص من جهة ثانية، وهي تبعد نحو ١٥٠ ميلاً عن كل منهما، وقد أدت الاتجاهات الجديدة في الإمبراطوريات العالمية والتحول في طرق التجارة الدولية إلى رفع هذه القرية الصغيرة إلى مصاف المدن العظمى ذات الغنى والسلطة في العالم القديم^(١)، فهي تقع بين مركزين أساسيين لتوزيع البضائع التجارية؛ هما مدن بلاد الرافدين والخليج العربي من جهة والساحل الفينيقي من جهة ثانية، وبالتالي سيطرتها على أهم طريق تجاري (بري وبحري) يربط بين الشرق (الهند والصين)، والغرب (بلاد اليونان وروما) عبر العراق وسورية^(٢). وفي الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد صارت تدمير من جملة البلاد التي أخضعها الإسكندر المقدوني لحكمه وفي عهد الإسكندر ظهر اسم تدمير الأجنبي بالميرا Palmyra^(٣)، بمعنى مدينة النخيل من لفظة Palma اللاتينية ومعناها نخل^(٤)، وكان الكاتب بلينيوس أول من أشار إلى مدينة تدمير، وهو أول مؤرخ كلاسيكي يتعرض لها، حيث يقول: «وتدمير مدينة شهيرة بجمال موقعها وبثراء تربتها وبنابيعها الساحرة. وتحيط بحقولها من كل اتجاه دائرة واسعة من الرمال، ولذلك فهي معزولة بالطبيعة عن العالم»^(٥).

لقد ظلت هذه المدينة محتفظة بمكانتها الطيبة في عصر السلوقيين الذين وحدوا سورية والعراق وشجعوا الطريق التجاري الذي كان يمر بالعراق وتدمير لمنافسة البطالمة الذين أرادوا أن تمر التجارة الهندية عبر البحر الأحمر ومصر. ولكن سقوط الدولة السلوقية وقيام الدولة الفرثية في العراق وفصله عن سورية كاد أن يهدد تجارة تدمير، إلا أن هذا الوضع المتأزم لم يدم طويلاً فسرعان ما أتت الإمبراطورية الرومانية إلى الشرق واحتلت سورية سنة ٦٤ ق.م، ومصر سنة ٢٧ ق.م، ومن المرجح أن تدمير اعترفت بسيادة روما سنة ٤١ ق.م، ودخلت ضمن مناطق النفوذ الروماني، غير أن النفوذ الروماني فيها كان صورياً أكثر منه حقيقياً، كما كانت تلك الوصاية نتيجة طبيعية لمصالح تدمير الاقتصادية وتقاطع تلك المصالح مع مصالح الرومان،

(١) عاقل، نبیه (١٩٨٣م)، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، ص ١١٧.

(٢) الجناحي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، الصلات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٨.

(٣) زكار، سهيل، وخربوطلي، شكران (٢٠١٥)، تاريخ الوطن العربي القديم، الجزيرة العربية، سورية، دمشق، ص ١٢٦.

(٤) علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٧٢.

(٥) بلينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٥، الفصل ٢١، الفقرة ٨٨.

حيث صارت تدمر تقوم بدور الوسيط التجاري بين هاتين الإمبراطوريتين العظيمتين^(١)، حيث يقول بليينيوس: «ولكنَّ قدرها جعلها بين إمبراطوريتين عظيمتين، روما Rome و Parthia وفرثيا ومنَّ اللحظة الأولى كان الصراع بينهما يجذب انتباه كلا الطرفين. وهي تبعد مسافة ثلاثمائة وسبعة وثلاثين ميلاً من سلوقية الفرثية المعروفة عموماً باسم سلوقية المطلَّة على نهر دجلة^(٢)».

لقد استطاع التدمريون بفضل موقعهم الخاص بين الدولة الفرثية، والدولة الرومانية أن يمدوا حضورهم التجاري حتى سلوقية دجلة وإلى منطقة الخليج العربي وربما وصل حضورهم أبعد من ذلك إلى بلاد عيلام. عموماً لقد اتخذ التدمريون طريقاً قصيراً عبر الفرات مؤدياً إلى دورا أوروبوس Dura Europos^(٣) / تل الصالحية*، يسير بمحاذاة النهر حتى الخليج العربي، وكان هذا الطريق مألوفاً ومميزاً، عليه عدد من الخانات، وتحميه عدد من القلاع المزودة بمجاميع من النبالة، وتشير بعض المصادر أنه كان في دورا أوروبوس وعانة وهيت حاميات عسكرية^(٤)، وكان هناك فرقة هجانة ترافق القوافل التجارية مهمتها حماية هذه القوافل من اللصوص وقطاع الطرق^(٥). كما أنهم عقدوا معاهدات مع القبائل المقيمة على ضفاف الفرات، وأعطوا شيوخهم الهدايا والأموال لتأمين مرور القوافل بسلام^(٦).

وقد استورد التدمريون من الأبله وميسان وفورت (الموانئ الشمالية في الخليج العربي) منتجات الهند والصين، مثل التوابل والدهون والعمود والأحجار الكريمة والحريز الصيني والنحاس وخشب الصندل، خشب الصاج، وخشب الأبنوس، كما استوردوا منتجات الخليج العربي كاللؤلؤ، وكان القسم الأعظم من هذه المنتجات يعاد تصديره مرة أخرى إلى عالم البحر المتوسط عن طريق الموانئ الفينيقية، كما صدر التدمريون

(١) عاقل، نبيه (١٩٨٣م)، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، ص ١٢٠.

(٢) بليينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٥، الفصل ٢١، الفقرة ٨٨.

(٣) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٥م)، العرب والتجارة الدولية، ص ١٧٧.

* لقد احتلت دورا أوروبوس موقعاً تجارياً متميزاً على نهر الفرات، بفضل موقعها الجغرافي على طريق تجارة الخليج العربي وتدمر، حيث كانت القوافل التجارية القادمة من الخليج العربي تصعد بمحاذاة نهر الفرات، حتى دورا، ثم تغادرها عبر البادية السورية متجهة صوب تدمر، بعد أن تكون قد أخذت منها حاجتها من المؤن والماء، هكذا أصبحت دورا التي عهد إليها بحراسة طريق القوافل، من أكبر المحطات التجارية المسيطرة على طرق التجارة في العالم القديم، وإلى جانب ذلك كانت سوقاً للمبادلات بين منتجات القبائل الرحل المحيطين بها، وبين بضائع القوافل التجارية، حيث كانت القبائل العربية تؤمها لتبادل الخراف والجمال والخيول والجلود والصوف وغيرها من منتجات البادية، بالسلاح والنسيج والأواني الفخارية والتوابل والعمود والمجوهرات. انظر: الصالح، إبراهيم (١٩٨٤م)، صفحات مطوية من تاريخ دورا أوروبوس، مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد ٣٤، سورية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ص ٢١٥.

(٤) الصالح، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٤.

(٥) عليوان، حواء ميلاد (٢٠٠٧م)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة تدمر، ص ٣٠.

(٦) العلي، صالح أحمد (٢٠٠٠م)، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٦١.

عبر موانئ الخليج العربي إلى الهند اللؤلؤ والملابس والأرجوان والخمر والتمر والذهب^(١). وقد اكتشف نقش جمركي يؤرخ بسنة ١٣٧م، يبين مقدار الضرائب المفروضة على البضائع، التي كانت تتاجر بها القوافل التدمرية، ومن هذا النص نتعرف على أهم هذه البضائع، التي كانت تشمل الأنسجة الصوفية، وصبغ الأرجوان، والحريز، والزجاج، والعطور، وزيت الزيتون، والفواكه المجففة؛ كالتين والجوز، والجبن، والخمر اليوناني^(٢)؛ الذي كان عليه طلب شديد في الهند، وكان الهنود يسمونه (اليافاني) أي اليوناني^(٣)، أي أن تجارتهم كانت تشمل منتجات متنوعة من الهند والصين وفارس وبابل والمدن الفينيقية والجزيرة العربية والجزيرة الفراتية^(٤).



جنود تدمريون في دورا أوروبوس

وكانت علاقات التدمريين التجارية حسنة بجيرانهم الفرس والرومان؛ وقد حرص هؤلاء على ديمومتها، ومنحوا التدمريين تسهيلات امتيازات فوق العادة، حتى أن سوادا قائد القوافل التدمرية إلى الخليج العربي بنى معبدا للأباطرة الرومان في قلب البلاد الفرثية، حيث كان صديقا مخلصا للرومان، كما كان يتمتع بأطيب العلاقات مع الفرس. ومما يشير إلى طيب علاقات التدمريين بالرومان هو العثور على نقش في مصر يرجع إلى أيام هادريان (١١٧ - ١٣٨م) يذكر نقابة من الريابنة التدمريين في البحر الأحمر، انبسط لها الرزق وحظيت باعتراف الإمبراطور. كما تعززت علاقات تدمر التجارية مع بلدان الشرق البعيد؛ ولاسيما مع الهند، فعندما تعرض طريق الحرير البري إلى مضايقات الفرثيين، استعاض التجار التدمريون عنه بطريق

(١) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٢.

(٢) العلي، صالح أحمد (٢٠٠٠م)، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٦١.

(٣) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٦٤.

(٤) العلي، صالح أحمد (٢٠٠٠م)، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٦١.

الخليج العربي، حيث سارت قوافلهم بمحاذاة نهر الفرات حتى مياه الخليج العربي، ويحتمل أن التدمريين كانوا ينزلون الفرات على قوارب من الجلود، حتى يصلوا مياه الخليج العربي. ومن هناك كانوا ينطلقون في رحلات جريئة على متن سفن كبيرة إلى الهند. وما أكد ذلك أنه عثر في الساحة العامة في تدمر على نقوش تشير إلى وجود علاقات تجارية مباشرة مع بلاد السلثيين في شمال غرب الهند، والتي كانت موانئها مرفأ للسفن التجارية القادمة من الخليج العربي، وهذا دليل واضح على تنظيم التجار التدمريين لرحلات تجارية بحرية عبروا فيها مسافات شاسعة. كما تشير الكتابات التدمرية بين سنتي (١٤٧ - ١٩٢ م) إلى الدور المهم الذي قام به التجار التدمريون في نقل البضائع الهندية عبر موانئ ميسان على الساحل الشمالي للخليج العربي، تمهيدا لتصديرها إلى أسواق الإمبراطورية الرومانية، منها كتابة عثر عليها في كبيسة منقوشة على شاهد قبر حجري بالخط التدمري تعود لسنة ١٨٤م^(١). وأخيرا لا شك أن لتدمر علاقات تجارية مميزة مع الصين، حيث وجد الحرير الصيني في قبر تدمري، يعود تاريخه إلى سنة ٨٣م^(٢)، وربما أن هذا الحرير قد وصل إلى تدمر عن طريق الحرير البري في الشمال، أو عن طريق الخليج العربي في الجنوب، حيث كان ينقل برا من الصين إلى موانئ التصدير في الهند ومن هناك كانت تقله السفن التجارية عبر المحيط الهندي والخليج العربي إلى ميسان، ومنها إلى أن يصل إلى تدمر محملا على ظهور الجمال أو في زوارق نهريّة، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على دور تدمر في تجارة الشرق الأقصى^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أنه كان للتدمريين حضور دائم في مياه الخليج العربي، من خلال الجاليات التي استوطنت في معظم جزره، ومدنه، والمحطات التجارية الهامة فيه، وكان لهذه الجاليات رئيس منتخب ولها معبد تعبد فيه الآلهة التدمرية، ومن بين هذه الجاليات؛ الجالية التدمرية التي استوطنت في جزيرة خارج، حيث كانت هذه الجزيرة محطة متقدمة للتجار التدمريين في الحوض الشمالي للخليج العربي^(٤)، ويؤكد ذلك وجود آثار ورسومات تدمرية فيها، منها منحوتة تدمرية تظهر عليها سفينة تجارية يقف ربانها أمام دفة القيادة^(٥)، كما عثر فيها على قبور تدمرية؛ قرابة التسعين قبر منحوتة بالصخر، تميزت بصفات تدمرية واضحة^(٦). وقد تمثل دور هذه الجزيرة في كونها محطة أساسية، ومخزن لبضائع السفن الكبيرة المبحرة عبر

(١) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، العلاقات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٢) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٥م)، العرب والتجارة الدولية، ص ١٧٧.

(٣) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٢.

(٤) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، العلاقات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٩.

(٥) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٥.

(٦) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٨٠.

المحيط الهندي، حيث كانت تفرغ حمولتها فيها، ثم تنقل هذه البضائع بسفن صغيرة تستطيع العوم في نهر الفرات إلى الموانئ التجارية المنتشرة على ضفتيه، ومنها تنقل بواسطة قوافل تجارية برية إلى تدمر حيث يعاد تصديرها إلى موانئ البحر المتوسط^(١). ويقترح دانيال بوتس أن الجالية التدمرية في هذه الجزيرة لم يقتصر نشاطها على التجارة، بل قام أفرادها بدور سياسي، حيث خدموا فيها لصالح ملك ميسان. وإذا صح هذا الفرض تكون مملكة ميسان قد مارست نفوذاً سياسياً في الخليج العربي، لم تمارسه فرثياً أبداً^(٢)، وربما تدعم رأي بوتس بنقود ميسان التي عثر عليها في مواقع الإمارات العربية المتحدة العائدة لهذه الفترة بالذات، والتي سنأتي على شرحها بالتفصيل.

كما كان هناك جالية تدمرية قد استوطنت في مدينة فورات إحدى مدن مملكة ميسان، (ربما تل مقلوب)، والتي عرفت في مصادر عديدة باسم (فرات ميسان)؛ حيث أشارت النصوص التدمرية إلى أن مدينة فورات كانت من المدن التجارية المهمة التي كان التدمريون يتاجرون معها، حيث يذكر أحد النقوش التدمرية المؤرخ بشهر أيلول (١٤٠ م) ما قدمه حاكم مدينة فرات من عون لقافلة تدمرية في مدينته قادمة من خراكس ومن ولجاشية (قرب الكوفة)^(٣)، وتجدر الإشارة إلى العلاقات المتينة التي كانت تربط هذه المدينة بتدمر، حتى إن التجار التدمريين قد أنشأوا فيها مراكز تجارية لهم؛ مارسوا من خلالها نشاطهم التجاري بكل حرية. وقد بلغ من قوة صلاتهم التجارية في هذه المدينة؛ أن عدداً من التدمريين قد تولوا بعض المناصب الإدارية فيها، حتى أن حاكم فورات في فترة من الفترات كان من الجالية التدمرية، التي كانت تقطن فيها^(٤).

ومثل ما كان للتدمريين حضورهم المؤثر في هذه المدينة، كان للأنباط كذلك حضور فيها؛ وكان الأنباط يسلكون الطريق الذي يربط بلادهم بمدينة فورات، عبر البادية، حتى إنه صار للأنباط الدور الرئيسي في تجهيز الرومان بتجارة الهند والخليج العربي، وربما أن هذا الطريق كان يحتاج إلى عشرة أيام^(٥). وهذا الأمر تحدث عنه بلينيوس صراحة عندما قال: «وهناك مدينة على ضفة نهر الباستيجريس [نهر الكارون]، اسمها فرات Forat، وهي تابعة لملك خراكس التي تبعد اثني عشر ميلاً بحرياً مع المدّ. أما المسافرون بحراً من فرثيا فيصلون إلى قرية تريديون Teredon، ويقوم الكلدانيون Chaldaei في منطقة أدنى

(١) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، الصلوات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٩.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ٨٨١.

(٣) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٤.

(٤) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٣٤.

(٥) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٦٣.

نقطة التقاء نهري دجلة والفرات على الجانب الأيسر في حين تقيم قبائل البدو المتنقلين والعرب ساكني الخيام على الضفة اليمنى، يوجد مدينتان هما بارباتيا Barbatia ودوماتا Dumatha ويقال أن على بعد عشرة أيام من البتراء^(١).

كما كان هناك جالية تدمرية قد استوطنت في مدينة خراكس (عاصمة مملكة ميسان)، وتشير النصوص التدمرية إلى امتلاك التجار التدمريين لمخازن تجارية في هذه المدينة لحفظ البضائع القادمة لهم من الهند والشرق الأقصى، وكان فيها حي تدمري أسهم التجار التدمريون على إنشائه، وكان للجالية التدمرية في خراكس رئيس منتخب، ولها معبد تعبد فيه الآلهة التدمرية^(٢). وقد قام أبناء هذه الجالية بأعمال؛ تدل على إسهاماتهم الفاعلة في تنشيط الاقتصاد، وربما يكون التدمريون قد امتلكوا حوضاً خاصاً بهم لبناء وإصلاح سفنهم في أحد موانئ هذه المملكة، حيث كانوا يرتبطون بها بأطيب العلاقات الودية. ومن موانئ مملكة ميسان قاموا برحلات بحرية إلى مدينة بارباريكون Barbarikon * عند مصب نهر السند، وإلى مدينة بريجازا Barygaza في الهند، إذ كانت تنقل منها وإليها البضائع الهندية والعربية^(٣). ويحدثنا صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري: «إن الاحتياجات عادة ما تجلب من المناطق الداخلية من أريكا Ariaca بريجازا Barygaza، وتُورَدُ إلى هذه المراكز التجارية في الجانب البعيد منتجات الأماكن الأخرى: القمح والأرز والزبدة وزيت السمسم والأقمشة القطنية... وكان بعض الناس في السابق يخرجون في رحلات بحرية إلى هذه المراكز التجارية نفسها، وبعضهم الآخر يواصلون إبحارهم بمحاذاة الساحل ويتاجرون بما يصادفونه، ولا يخضع المكان لملك، ولكن لكل مركز تجاري من هذه المراكز حاكم يدير شؤونه»^(٤).

(١) بليينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٣٢، الفقرة ١٤٥، ١٤٦.

(٢) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، الصلات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١١١.

* ميناء بارباريكون كان تابعاً للملكة كوشان Kushan وكانت تضم أقاليم باكثيريا وقندهار بأفغانستان حالياً، وهضبة البامير وحوض نهر السند، وجزء كبير من نهر الجانج وميناء ديبيل وبارباريكون على بحر العرب. وقد ازدهرت هذه المملكة بين القرنين الأول والثالث الميلاديين. وسك ملوكها عملات ذهبية خاصة بهم. وكانت على صلة بالإمبراطورية الرومانية، وقد تبادلت الدولتان السفارات والتجارات. انظر: صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٦١.

(٣) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، الصلات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٩.

(٤) الطواف حول البحر الإريتري، الفصل ٥، الفقرة ١٤. ترجمة: السيد جاد، تعليق: حمد بن محمد بن صراي، وإشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٩)، السعودية، الرياض، دار الملك عبد العزيز ٢٠١٧م.

ومن أشهر هذه الرحلات التي اخترقت الخليج العربي؛ الرحلة التي قام بها أبولونيوس التبانى Apollonius سنة ٤٧م (من مدينة تيانا Tyana في آسيا الصغرى)، سافر برا من بابل إلى الهند، وعاد عن طريق البحر حيث استأجر سفينة أبحرت به من ميناء بارباريكون، إلى أحد موانئ ميسان عبر المحيط الهندي والخليج العربي، ثم مخر نهر الفرات حتى بابل، ومنها إلى مدينة تدمر في قلب البادية السورية. وهو هذا من اتباع المدرسة الفيثاغورثية الحديثة، عاش حياة تقشف وزهد، ولا نعلم إن كان قد توقف في أي صقع من أصقاع الخليج العربي^(١).

ومما يؤكد وجود الجالية التدمرية في ميسان هو عدد من النقوش التدمرية من بينها كتابة مؤرخة ب ٥٠ / ٥١م أو ٧٠ / ٧١م تذكر فيها أن الجالية التدمرية التجارية في مدينة خراكس أقامت تمثالا لشخص تدمري اسمه (زبدى بعل Zabdi Bel)^(٢)، لأن مجموعة من التجار التدمريين سافروا على مركب من مراكبه^(٣). كما عثر على كتابة في تدمر تؤرخ بسنة ٧٠م، تتحدث عن رجل قاد قافلة تجارية من مدينة خراكس. وكان من بين مدن مملكة ميسان الأخرى، التي كانت على علاقة جيدة بتدمر مدينة الأبله (تريدون/ أبولوجوس) الواقعة مقابل مدينة فورات عبر شط العرب، ووصفت بأنها ميناء كبير ومخزن للبضائع، وتمتعت بمركز هام في التجارة الدولية وكانت تصلها السفن محملة بالتوابل وخشب الصندل والنحاس من الهند عن طريق الخليج العربي، ويصدر منها تجار ميسان إلى منطقة الخليج العربي والهند بضائعهم^(٤)، وكانت السفن تتوافد إليها من شتى الأصقاع في عصر الإمبراطورية الرومانية، ونظرا للنشاط التجاري الواسع الذي شهدته الأبله، لاسيما مع بلاد الهند فقد عرفت في المصادر التاريخية بـ (فرج الهند) و(قرضة البحرين وعمان والهند والصين)، وبأنها (مرفأ سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين)^(٥)، وهكذا تمتعت هذه المدينة بزيادة عن سائر المدن الأخرى في مملكة ميسان بمركز دولي مهم لتسويق البضائع المختلفة^(٦). حتى أن ذكرها قد ورد في كتاب الطواف حول البحر الأحمر: «وعند الطرف

(١) الأحمّد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٦٣.

(٢) الصالح، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٢.

(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٨٣.

(٤) الأحمّد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي، ص ٣٦٤.

(٥) العبادي، أحمد صالح (٢٠١١م)، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وبلاد الهند، ص ١٠٨.

(٦) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٥٧.

البعيد لهذا الخليج، يوجد مركز تجاري متعارف عليه، ويعرف بسم أبولوؤوس Apologus وتقع المدينة بالقرب من خراكس إسباسيني ونهر الفرات^(١)».

عموما لقد اهتم التدمريون بتنشيط تجارتهم مع الخليج العربي وكرموا وشرفوا رؤساء قوافلهم ومسؤوليهم الماليين، وكل من سعى إلى انجاح هذه التجارة؛ بإقامة تماثيل لهم وتدوين نقوش تخلد ذكراهم^(٢)، ومن بين هذه الكتابات؛ كتابة مدونة على تمثال أقامه مجلس الشيوخ في تدمر تخليداً لذكرى تاجر اسمه (بارجيولا بن ليشمش) لما قدمه من أعمال لتسهيل حركة التجارة في مملكة ميسان^(٣). كما أن هناك نقوشاً تدمرية أخرى قد أشارت إلى قيام تاجر تدمريين عائدين من الهند عبر الخليج العربي، على متن سفينة تدمرية بإقامة تمثال في ميسان، لأحد التجار التدمريين، ويدعى (مرقوس وليبوس برحاي)، وكان هذا التاجر البحار يعود إلى تدمر محملاً بالضائع الثمينة، التي كان من بينها الأقمشة القطنية الثمينة، والأحجار الكريمة؛ مثل اللازورد والفيروز، فضلاً عن الحرير الصيني. وفي نقش آخر كُرم بحار يدعى حنين بن حدوان من قبل تاجر تدمريين عادوا من الهند في أحد مراكبه، ويشير هذا النقش إلى المساعدة التي قدمها هذا البحار للتجار الذين ذهبوا إلى بربريكوم الواقعة عند مصب نهر السند^(٤). و حنين بن حدوان هذا هو تدمري وليس من ميسان. ومن كل ما تقدم يتضح أن التدمريين كانوا على صلة بالبحر، كما كانوا قد استخدموا السفن النهرية والطوافات لعبور نهر الفرات، ويوجد في متحف تدمر رسم لشخص بجوار سفينة، مما يشير إلى معرفة التدمريين بالملاحة بشقيها البحري والنهري^(٥).

أما النقش الذي يحمل الرقم (PAT 1374) ويؤرخ بشهر أبريل سنة ١٣١م، وفيه يطالب التجار التدمريون المقيمون في ميسان؛ إقامة تمثال في تدمر على شرف: برحاي بن نبو زيد بن سالم اللات بن أنخادانوس بن هادريان^(٦)، فله خصوصية، لأن هذا الرجل التدمري كان حاكم على ثيولوانو Thyoluanou لصالح ملك ميسان المدعو مريدات، وثيولوانو كلمة يونانية تعني سكان ثيلوا أو ثيلووس أو تيلوون، وهي صيغة قريبة جداً من اللفظة الآرامية (تيلمون أو ديلمون)، وصيغتها اليونانية تايلوس. وربما

(١) الطواف حول البحر الإريتري، الفصل ٥، الفقرة ٣٥.

(٢) هيلند، ربرت (٢٠١٠م)، تاريخ العرب في جزيرة العرب، ص ١٣٩.

(٣) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان، ص ٦٦.

(٤) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٢م)، الصلات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند، ص ١٠٩.

(٥) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٨٥.

(٦) هيلند، ربرت (٢٠١٠م)، تاريخ العرب في جزيرة العرب، ص ٥٠.

كانت مهمة هذا الحاكم في البحرين تشابه مهمة ما كان يعرف في العصر السلوقي باسم حاكم مقاطعة البحر الإريتري، وهذا الوالي التدمري ربما كان مهتما بالأعمال التجارية في البحرين، وفي الوقت نفسه كان يتولى العمل الإداري^(١).

فضلاً عن ذلك فقد عثر في موقع أم العماد القريب من تدمر بجانب طريق القوافل على كتابة تخلص ذكرى شخص اسمه (سويد)، قام بمساعدة التجار والقوافل التدمرية، وبعض من مواطنيه وفي مدينة ولجاشية، فقرر المجلس التدمري مكافأته على أعماله، حيث أقاموا له أربعة تماثيل في تدمر وفي خراكس وفي ولجاشية^(٢). كما أن هناك نقشا تدمرياً يحمل الرقم (PAT 0294) يؤرخ لسنة ١٣٩م، دون عليه النص الآتي: «هذا التمثال هو تمثال تيمارسو، ابن تيم، ابن مقيم، ابن جبا، رئيس القافلة (رب سهيرتا) أقامه له أفراد القافلة الذين جاؤوا معه من خراكس، لأنه دفع نفقاتهم، ثلاثمائة قطعة نقود ذهباً، بالعملة القديمة، وكان خبر سار لهم. أقيم على شرفه وعلى شرف يداي وعبدي بول، ابنيه، في شهر أيار، من سنة ٥٠٤ سلوقي»^(٣) ١٩٣م^(٤). وهكذا واطبقت تدمر على تسيير القوافل البرية باتجاه الخليج العربي، مما يدل على استمرار النشاط التجاري بين المملكتين، فقد وصلتنا كتابة من بلدة كبيسة الواقعة على بعد ٢١ كم إلى الغرب من مدينة هيت على الضفة اليمنى لنهر الفرات. والكتابة منقوشة على شاهد قبر من الحجر بالخط التدمري البسيط (انظر الشكل أدناه)، تشير فيه إلى قبر شخص اسمه عجا «هذا قبر عجا بن شمش جرم بن (عجا) وقد وضعه له رجال قافلة ميسان سنة ٤٩٤ سلوقي [١٨٣م] وأسفاه»^(٥). إن هذا العدد الكبير من تماثيل التجار التدمريين في مملكة ميسان، والعدد الكبير من النقوش التي دونت لتخلد ذكراهم، إن دلت على شيء؛ فإنما تدل على استمرار الحركة التجارية بين هاتين المملكتين، وأن تجارة تدمر في معظمها كانت تتم عبر موانئ الخليج العربي.

(١) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية، ص ٨٧.

(٢) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٤، ١٥.

(٣) هيلند، ربرت (٢٠١٠م)، تاريخ العرب في جزيرة العرب، ص ١٣٩.

(٤) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص ١٦.



صورة رقم (٥٢): شاهد قبر شخص يدعى عجا بن شمش جرم بن (عجا) في كبيسة، مكتوب بالخط التدمري، الصالحي (واثق اسماعيل)، نشوء وتطور مملكة ميسان، ملحق الصور

رابعاً: أهم المواقع الأثرية في الحوض الجنوبي للخليج العربي:

لم يكن الحوض الجنوبي من الخليج العربي بأقل أهمية من الحوض الشمالي، وتعود أهميته التاريخية إلى فترة حضارة العبيد في الألف الرابع قبل الميلاد، حيث وجد فخار هذه الحضارة في جميع الإمارات الشمالية في دولة الإمارات العربية المتحدة، واستمرت هذه المكانة في عصر البرونز (الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد) حيث ظهرت في هذه المنطقة حضارة أم النار، والتي تبين من خلال التنقيبات الأثرية صلاتها المتينة مع دلمون وبلاد السند وبلاد فارس. أما خلال عصر الحديد (الألف الأول قبل الميلاد) فقد خضعت هذه المنطقة لسلطة الإمبراطورية الأخمينية، التي جعلت من جنوب شرق الجزيرة العربية ولاية تابعة لها^(١). لا شك أن انهيار الإمبراطورية الفارسية بمقتل داريوس الثالث قد أسهم في استقلال جنوب الخليج العربي عن السلطات الفارسية، حيث لم تعد ماكا /Maka/ مكان ولاية فارسية، كما أن جهود الإسكندر لاستعمار الجزيرة العربية توقفت بموته المبكر، ولم تتجاوز حملاته الاستطلاعية سواحل الخليج، واكتفت البحرية السلوقية بالسيطرة على أهم الجزر والموانئ فيه، وهكذا كان جنوب شرق الجزيرة العربية خالياً من التأثيرات الأجنبية خلال القرن الثالث ق.م. لكن إذا كان دليل الاستعمار السياسي قد غاب، فدليل التأثير الحضاري بالثقافة اليونانية واضح^(٢)، وهذا ما سندرسه في أهم المواقع الأثرية في جنوب شرق الجزيرة العربية:



خريطة رقم (١٦): موقع مليحة والدور، أهم موقعين أثريين في الحوض الجنوبي من الخليج العربي.

¹⁾ Haerinck, E., **Internationalization and Business**, Op. Cit., p.194

²⁾ Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.51.

١ - موقع مليحة الأثري:

تعتبر مليحة Mleiha / الإمارات العربية المتحدة، اليوم أهم موقع أثري يرجع إلى الفترة السلوقية في جنوب شرق الجزيرة العربية، وهي في سهل داخلي مروي جيداً، يقع مباشرة غرب السلاسل المنخفضة من جبال الحجر في منطقة معروفة تقليدياً باسم الظاهرة، وعلى بعد حوالي ٢٠ كم تقريباً جنوبي المدينة الجنوبية الذيد Dhaid، وعلى مسافة ٥٠ كم شرق مدينة الشارقة؛ أي في المنطقة الداخلية من إمارة الشارقة. ويعد السهل الذي تقوم فيه مليحة من أهم بقاء الاستيطان في الإمارات الشمالية، ويحده غرباً شريط رمل سميك، يفصله عن ساحل الخليج العربي الجنوبي، ثم أن جبال عمان تحجبه من الجهة الشرقية عن الامتداد الشمالي لسهل الباطنة الساحلي. رغم ذلك يؤمن عدد من الممرات الطبيعية -وهي أودية على العموم- الوصول إلى أهم الموانئ على الساحل، وبالتالي يخطئ من يظن أن مليحة معزولة عن جيرانها. جرى التنقيب فيها لأول مرة في سنة ١٩٧٣م من قبل بعثة عراقية، ومنذ سنة ١٩٨٥م كانت موضوعاً لتحريات البعثة الفرنسية إلى الشارقة برئاسة ريمي بورشالات R. Boucharlat^(١). ثم بدأت بعثة محلية برئاسة صباح عبود جاسم في سنة ١٩٩٣م بأعمال تنقيب واسعة في منطقة مليحة وكشفت عن طبقات بنائية عديدة، ومقبرة واسعة، وتمكنت من الحصول على مواد أثرية في غاية الأهمية^(٢). ونقب الموقع خلال سنتي ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م من قبل بعثة بلجيكية. ونقب الموقع خلال ٢٠١٠ - ٢٠١١م من قبل بعثة فرنسية.

لقد قام فريق التنقيب الفرنسي بتقسيم طبقات موقع مليحة الأثرية إلى أربع مستويات، استناداً إلى الفخار، وتسلسل هذه السويات هو: مليحة واحد Mleiha I وتؤرخ ما بين ٣٠٠ - ١٥٠ ق.م ويرمز لها بـ PIR.A، مليحة اثنان وتؤرخ ما بين ١٥٠ - ١ ق.م ويرمز لها بـ PIR.B، ومليحة ثلاث تؤرخ ما بين ١ - ٢٠٠ ق.م ويرمز لها بـ PIR.C، ومليحة أربعة تؤرخ ما بين ٢٠٠ - ٢٤٠م ويرمز لها بـ PIR.D وتجدر الإشارة إلى الاستيطان المستمر في هذا الموقع طوال العصور الكلاسيكية^(٣). يبدو أن الموقع في القرن الثالث قبل الميلاد كان مخيماً كبيراً؛ إذ أنشئت ملاجئ ومخيمات متعاقبة باستخدام مواد خفيفة، أهمها سعف النخيل، لتناسب المناخ الحار في جنوب شرق الجزيرة العربية. وقد سمح تجميع مياه الفيضان الموسمية بقيام نشاط

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٤٦.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام، ص ١٩، ٢٠.

(٣) Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.51.

زراعي كافٍ على الأرجح في قاع بحيرة قديمة تقع شمال غرب الموقع^(١)، حيث عُثر في الموقع على بقايا حنطة من نوع (*aestivum Triticum durum*)، وشعير من نوع (*Hordeum vulgare*) وتمور من نوع (*Phoenix dactylifera*)، وتشهد هذه المخلفات النباتية على قيام نظام زراعي ناجح. كما مارس سكان مليحة أيضاً العديد من الأنشطة الأخرى^(٢)، أهمها التجارة والأعمال الحرفية؛ حيث عُثر على كميات قليلة من الفخار الهندي في الموقع (٨٧٠ شقفة)، وكميات أكبر من الفخار الفارسي وفخار ميسان، وربما كانت التجارة تعتمد على حركة القوافل التجارية. أما النشاط الحرفي فتظهر آثاره بصورة جلية في القطاعين (K و BF) من الموقع، تحددًا في الجهة الشمالية الغربية منه، حيث تظهر أدوات تحضير النحاس وصناعاته، بينما تظهر آثار تحضير خرز الأصداغ في القطاع E في الجهة الشرقية من الموقع^(٣). ويحد الموقع السكني من الشرق والجنوب مقابر السكان؛ والتي تضم العديد من الأضرحة الكبيرة المشيدة بالحجر المنحوت والطابوق الرملي، وبالمجمل تتكون المدافن القديمة من غرفة دفن تحت الأرض، مع برج تذكاري ضخم مربع مبني من اللبن ومزخرف بشرفات، وهذا النمط من المقابر ليس له مثيل أقدم منه في المنطقة، لكنه مشابه للقبور الباكرا عند الأنباط والتدمريين وفي قرية الفاو Qaryat al-Fau عاصمة مملكة كندة^(٤).

لقد أصبحت مليحة في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد أكثر تعقيدا في بنيتها السكنية على نحو متزايد، حيث بدأ السكان بتشديد منازلهم من اللّبن، وبترتيبها في تجمّعات، وامتد الموقع على مساحة واسعة، حتى البيت الواحد صار يشمل عدة كتل منفصلة عن بعضها، منفصلة بالفسحات السماوية التي كانت تستخدم للنشاطات الحرفية، وهذه المنازل الضخمة تعكس بنية اجتماعية معينة قائمة على نظام الأسرة الكبيرة والبنية العشائرية للموقع. أما أهم النشاطات الحرفية؛ فتتضمن آثار العمل في الحديد في القطاع BS، واستمرار العمل بنحت الحجارة الناعمة والعظام في المنطقة الشمالية الغربية من الموقع^(٥). وقد عمل سكان مليحة خلال هذا القرن بالتجارة؛ فرغم أنه لم يكن هناك ميناء خلال النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد على الساحل الممتد بين قطر ومضيق هرمز، إلا أنه عُثر في طبقات المليحة الأثرية على فخار

(١) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، القرن الأخيرة قبل الإسلام، أربعون عاما من التعاون الأثري بين الإمارات العربية المتحدة وفرنسا، ترجمة محمد خضير، الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، ص ٧٩.

(٢) Potts, D. T., (2001) Op. Cit., p.51.

(٣) Reddy, L, A., (November 2013) Looking form Arabia to India: Analysis of the early Roman 'India trade' in the Indian ocean during the late Pre-Islamic period (3rd Century BC - 6th Century AD)., A Thesis Submitted to Deccan College Postgraduate and Research Institute For the Award of the Degree of Doctor of Philosophy in Archaeology., p.29.

(٤) Potts, D. T., (2001) Op. Cit., p.51.

(٥) Reddy, L, A., (2013) Op. Cit., p.29.

مستورد من ميسان وفارس، وفخار إغريقي أسود، وقطع نقدية ضربت في الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة العرب، وبالتالي ربما كانت تجارة ملححة مع شمال شرق بلاد العرب قد اعتمدت على القوافل التجارية^(١).



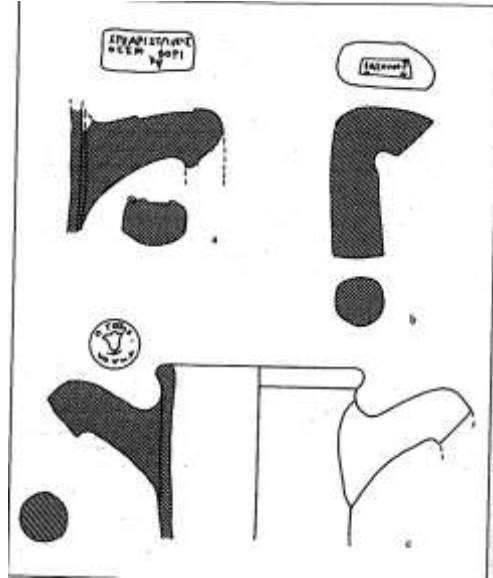
صورة رقم (٥٣): واحة ملححة - إمارة الشارقة

لقد تركز الاستيطان السكاني خلال هذه الفترة في المنطقة الأثرية الجنوبية الشرقية، بين منشأتين سكنيتين مُحَصَّنَتَيْن كبيرتين^(٢)، الأولى: منها مبنى ضخم متعدد الغرف واقع في القطاع (٤)، له فناء داخلي فسيح، وأرضيات مجصصة، فسمي القصر، وتشهد آثار النار على جدران الآجر الطيني على تدميره، مثلما تفعل البقايا المتفحمة من المواد العضوية المتنوعة، والتي تشمل الخبز والتور والحبوب والخشب والمنسوجات ووسائل القصب. أما المنشأة الثانية فبناء مربع تقريبا ضلعه ٣,٦٥م تقريبا، شيد بالآجر الطيني، واعتبر ضريحا وقد رصفت أرضيته هنا أيضا بملاط الجص. ومن أهم اللقى التي عثر عليها في حجرته مواد مستوردة من الغرب أهمها قطعتا (كسرتا) مقبضي قاروريتين (أمفورا amphorae) رودسيتين وتحمل أحدهما اسم الصانع إياسونس Iasonos (جيسن Jason)، ويمكن إعادة تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد. وعلى القطعة الثانية اسم الصانع وشهر الصنع: بانامو انتيغونو Panamou Antigonou، وكذلك طبعة ختم وردة رودس. ويمكن إرجاع تاريخها إلى ما بين ٢٢٠ - ١٨٠ ق.م، وفي أثناء التنقيب في

^{١)} Haerinck, E., **Internationalization and Business**, Op. Cit., p.199.

^{٢)} موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، **القرن الأخيرة قبل الإسلام**، ص ٧٩.

وسط الحجرة، عثر المنقبون الأثريون على أشياء مهمة تضم كأسا برونزيا متقنة، وإناء زجاج الألف زهرة Millefiori، من القرن الأول قبل الميلاد مستورد من الشام أو مصر، وعدة رؤوس رماح نحاسية^(١).



صورة رقم (٥٤): مقابض قوارير أمفورا رودسية من مليحة مختومة. دانيال بوتس، الخليج العربي، ج ٢، ص ١٠٤٩

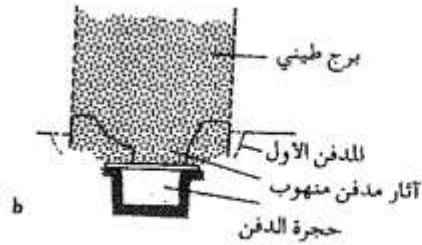
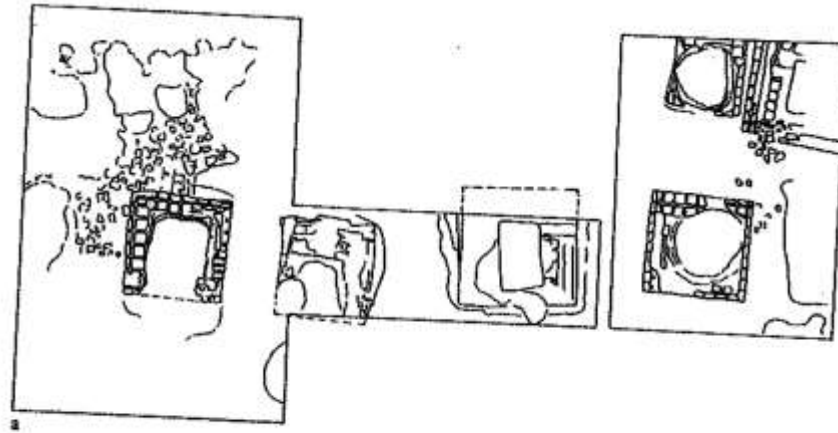
وقد أجرت البعثة الفرنسية في سنة ١٩٨٥م مسحا كهرومغناطيسيا في مليحة، فحددت موقع عدد من مباني الآجر الطينية، وتأكد أن البناء المربع هو ضريح قبر، كما تم العثور على أربع مباني أخرى من الآجر الطيني من ذات النوع، تتوالى على نسق واحد اتجاهها شرق - غرب، مثلما كانت تتجه صفوف قبور أخرى إضافية. وقد تميزت هذه القبور بالبرج أو الرصيف المربع (يتراوح ضلعه ما بين ٢,٧٥ - ٤,٢٥م) علوه ٣ أمتار في الحد الأدنى، كشاهد على موقع الدفن. وقد تعرضت معظم هذه القبور في مليحة لعمليات سلب منظمة، وفي المقابل أمكن في بعض الحالات استعادة بعض البقايا المتناثرة من لقي الأضرحة. وتضمنت لقي الأضرحة قطعا من أواني الزجاج، والبرونز والمرمر، وخرزا من الحجر والذهب، ورؤوس سهام حديدية، ونصال رماح، كما عثر على قطعة من تمثال حصان مفرغ من البرونز. وأعطى سطح الموقع لقي مهمة أيضا شملت كسرا من عدة كؤوس (أكواب) متقنة تحمل إحداها مشهدا محززا يمثل أسدا مقابل رجل يستخدم درعا، ويهاجمه من خلفه رجل ثاني يسمك خنجرا. كما عثر على رأس حصان عليه اسم مارشمس Marasms في الأحرف العربية الجنوبية، وقد أرخ هذا النص طبقا لخطوط بالقرن الثالث ق.م، وهناك لقية أخرى مهمة هي تمثال صغير برونزي النقطة أحد السكان المحليين صدفة من سطح الموقع.

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٥١.

والشخص يرتدي تنورة ذات ثنيات، وهو عار من خصره حتى أعلاه، ما عدا عصابة الرأس، ويحمل طيرا على يده اليمنى الممدودة^(١).



صورة رقم (٥٥): حجر الدفن تحت الأرض.



صورة رقم (٥٦): مخطط القبور المنقبة في مليحة (الصورة أ)، مع محاولة إعادة إنشاء المدفن (الصورة ب)، دانيال بوتس، ص ١٠٤٦

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٥١.

عموما لقد عثر في بيوت هذه المستوطنة وقبورها على الكثير من الفخاريات، بعضها محلي الصنع وبعضها الآخر أجنبي ومستورد، وربما أنتج في جنوب غرب إيران، أو في جنوب العراق، والفخاريات الحمراء السوداء المميزة بسهولة أنتت من شمال شرق الجزيرة العربية، أو من الجزر الخليجية مثل البحرين فيلكا، كما عثر على كسر فخاريات يونانية سوداء مزججة مستوردة من عالم بحر إيجه والبحر المتوسط، بالإضافة إلى ٦ مقابض قوارير رودسية مختومة، من بينها اثنتان عثر عليهما في المنشأة الثانية (تمت الإشارة إليهما)^(١). أما مقبض القارورة الرودسية الثالثة فقد تم التقاطه من سطح الموقع سنة ١٩٨٦م، وتحمل اسم القاضي أرسطونس Aristonos مع اسم شهر الصنع الرودسي ثيومفوريس Theomphorios وثبت أن قاضيا رودسيا اسمه أرسطون Ariston كان يمارس عمله لمدة سنة في وقت ما بين سنتي ١٨٢ - ١٧٦ ق.م. كما يوجد عدد كبير من كسر البدن القرنفلية الملتقطة من الموقع، التي يظن أنها قطع قوارير^(٢).

ومثلما ظهرت المؤثرات اليونانية قوية في موقع مليحة، ظهرت كذلك مؤثرات عربية لا تقل أهمية عن نظيرتها، حيث تم العثور على سلسلة مهمة من المكتشفات؛ نقوش كتابية عديدة بالخط العربي الجنوبي، أو كتابات إحسانية^(٣)، فكما في ساحل شبه الجزيرة العربية الشرقي؛ المطل على الخليج العربي، يبدو أن هذا المجتمع تحدّث لغةً كتبت بلهجة إحسانية؛ والتي تفرعت من الكتابة العربية الجنوبية، ووجدت أدلة على استعمال الآرامية أيضاً^(٤). في سنة ١٩٧٧م كتب تقرير عن حجر عليه نقش جنوبي عثر عليه في مليحة، ومضمون النقش على الشكل التالي (شاهد وقبر دهاريات خادم الملوك)، وقد أرخ هذا النص بالقرن الخامس قبل الميلاد، واعتبره المؤرخون أقدم شاهد على دخول العرب الجنوبيين إلى منطقة جنوب الخليج العربي^(٥). وقد تميزت مليحة بإعطاء أهمية كبيرة للجمال (يمكن أن يلاحظ ذلك في صنع الأيقونات، ودفن تلك الحيوانات في قبور مع أصحابها)، بالإضافة إلى وجود سلع مستوردة من جنوب الجزيرة العربية^(٦)؛ مزهريات مرمر وجدت في السوية الثانية في مليحة، وأوعية برونزية منقوشة على هيئة خلية النحل، وعدد من القطع النقدية العربية الجنوبية التي التقطت من سطح الموقع^(٧). كما وجدت في الموقع أدلة على الأنشطة البشرية (أدوات خزفية متنوعة، وقوالب متقلبة)؛ وجميعها مؤشرات على أن السكان من أصول بدوية، اعتمدوا على الأرجح بقوة

¹⁾ Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.52.

^(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٥٢.

^(٣) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام، ص ١٩، ٢٠.

^(٤) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، القرن الأخيرة قبل الإسلام، ص ٧٤.

^(٥) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٤٨.

^(٦) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، القرن الأخيرة قبل الإسلام، ص ٧٤.

⁷⁾ Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.52.

على تجارة القوافل العربية، وتبادل السلع^(١). وكل ذلك يشير إلى متانة روابط هذا الموقع مع جنوب الجزيرة العربية، ويتوافق مع ملحمة هجرة قبيلة الأزد Azd العربية بقيادة مالك بن فهم من اليمن إلى صحار نحو سنة ٩٠م، والتي ساهمت في إعادة رسم المشهد القبلي الشعبي في المنطقة^(٢). وتجدر الإشارة إلى المؤثرات لم تقتصر على عرب الجنوب، فجوانب التشابه الملاحظة بين آثار الدفن في منطقة مليحة، وتلك الآثار في قرية الفاو في وسط الجزيرة العربية، والبتراء في الأردن، وتدمر في سورية؛ تشير إلى رابطة ثقافية جمعت بين مجموعات سكانية تحولت إلى الاستقرار في وقت واحد تقريباً، في جميع تلك المناطق^(٣).



صورة رقم (٥٧): كتابات عربية جنوبية، وآرامية، ولاتينية على مواد مختلفة من موقع مليحة والدور/ الإمارات العربية.

Potts, D.T., 2001, p.53

أما في مطلع العصر الميلادي (أي الفترة الرابعة من مليحة؛ ١ - ٢٠٠م) خلال الفترة المعروفة بـ PIR.C، فقد بُني في مليحة حصن، اكتشف خلال تنقيبات سنة ١٩٩٠م في القطاع (CW) الواقع على طول الطريق الذي يربط الذيد Dhaid بموقع المدام al-Madam، ويظهر للعيان أن الحجرات في تلك

(١) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، القرون الأخيرة قبل الإسلام، ص ٧٤.

(٢) Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.52.

(٣) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، القرون الأخيرة قبل الإسلام، ص ٧٤.

الأبنية مرتبة حول فناء مركزي يتكون من طابقين^(١)، وقد بني الحصن باللبن بقوالب مربعة تقريبا بأبعاد قدرها ٦٠ × ٦٥ سم، وقد أحيط هذا الحصن بجدار سميك قدره ١٩٥ سم، ودعم بثمانية أبراج مربعة، برج في كل زاوية، وبرج في منتصف كل جدار، طول ضلع كل برج نحو ٥,٥ م، وقد بنيت الغرف من الداخل على جدار الحصن حول فناء مركزي، وتجدر الإشارة إلى مهن مختلفة قد مورست في عُرف الحصن^(٢)، كان أهمها دليل على سك النقود؛ حيث عثر في هذا الحصن على قالب لإنتاج العملات المعدنية، يحمل سلسلة محفورة من أشكال رؤوس هرقل، الذي يرتدي فروة أسد نومين على وجهه، وتظهر هذه الصورة عادة على وجوه العملات. وهذا يوحي بأن هذا الحصن كان مقرّاً حكومياً، وسكناً للنخبة الحاكمة؛ حيث كان سك العملة امتيازاً ملكياً في العالم القديم^(٣).

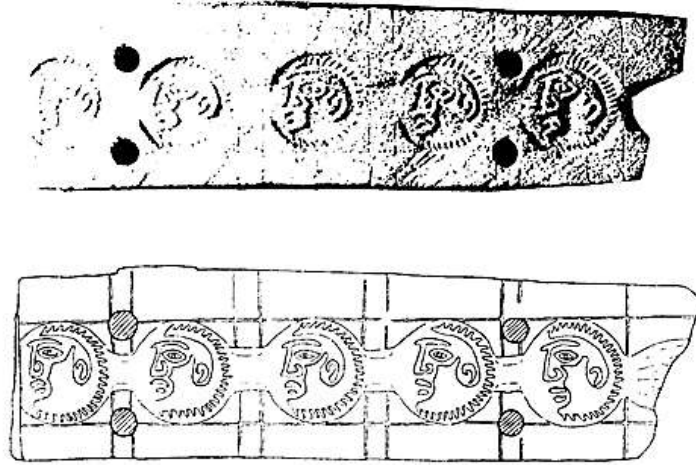


صورة رقم (٥٨): حصن الشارقة القرنين الثاني والثالث الميلاديين

(١) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، القرون الأخيرة قبل الإسلام، ص ٧٤.

^٢) Reddy, L, A., (2013) Op. Cit., p.30.

^٣) Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.57.



قالب سك عملة عثر عليه في مليحة، ما يؤكد أن إحدى دور السك في شرق الجزيرة العربية كانت فيها

إن المكتشفات التي تمت في السنوات الحديثة في كل من مليحة والدور لا تدع أي مجال للشك، بأن جنوب شرق الجزيرة العربية كان قد امتلك دوراً للسك خاصة به، وأن سكان مليحة قد سكوا نقودهم الخاصة بهم منذ بواكير استيطانهم تقليداً لعملة السلوقيين، لكن مع إسباغ طابعهم عليها^(١)؛ فبينما كانت النقود السلوقية تستخدم اسم الإسكندر، ضربت نقود مليحة باسم أبي أيل Abi'el * وبشعار النسر أو الحصان، حيث يُعتقد أن بعض الإصدارات المميزة من العملة باسم أبي أيل قد سُكَّت في مليحة، كما أظهرت تنقيبات البعثة الفرنسية في مليحة عدداً متزايداً من المسكوكات في كل موسم، والعملات التي سُكَّت في مليحة عثر على المئات منها في الدور ومليحة، وفي شمال شرق الجزيرة العربية^(٢). وما أكد أن هذا الحصن كان مقرّاً حكومياً؛ أنه قد تم اكتشاف ورشة عمل كاملة لسك العملات من خلال استخدام القوالب، والتي اكتشف ثلاثة منها في الحصن المشيد في القطاع (ج و) من الموقع الأثري، وهو ما يؤكد الدور السياسي والاقتصادي للنخب الحاكمة في مليحة^(٣).

(١) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام، ص ٩٨.

* كان أبا أيل من ملوك الجراء الأقوياء، وقد امتد سلطانه على كامل الخليج العربي، وإلا لما ضربت النقود باسمه، حيث تجدر الإشارة إلى أن المنقبين الأثريين عثروا على نقود في البحرين تؤرخ بالقرن الثاني قبل الميلاد ضربت باسم أبا أيل، بينما نقود مليحة أرخت بالقرن الأول الميلادي، ويقترح دانيال بوتس أن هناك شخصية سياسية ثانية مهمة حملت الاسم ذاته قد ظهرت في منطقة جنوب الخليج العربي. لكنه عاد وقدم اقتراح هو من وجهة نظره منطقي أكثر، هو أن دور السك ظلت تضرب نقودها باسم الإسكندر المقدوني طوال منتهي سنة بعد موته وفي أماكن مختلفة من العالم، وبالتالي ربما أن الخليج العربي تمثل هذا النهج وسك نقوده باسم أبا أيل والذي حكم الجراء خلال فترة ما؛ في القرن الثاني قبل الميلاد. انظر: Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.58.

^(٢) Ibid, p.57.

(٣) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، القرن الأخيرة قبل الإسلام، ص ٧٤.

وأحد أهم الإبداعات التي ميزت منطقة الخليج العربي الجنوبية خلال العصر السلوقي هو **ظهور الحديد** بكميات كبيرة، ولاسيما كأدوات نفعية مثل المسامير وسيوف ونصال، وسواء كانت هذه المواد الحديدية قد صنعت هنا أم تم استيرادها من الخارج، رغم أنه عثر على مجموعة إشارات في مواقع أملح Emalah وبوهايش Buhais وجبل Jebel Faiyah جنوب مليحة تبين أن الحديد صنع في هذه المنطقة. لكن التحول عن معدن النحاس إلى استخدام هذا المعدن (الحديد) يدعو إلى التساؤل، فالنحاس معروف منذ زمن في منطقة الخليج العربي الجنوبية، وهو موجود في جبل هجر، ويتم استيراده من الهند بكميات كبيرة، وتقاليده صناعته في جنوب الخليج العربي عريقة، وقد فسر دانيال بوتس هذا التحول بالحضور السياسي السلوقي في الخليج العربي، فحضورهم حفز سكان المنطقة لصناعة سيوف ودروع جديدة من معدن أصلب، في حين كان السكان في السابق متعودين على استخدام البرونز الذي يدخل النحاس بنسبة كبيرة في تكوينه^(١).

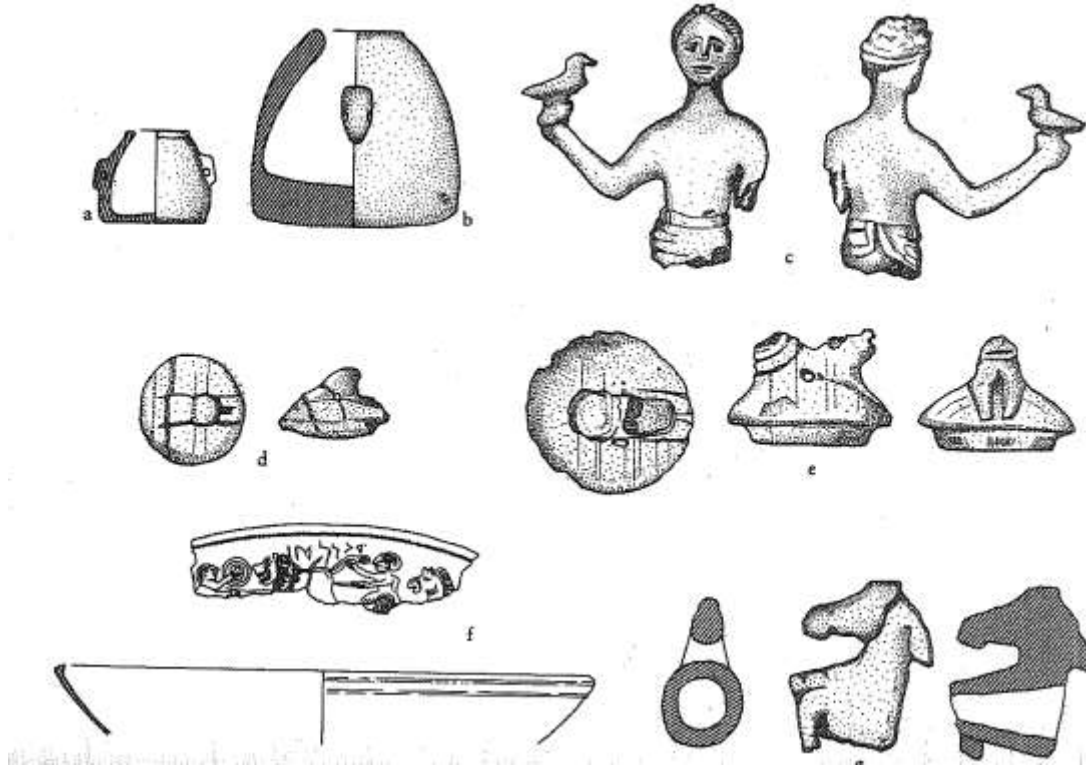
أما خلال الفترة الأخيرة من مليحة PIR.D والتي تميزت بكميات كبيرة من الفخار الهندي في الموقع، وبجرار التخزين الكبيرة، وبالمزهريات الفخارية الجميلة، تركّز الاستيطان في المنطقة الشمالية الشرقية من الموقع، وقد عرف الموقع خلال هذه الفترة بناء المساكن الملتصقة ببعضها بعضاً، أو المنفصلة بأزقة ضيقة، ما يوحي ببنية دفاعية، وقد تم كشف النقاب عن أربعة بيوت، نقب واحد منها بالكامل، هذا البيت في القطاع DA وتبين أنه مكون من (٦) غرف وفناء مرفق قسم إلى اثنين بواسطة جدار منخفض، بينما تألف البيت المجاور من خمس غرف منفصلة، وكشف عن زوايا بيتين آخرين، لقد بنيت جميع هذه البيوت قريبة من بعضها، على نقيض الفترات السابقة التي بوعد فيها بين البيوت، كما عثر على مقرّ سكني مُحصّن في القطاع (H) في المنطقة الشمالية الشرقية من الموقع، مربع الشكل تقريباً أبعاده ٣٢ × ٣٠ م يشمل خمس عشرة غرفة مرتبة حول فناء مربع أبعاد الفناء ٢٠ م لكل ضلع منه، اكتشف هذا الحصن بفضل مسوحات البعثة الأثرية العراقية، واكتملت التنقيب فيه سنة ٢٠١١ م، وقد بني هذا الحصن المربع في وسط مساحة أبعادها ٧٠ م × ٦٥ م مُحاطة بتحصينات ومزودة أيضاً بثمانية أبراج مربعة، برج في كل زاوية وبرج في منتصف كل جدار، وهذا يدعونا لمقارنة هذا الحصن بالحصن الموجود في القطاع (CW). وتمت تقوية دفاعات الحصن (H) عن طريق تشييد جدار تطويقي^(٢). كما بني حصن صغير في مركز موقع الدور، ليوفر ملاذاً آمناً في أثناء الصراعات، ويشهد تطویر تلك العمارة الدفاعية على فترة عدم استقرار متزايد^(٣).

^١) Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.53.

^٢) Reddy, L, A., (2013) Op. Cit., pp.30, 31.

(٣) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، القرون الأخيرة قبل الإسلام، ص ٧٦، ٨١

أخيرا هُجر هذان الموقعان (الدور ومليحة) والمستوطنات المعاصرة لهما في وقت واحد (في نهاية الصيف في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي)، وتركت مواد الموقع على الأرضيات، ولاسيما سقف الحصن (H) المكون من سعف النخيل؛ حيث وجد محرقا على الأرضية، وظهرت طبقات الرماد وآثار الحريق على مختلف أطراف الحصن (H)، ولم يُشغل الموقع مرة أخرى ربما بسبب أحداث كبيرة وقعت في منطقة الخليج العربي، وهو ما أظهرته آثار قديمة مُتفحمة لعنب طازج حُفِظ في طبقات محروقة. وبصورة مفاجئة نُهب ودُفِن أحد الأبنية المحصنة في مليحة. ويلقي هجر هذين الموقعين (الدور ومليحة) الضوء على نهاية ثقافة، وتحول الناس نحو ثقافة جديدة. وتحفظ التقاليد العربية والفارسية بذاكرة الحملة العسكرية للملك الساساني أردشير Ardashir (٢٢٤ - ٢٤٠م) ضد الملوك الذين ضعفت سلطتهم على الساحل الشرقي للجزيرة العربية حوالي سنة ٢٤٠م، ورغم ذلك، تظل العلاقة بين الحقائق المُستقاة من السجل الأثري والأساطير المحفوظة في أدب القرون الوسطى واجبة التوضيح^(١).



صورة رقم (٦٠): جرار مرهم صغيرة من المرمر مع أغطيتا، وقطعة من تمثال برونزي صغير، وقعة كأس برونزي محرز، وصدر حصان برونزي مجوف مصبوب، كلها من مليحة، نقلا عن دانيال بوتس، الخليج العربي، ج ٢، ص ١٠٥٣.

(١) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، المرجع نفسه، ص ٧٦، ٨١.



صورة رقم (٦١): كنز من المصنوعات البرونزية، المبنى (H) في مليحة.

٢- موقع الدور الأثري:

تمتدُّ منطقة الدور الأثرية على بعد حوالي خمسة عشر كيلو مترًا تقريبًا من مدينة أم القيوين؛ على طول طريق دبي- رأس الخيمة^(١)، وعلى بعد نحو ١٢٠ كم من مضيق هرمز Hormuz، ويعتبر موقع الدور من أكبر المواقع الأثرية التي تعود إلى الفترات الرومانية- الفارثية، الواقعة في منطقة الخليج العربي الجنوبية، والموقع معروف منذ أوائل السبعينات، حيث نقتب فيه بعثة أثرية عراقية في سنة ١٩٧٣م، ثم صار منذ ١٩٨٧م مقصداً للتنقيبات واسعة من قبل البعثات الأوروبية المتعاقبة، والتي لا زالت مستمرة^(٢). لقد كشفت البعثة البريطانية العاملة مع البعثة الفرنسية ضمن برنامج بحثي دولي ضم كذلك أيضاً بعثات دنماركية وبلجيكية؛ مساحات واسعة من مستويات الاستيطان، ورغم ذلك فإن الفترة الرئيسية من الاستيطان في وسط المنطقة الأثرية تعود الى القرون الميلادية الأربعة الأولى. لقد بينت تلك التنقيبات أن الموقع الأثري يحتل مساحةً يبلغ طولها أربعة كيلومترات من الشرق إلى الغرب، وعرضها كيلومتراً واحداً، ويبعد عن الشاطئ نحو

(١) لوكونت، أوليفيه (٢٠١٧م)، موقع الدور (إمارة أم قيوين)، ضمن دليل: أربعون عاماً من التعاون الأثري بين الإمارات العربية المتحدة وفرنسا، ترجمة: محمد خضير، الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، ص ٨٣.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام، ص ١٩.

كيلومترا واحدا. يَحُدُّه من الشمال مباشرة؛ حزام من الكثبان الرملية يُطلُّ على بحيرة مجاورة (خور يفرع)^(١)، وعلى بعد واحد كيلو متر تقريبا من جهة الشمال أيضا يقع جون خور البيضاء المحمي من الرياح، الذي كان بلا ريب يخدم الموقع الأثري في العصور القديمة كميناء^(٢)، وتوجد إلى الجنوب من الموقع مجموعة كثيفة من الكثبان الرملية. وحُدِّت الحدود الغربية للموقع الأثري استنادًا إلى حضور أو غياب أكوام من المحار والصدف مرتبطة غالبًا بكسر فخاريات مبعثرة من العصر الحديدي^(٣)، حيث شكلت خطا يعين خط الشاطئ الأصلي، وكذا ينبغي أن تعد موقع الدور الأثري موقعا ساحليا، رغم عدم وقوعه مباشرة قرب الماء، وخلافا لمعظم المستوطنات الواسعة المنتشرة في الشرق العربي القديم، لا تبدي الدور كثافة بقايا مبانٍ ضمن رقعة محدودة نوعا ما، ولا تتضمن أي مجموعات منازل تخترقها الشوارع، أو الفناءات المكشوفة، بل تعتبر بقعة رملية فسيحة تتوزع فيها خرائب مبانٍ متفرقة، ضمن مساحة شبه متصلة فيها الصدف والقطع الفخارية (بلغ عددها نحو ١٣ ألف قطعة) والحجارة^(٤).

لقد كان موقع الدور مستوطنا في أثناء فترة حضارة أم النار Umm an-Nar، كذلك خلال العصر الحديدي، وبعدها هجر ردحا من الزمن، ثم أشارت التنقيبات الأثرية إلى أن موقع الدور تم استيطانه جزئيا في العقود الأخيرة من القرن الأول قبل الميلاد، من قبل مجموعة من السكان (ربما كانوا من التجار)، حول حصن صغير، مع معبد صغير لإله الشمس Shamash، بالإضافة إلى وجود مجموعة من المدافن، حيث كانت البيوت السكنية قد بنيت من مواد خفيفة؛ أهمها سعف النخيل واللبن^(٥). بدأ هذا الموقع ينشط في نقل البضائع التجارية، ثم امتد الاستيطان إلى البقاع المحيطة في بداية القرن الأول الميلادي، وشهد فترة ازدهار حقيقية تدل عليها آثار الحصن، الذي كان مقرًا سكنيًا للنخبة التي حكمت فيه من منتصف القرن الأول الميلادي حتى القرن الثالث الميلادي^(٦)، وخلال هذه الحقبة صار موقع الدور أهم ميناء تجاري بحري في منطقة جنوب الخليج العربي، وتم التخلي تماما عن قوافل الجمال في نقل البضائع التجارية، حيث صارت البضائع تنقل رأسا بالسفن إلى ميسان^(٧). ويرى كثير من الباحثين أن استيطان هذا الموقع ودوره التجاري الذي بدأ يلعبه، ربما كان بمبادرة محلية، لكن من المؤكد أن لمملكة ميسان دورا مهما في تشجيع هذه الخطوة

(١) لوكونت، أوليفيه (٢٠١٧م)، موقع الدور (إمارة أم قوين)، ص ٨٣.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٥٨.

(٣) لوكونت، أوليفيه (٢٠١٧م)، موقع الدور (إمارة أم قوين)، ص ٨٣.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٥٨.

(٥) موتون، ميشيل (٢٠١٧م)، القرون الأخيرة قبل الإسلام، ص ٧٤.

(٦) Reddy, L. A., (2013) Op. Cit., p.46.

(٧) Haerinck, E., (1998) International contacts, Op. Cit., p.298.

ومباركتها، حيث أرادوا أن تصل لهم متاجر الهند مباشرة دون أن تمر بالجرهاء أو غيرها من موانئ الخليج العربي، فوجدوا في موقع الدور خير ميناء وموقع، هذا بالإضافة إلى أن طلب الغرب على منتجات الشرق قد ازداد باضطراد، ومن غير المعلوم إن كان لسكان موقع الدور سفنهم الخاصة للقيام بعمليات نقل لبضائع، أم أنهم اعتمدوا على سفن غيرهم. لكن من المؤكد أن موقع الدور تحول إلى ميناء تجاري مهم ارتاده التجار من مختلف الجنسيات؛ بالإضافة لسكانه العرب، ارتاده تجار عرب من مناطق أخرى (تدمر وميسان) وتجار هنود وفرنس وربما رومان، وجميعهم شاركوا في العمل المريح^(١).

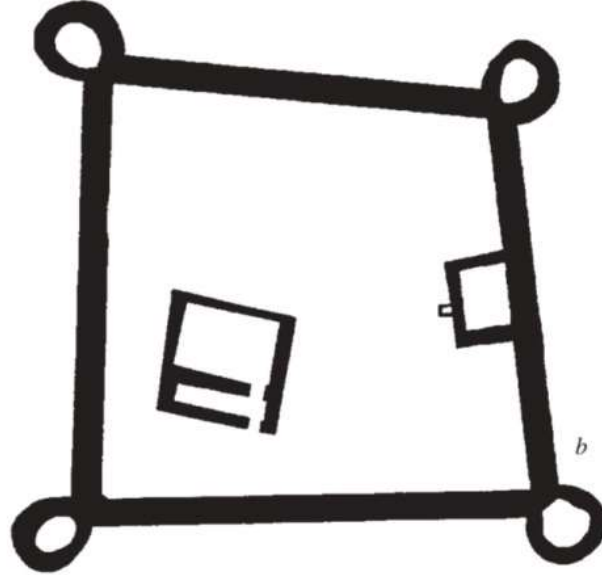
أما بخصوص الزراعة فإنه من الصعب الحديث عنها في هذا الموقع، بسبب حركة الكثبان الرملية، التي طمرت كل شيء، ورغم ذلك تم العثور على بئرين مبطنتين بالحجارة فيه، مع الإشارة إلى أن الحصول على الماء الباطنية ميسور في هذه البقعة على أعماق ضئيلة نسبياً ولم يعثر على بقايا حبوب في التنقيب حتى الآن، باستثناء سلة محروقة تحتوي مئات من نوى التمر في القطاع Z خلال موسم تنقيب سنة ١٩٨٩م، وهو ما يؤكد على أهمية نخيل التمر في الاقتصاد المحلي، ولم تكن عظام الحيوانات وافرة، إلا أن هيكل الجمل العظمي المأخوذ من القطاع F يثبت استعمال هذا الحيوان الأهلي الهام. ويؤمن صيد السمك وجميع الأصداف مصدر بروتين واضح رغم أن عظام السمك لم يعثر عليها بكثرة^(٢). ومهما يكن من أمر، لا بد من دراسة البنية الأثرية للموقع:

لقد كانت البعثة العراقية إلى الإمارات العربية المتحدة قد أجرت في سنة ١٩٧٣م، استقصاء قصيرا في موقع الدور، ونقبت تلا صغيرا فيه؛ فكتفت بقايا مبنى مستطيل متواضع، شيد بحجر خالي من الملاط. إضافة إلى ذلك نقب تل أكبر منه في أعلى حزام الكثبان الرملية التي تفصل الموقع عن البحيرة تجاه الشمال، تبين أنه يحوي خرائب حصن مربع الشكل تقريبا، ضلعه قرابة ٢٠م وعرض جدرانه ٧٠سم، في زواياه أبراج دائرية الشكل، قطرها قرابة (٤) أمتار، على غرار جميع العمارة في هذا الموقع الأثري، وقد شُيّد الحصن بحجر كلسي شاطئي متوفر محليا، خشن يتضمن في الغالب نسباً عالية من الصدف غير المنحل. ويشتمل داخل الحصن على مبنى صغير مؤلف من غرفتين، مربع تقريبا، يبلغ ضلعه قرابة ٦ أمتار. وتعد أهم اللقى التي عثرت عليها البعثة العراقية ثمانني قطع نقدية، اثنتان من مملكة ميسان، وأربعة من إصدارات أهلية،

^{١)} Haerinck, E., **Internationalization and Business**, Op. Cit., p.200.

^{٢)} بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٧٤.

واثنتان غير مقروعتين، ولم يعثر على أي قطعة مقترنة بالقلعة، بل كلها لقى سطحية. وهذه القطع هي قطع أخرى؛ عُثر عليها في وقت أحدث في هذا الموقع الأثري^(١).



صورة رقم (٦٢): حصن الدور

بينما ركزت أعمال الفريق الفرنسي بقيادة أوليفيه لوكونت بين سنتي ١٩٨٧ - ١٩٩٤م على المساحة المحيطة بالحصن؛ فتبين أنه حول القلعة تجمعت أعداد كبيرة من الحجارة الكبيرة، التي كانت مستخدمة في بناء بيوت سكنية خاصة صغيرة نوعا ما تتراوح ما بين الغرفة والغرفتين، ويبدو أن هذه الحجارة جلبت من مكان بعيد عن الموقع، ويبدو أن هذه البيوت كانت مسقوفة بسعف النخيل. كما كشف عن عدد من المباني السكنية الكبيرة التي تضم أربعة غرف^(٢). ويمكن إعادة تأريخ جميع هذه المساكن بالقرن الأول الميلادي، أولا على أساس العديد من الكؤوس الرومانية الزجاجية المصبوبة عموديا، وثانيا على أساس الخزفيات المرافقة لهذا المبنى، والتي تشمل أنواعا من الفخاريات المستوردة والمحلية. ويبدو بيت واحد في الحد الأدنى في الظاهر (القطاع ج) خاصا بالحياة المنزلية، لكنه يمثل دار نخبة من السكان، وهو منشأة مؤلفة من أربع غرف تحتوي أحدها منصة آجر طيني مربعة تشغل كل مجال الأرضية المتوفرة تقريبا. وعثر على ملاط الجص الأبيض محفوظا على طول قسم من أحد الجدران الداخلية، ويظهر أنه استعمل ضمن المبنى،

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٦٠.

(٢) Weekes, L. R., (2004) An analysis of Late Pre-Islamic copper-base artefacts from Ed Dur, U.A.E., Arabian archaeology and Epigraphy 15, p.240.

وتتدفع الجدران إلى الشمال والشرق من زاويتي البناء الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية بدعامات نصف مستديرة تلتصق بالخارج، ولا تختلف عن المباني المتأخرة في الجميرة^(١).

أما العمارة الدينية في الدور فتظهر من خلال المعبد المبني في المنطقة (M)، جنوب الحصن، والذي نقبت فيه بعثة تنقيب بلجيكية^(٢)، وقد ظهر فيه نص باللغة الآرامية يبين أنه مكرس لإله الشمس Shamash، حيث ظهر اسم هذا الإله في منتصفه، وتجدر الإشارة إلى أن اللغة الآرامية امست هي اللغة المستخدمة في شرق الجزيرة العربية منذ القرن الثالث/ الثاني قبل الميلاد فصاعدا^(٣). والمعبد بناء ضخيم مربع تقريبا مؤلف من غرفة واحدة أبعادها (٨م - ٨,٣٠م)، له مدخلان من الجدارين الشرقي والغربي، وحفظ حتى ارتفاع ٢م، مبني من الحجر الشاطئ، وتغطي واجهته واجهة متقنة الصنع من الملاط الجصي، مكيفه لكي تبدو مثل بناء الحجر المنقور نصف المنحوت، وتشمل عناصر الزخرفة المضافة بالجص: القوبلة على طول جوانب المدخل الغربي، ثم أفريز صليب معقوف متكرر على جانبي المدخل الشرقي، وكلاهما شاقوليان^(٤). إن زينة واجهة معبد الدور بهذا النمط الشائع خلال هذه الفترة في الشرق القديم، توحى بالموثرات الحضارية الخارجية في الموقع، هذا إذا علمنا أن هذه الزينة مثلا ظهرت على واجهة معبد هيرموبوليس Hermopolis في مصر، والأهم أن هذا النمط من الزينة ظهر على واجهة فيلا في مدينة بومبي Pompeii في إيطاليا^(٥).

ومن اللقى التي عثر عليها داخل المعبد؛ حجر كلس ضخيم مربع الشكل، منخفض الوسط، عثر عليه في منتصف الغرفة على أرضيتها، يحتمل أنه استعمل قديما. ويظن أنه جاء من ضريح مسلوب يعود تاريخه إلى فترة أم النار في البقاع الجنوبية من موقع الدور الأثري، من ضريح لأم النار، يبعد عدة كيلو مترات في تل أبرق. وعثر أيضا على قاعدتي تمثال من البرونز أو مذهبين على أرضية المبنى. وكانت أحدهما مستديرة القسمين (الأسفل والعلوي)، وغير مزخرفة، بينما زينت الثانية بركيزة مربعة وأرجل صغيرة وجوانب مستوية، بتمثال نصفي لرجل عليه جوخ متدل ومتجدد. وعثر على قنديل روماني برونزي مقبضه هلال، موضوع في جدار المبنى الشرقي، وسجل أيضا وجود تمثال طير من حجر الكلس، خشن وصغير، وقطعة من نقش آرامي أيضا، وكشفت تنقيبات أخرى خارج المعبد عن وجود ثلاثة مذابح، مبنية ببلاط من الحجر

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٦٢.

(٢) Weekes, L. R., (2004) Op. Cit., p.240.

(٣) Haerinck, E., Internationalization and Business, Op. Cit., p.205.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٦٣.

(٥) Haerinck, E., Internationalization and Business, Op. Cit., p.205.

الرملي النموذجي المستعمل في جميع الأماكن في الموقع الأثري. إضافة إلى ذلك اكتشف بئر مبطنة بالحجارة على مسافة عدة أمتار من المبنى. وعثر أيضا على مبخرة حجرية منقوشة، عليها تسعة أسطر باللغة الآرامية وقد حفظ هذا الحجر حفظا سيئا، تصعب قراءته، وإن كان علماء اللغات القديمة قد تمكنوا من قراءة اسم إله الشمس^(١).

ويعد أضخم مبنى في موقع الدور منشأة متعددة الغرف (القطاع F) وتغطي مساحة ٦٠٠م^٢ ونيفا. ويمكن تقسيم تاريخ المبنى إلى ثلاث فترات زمنية رئيسية، ويبدو أن تاريخها كلها يعود إلى ما بعد فترة الاستيطان الرئيسية في الموقع الأثري. ففي الفترة الأولى من استعمال هذا القصر الصحراوي (المُحاط بأربعة أبراج) لم يستخدم سكنا عاديا، لأنه لم يعثر فيه البتة تقريبا على ما يمكن تسميته بقايا منزلية عادية (عظام حيوانات، خزفيات، الخ)، بل تميزت هذه الفترة بدفن رجل في إحدى الغرف الداخلية، في المساحة المركزية من المبنى وإلى جانبه جمل؛ أي بطقوس تضحية جمل ودفنه. وعثر على هيكل الجمل العظمي سليما، وما يزال بجانب سيف بغمده، وربما أن التضحية بالجمل تمت عند دفن الميت^(٢)، كما تم التنقيب في مدفن آخر في الخارج، في محور الباب، على خط موازٍ للقبر الأول. وقد تم كذلك العثور على قبر لجمل يتجه نحو الجنوب الغربي^(٣). وقد عثر على دفن جمل عائد إلى الفترة الزمنية ذاتها في أحد قبور الظهران، وفي قطر، وفي البحرين، وفي بات وسمد الشان في عُمان. ويتعاصر مع دفن الجمل عدد كبير من الذبائح (القرايين) المحروقة خارج المبنى، في حفر ضحلة تحتوي أواني فخارية وزجاجية، مع مفاصل غنم وماعز، وسمك ومحار أيضا. وتوحي هذه البقايا، مع دفن الجمل، أن المبنى كان مقر نشاط شعائري، وربما كمعبد دفن^(٤).



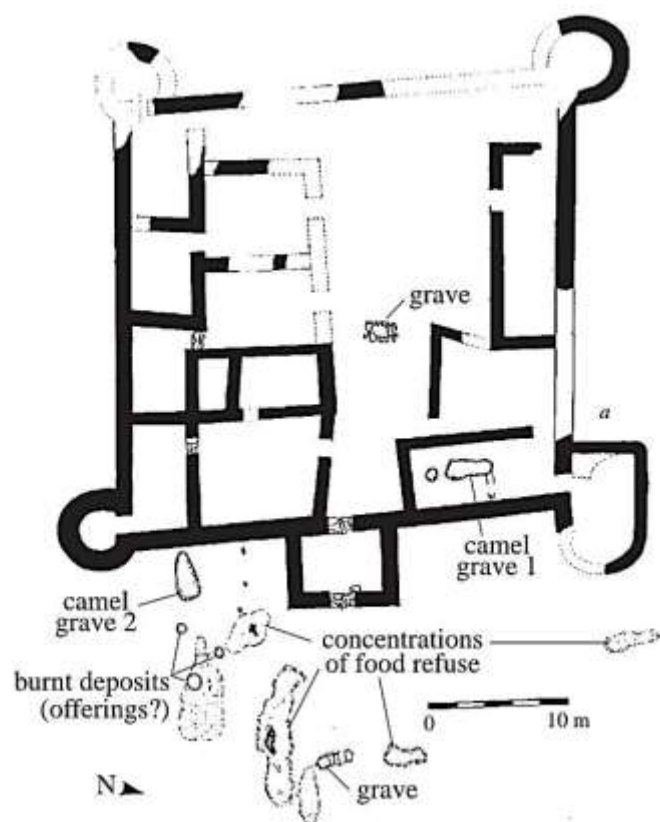
صورة رقم (٦٣): الجمل المدفون في القطاع F في موقع الدور الأثري

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٦٣.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٦٤.

(٣) لوكونت، أوليفيه (٢٠١٧م)، موقع الدور (إمارة أم قوين)، ص ٨٤.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٦٤.

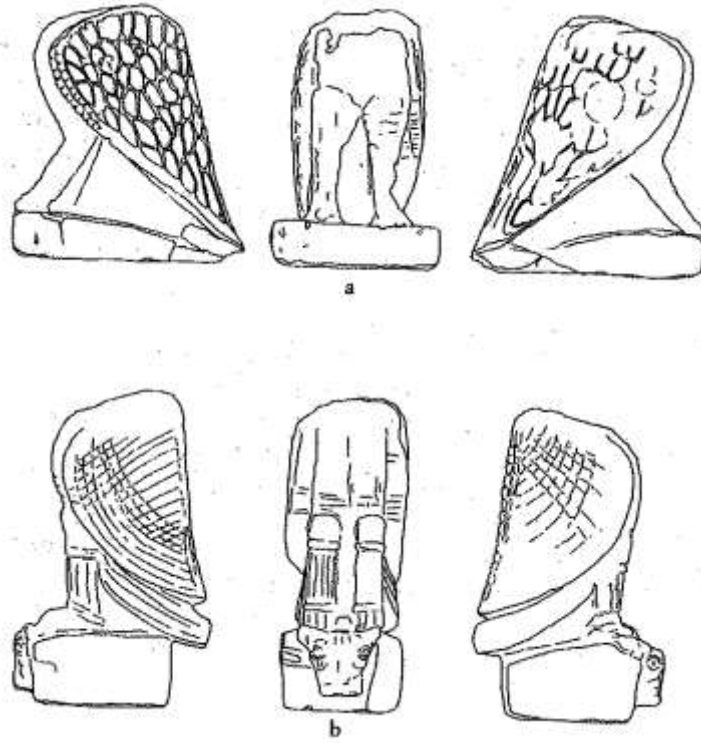


صورة رقم (٦٤): مخطط قلعة الدور وفي زواياها الأبراج الدائرية



صورة رقم (٦٥): منظر طبيعي لقلعة الدور.

كما تشير الشواهد إلى ممارسة بعض الطقوس خارج المبنى بالقرب من مدخل تذكاري مُحاط بقواعد لتمثالين من الصقور أو النسور، منحوتين من حجر الكلس، مماثلين لتمثال مملكة الحضر في شمال بلاد الرافدين^(١). والطائران بلا رأس، ارتفاعهما قرابة ٤٥ سم، ويؤرخان بالفترة الأولى من استعمال المبنى أي القرن الثالث الميلادي، ويرجح **دانيال بوتس** أنهما جُلبا من مكان آخر إلى هنا، ويستند بوتس في طرحه على أن النسرين مختلفان في شكلهما، وأحدهما طبيعي وبسيط بالأحرى حُرَزَ ريش جناحه وظهره بوضوح، أما الآخر له مظهر عسكري زائف فصدره ورجلاه وجناحاه محززة بعمق حتى أصبح يشبه الدرع، ثم أنه يقبع على رأس ثور قصير القرنين مرسوم جبها^(٢). وربما أُعدَّت وجبات الطقوس واستُهلكت هناك عند النسرين، وأُودعت بعدها أشياء فخمة (سكين حديدي، مزهريات زجاجية، فخاريات مصقولة) في مواقد محفورة لهذا الغرض^(٣). وتجدر الإشارة إلى أن عبادة النسور كانت شائعة في جزيرة العرب قبل الإسلام^(٤).



صورة رقم (٦٦): رسوم للنسرين الذين عثر عليهما في موقع الدور، بوتس، الخليج العربي، ج ٢، ص ١٠٦٦.

(١) لوكونت، أوليفيه (٢٠١٧م)، موقع الدور (إمارة أم قوين)، ص ٨٤.

(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٦٥.

(٣) لوكونت، أوليفيه (٢٠١٧م)، موقع الدور (إمارة أم قوين)، ص ٨٤.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٦٨.



صورة رقم (٦٧): صورة لنسر الدور واقفا على رأس ثور



صورة رقم (٦٨): موقع النسرين عند المدخل

أما في الفترة الثانية من استيطان الدور والتي تؤرخ من النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، وتمثل هذه المرحلة ذروة الازدهار التجاري للدور/ عمانا في الحوض الجنوبي للخليج العربي، حيث تم اكتشاف كميات متنوعة من اللقى الأثرية في هذا الموقع؛ مثل الزجاج الروماني، وبرونزيات رومانية، وفخار روماني Terra Sigillata جميعها تؤرخ بالقرن الأول الميلادي^(١)، وكسرات فخارية هندية أو باكستانية مصقولة حمراء اللون، وخمس قطع نقدية هندية، كما تم العثور على قالب لسك النقود البرونزية الرومانية، تقليدا لعملة الإمبراطور أغسطس، بالإضافة إلى كميات كبيرة من الخزف الهندي، كما تم العثور في موقع الدور على مجموعة من الأحجار الكريمة المستوردة من

^١) Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.55.

سيرلانكا، من بينها أحجار عقيق. وتجدر الإشارة إلى كميات كبيرة من عظام سمك الشبوط carp التي عثر عليها في موقع الدور، علماً أن هذا السمك لا يعيش إلا في المياه العذبة، وبالتالي من المؤكد أنه مستورد^(١). كما عثر على فخاريات مستوردة من جنوب بلاد الرافدين، وفخاريات مصبوغة من جنوب شرق إيران، أو من بلوشستان Baluchistan^(٢)، حيث كان التجار يأتون من جنوب شرق إيران إلى الدور عبر مضيق هرمز، وعثر على فخاريات مزججة مستوردة من بلاد فارس، وعثر على ثلاث قطع نقدية من فئة الأوبلة obols ضربت أيضاً في بلاد فارس، تؤرخ بالنصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، لكن الملفت للانتباه أنه لم يعثر في موقع الدور الأثري على أي قطعة أثرية من سوسا العاصمة العيلامية في جنوب غرب إيران^(٣).



صورة رقم (٦٩): القالب الهندي المعد لسك النقود الرومانية في الهند، عثر عليه في موقع الدور الأثري

كما عثر في موقع الدور على نصف درزن من مسكوكات ميسان؛ التي تؤرخ بعهد ملكها أتاملبوس الثاني Attambelos II ٤٤/٤٥ م، وعهد أتاملبوس الرابع ٥٨/٥٩ م، وعهد أتاملبوس الخامس ١٠٤/١٠٥ م^(٤)، كما عثر على أربعة قطع نقدية رومانية في موقع الدور تعود واحدة إلى عهد الإمبراطور أغسطس والثلاث الباقية إلى عهد الإمبراطور تيبيريوس Tiberius (١٤ - ٣٧ م)^(٥)، وربما أنها وصلت إلى هنا بالأسلوب نفسه -التجارة- الذي وصلت فيه نقود ميسان^(٦)، وعبر السنوات تم العثور على مئات من المسكوكات على سطح موقع الدور من قبل الهواة وكذلك ثلاثة كنوز على الأقل. اثنان من هذه الكنوز يحتوي

¹⁾ Haerinck, E., **Internationalization and Business**, Op. Cit., p.205.

²⁾ Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.55.

³⁾ Haerinck, E., **Internationalization and Business**, Op. Cit., p.205.

⁴⁾ Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.55.

⁵⁾ Haerinck, E., **Internationalization and Business**, Op. Cit., p.203.

⁶⁾ Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.55.

كل منهما على ٣٨ مسكوكة وجدت داخل جرار على سطح الموقع أو بالقرب منه. ويتكون الكنز الثالث من حوالي ٤٠ مسكوكة^(١). ومعظم النقود الأجنبية التي عثر عليها في الدور هي نقود برونزية، توهي إلى أنها كانت تستخدم من قبل التجار في إتمام الصفقات التجارية^(٢).

وتجدر الإشارة إلى علاقات موقع الدور الأثري مع جنوب شبه الجزيرة العربية؛ حيث عثر فيه على قطعتين نقديتين من حضرموت، وأنية فخارية زينتها مستوحاة من جنوب الجزيرة العربية، حتى إن البنية المعمارية للموقع توهي بأنها مستوحاة من جنوب الجزيرة العربية. كما اكتشف في أحد الأضرحة الكبيرة، في القطاع AV، على كمية من اللبان والبخور تقدر بنحو ٢٠ غ، نجت من التحلل، توهي بأنها مستوردة من جنوب الجزيرة العربية من أجل القيام بطقوس الدفن، وتجدر الإشارة إلى أن نبات المسك mastic أحد أهم نباتات جنوب الجزيرة العربية، لازال يستخدم لأغراض الطبخ والشوربات في منطقة الخليج العربي حتى يومنا هذا. كما تم العثور في موقع الدور على مجموعة من الأحجار الكريمة المستوردة من ساحل تنزانيا، وهذا منطقي إذا علمنا أن هذا الساحل خلال فترة من الفترات كان تحت سيطرة الممالك التي قامت في جنوب شبه الجزيرة العربية^(٣).

إن كل ما تقدم الحديث عنه من لقي أثرية سواء أكانت رومانية من رسومات لاتينية، أم أجسام معدنية أم زجاجية أم فخارية، أم فخاريات من بلاد الرافدين. أم فخاريات من بلاد فارس. أم فخاريات من جنوب شرق إيران. أم فخار من شمال شرق الجزيرة العربية. أم فخار من جنوب الجزيرة العربية. أم نقود؛ سواء أكانت محلية تحاكي نقود الإسكندر، أم أجنبية، أم عربية من مواقع أخرى من الجزيرة العربية، إن جميع هذه اللقى الأثرية توهي بطبيعة المواقع التجارية-العالمية^(٤)، حتى إنه توهي إلى أن موقع الدور كان أشهر ميناء تجاري في الحوض الجنوبي للخليج العربي، وربما الوحيد على الساحل الممتد بين قطر ومضيق هرمز طوال القرنين الأول ق.م، والأول الميلادي، لكن بالتأكيد كان هو الأكبر، طوال القرنين الأول والثاني الميلاديين^(٥).

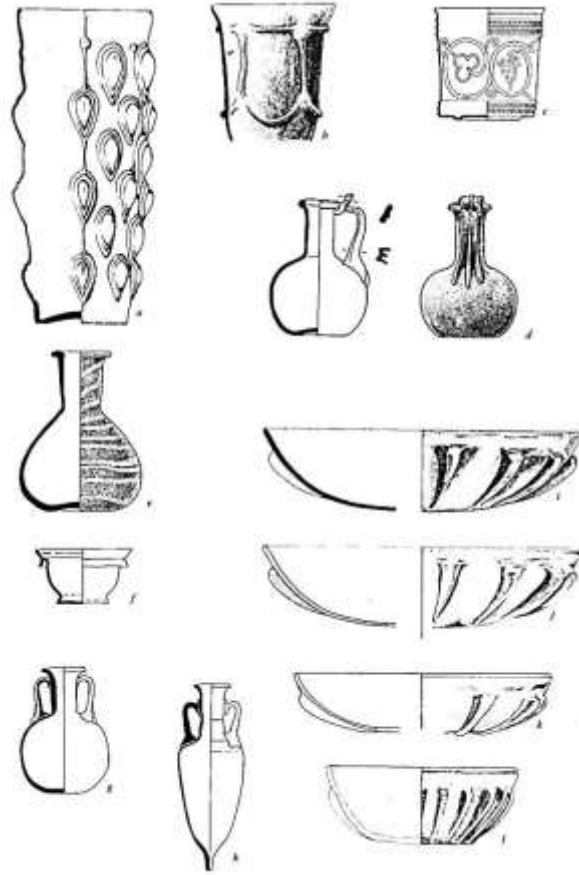
(١) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام، ص ٩٨.

(٢) Haerinck, E., (1998) **International contacts**, Op. Cit., p.297.

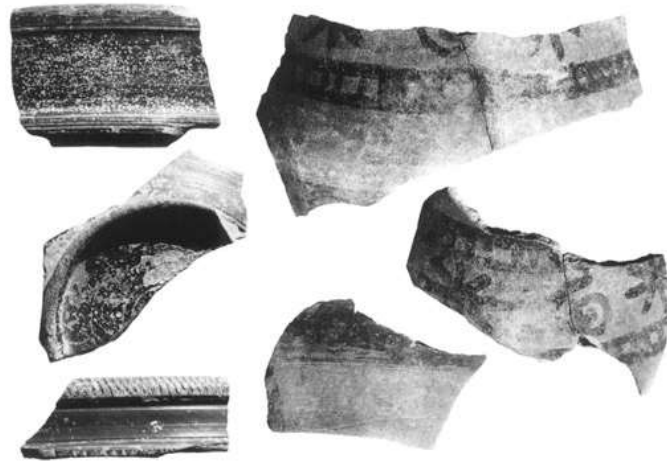
(٣) Haerinck, E., **Internationalization and Business**, Op. Cit., p.205.

(٤) Salles, J-F., (1990) Op. Cit., p.8.

(٥) Weekes, L. R., (2004) Op. Cit., pp.240, 241.



صورة رقم (٧٠): نماذج من الفخار الروماني في منطقة الدور / الإمارات العربية. Potts, D.T., 2001, p.56

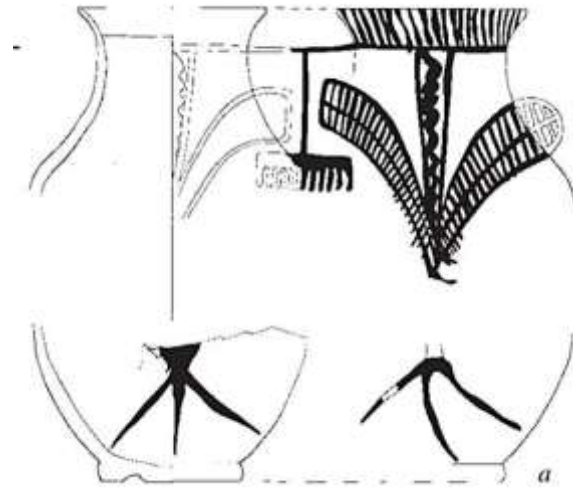


صورة رقم (٧١): فخار من جنوب شرق إيران عثر عليه في منطقة الخليج العربي، في موقع الدور الأثري، الإمارات العربية المتحدة.

ويشير عدد من المؤرخين أن طريق التجارة الدولي خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين كان ينطلق من باريجازا أعظم الموانئ الهندية، مروراً بالدور وانتهاءً بأبولوجوس؛ أهم موانئ مملكة ميسان على شاطئ الخليج العربي، ويقدم مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأحمر وصفاً لهذا الطريق عبر الخليج العربي، ويقدم إشارة بالغة الأهمية لتجارته التي كانت تسيطر عليها الموانئ سالفه الذكر في تلك الفترة، إذ يقول: «... وبلييه على مسافة ليست بعيدة مدخل الخليج العربي، حيث أغلب الغوص لأجل اللؤلؤ، وإلى اليسار من هذا المدخل سلسلة جبلية كبيرة جداً تعرف باسم أسابون/ عصبون Asabon [جبال عمان]، وإلى اليمين منها في الجانب المقابل سلسلة جبلية واضحة مرتفعة ومستديرة... والمسافة بينهما هي المدخل إلى الخليج العربي، وتبلغ نحو ستمئة ستاديون. وفيما وراءه يمتد أكبر الخلجان وأعرضها؛ الخليج العربي لمسافة كبيرة في الداخل، وعند الطرف البعيد لهذا الخليج يوجد مركز تجاري متعارف عليه، ويعرف باسم أبولوجوس Apologus [الأبله]، وتقع المدينة بالقرب من خاركس إسباسينو Charax Spasini [عاصمة ميسان]، ونهر الفرات. وبمواصلة الإبحار بعد مدخل الخليج العربي، وبعد رحلة ستة أيام، يوجد مركز تجاري آخر ... في المنطقة المعروفة باسم عُمانا [الدور] وإلى هذه المدينة القريبة يرسل من باريجازا Barygaza [في الهند]... سفن كبيرة محملة بالنحاس، وأخشاب الصندل والساج، وكتل الخشب الأسود والأبنوس كذلك يجلب البخور إلى عمانا من قانا، ومن عمانا إلى بلاد العرب تستعمل القوارب المحلية المحيطة المعروفة باسم مادارا. ويصدر من هذا المركز إلى باريجازا وإلى بلاد العرب كميات كبيرة من اللؤلؤ، ولكنه أقل قيمة من الهندي، والصبغة الأرجوانية والملابس المحلية والخمور، والتمور بكميات كبيرة أيضاً إضافة إلى الذهب والعبيد^(١)». وكان هذا الطريق مختصاً بنقل المواد الأولية، بالإضافة إلى المواد التي تحدث عنها مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأحمر، تم نقل الحبوب ولاسيما الرز من الهند، وبطبيعة الحال هذه المواد الاستهلاكية لا تترك أثراً، لكن ما يؤكد ذلك هو نوع من الفخار الأسود الهندي الكبير، الذي عثر عليه الدور البحرين جنوب الجزيرة العربية، وفسر على أنه حاويات لنقل المواد الاستهلاكية^(٢).

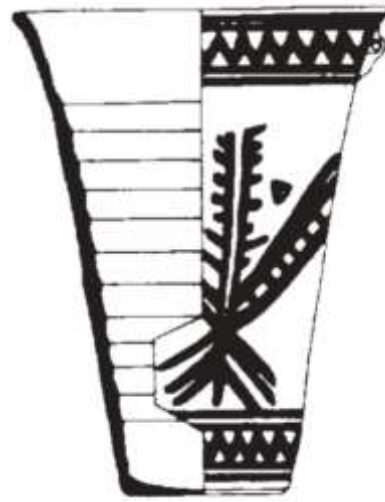
(١) الطواف حول البحر الإريتري، الفصل ٥، الفقرة ٣٥، ٣٦.

(٢) Salles, J-F., (1990) Op, Cit., p.17.



صورة رقم (٧٢): أمثلة مبكرة على الفخار المستورد من جنوب شرق إيران، أو إقليم بوشستان.

Potts, D.T., 2001, p.55



صورة رقم (٧٣): أمثلة متأخرة على الفخار المستورد من جنوب شرق إيران، أو إقليم بوشستان.

Potts, D.T., 2001, p.55

لقد تمت الإشارة إلى استخدام الحديد في المنطقة الجنوبية من الخليج العربي بدأ من الفترة السلوقية، رغم استخدامه في مناطق أخرى من العالم في أوقات أبكر، وفي موقع الدور استخدم الحديد لصنع أشياء متنوعة جدا شملت المسامير، والبراشيم، والأسلحة (الخناجر والسيوف)، والأدوات مثل الأزاميل، ومع ذلك

بقي البرونز مستعملا، كما تشهد بعض اللقى. لكن إضافة لما تقدم ظهر الرصاص بكميات محدودة لأول مرة في تاريخ المنطقة، حيث استعيدت مجموعة كاملة من أوزان الرصاص الصغيرة، مستطيلة تقريبا، لها ثقب في أحد طرفيها، من على سطح هذا الموقع الأثري، وكتلة من الرصاص أيضا، وكشف التنقيب في القطاع Z أيضا وزنا رصاصيا بشكل جرس في أعلاه حلقة حديد. وهذا ينطوي على شبه بارز بالأوزان الحجرية التي استعملها غواصو اللؤلؤ في المنطقة^(١).

كما أظهرت التنقيبات الأثرية مئات من القبور في الموقع، أكثر من ٩٠ % منها مخططة على شكل أضحية^(٢)، إما أضحية صغيرة فردية كاملها تحت الأرض، أو أضحية كبيرة نصفها تحت الأرض، مبنية بحجارة مستطيلة، وهي أكثر اتقانا في بنائها من الأضحية الصغيرة، استخدمت للدفن الجماعي المتعدد، ويتم الهبوط لها بواسطة سلم من السطح، وربما كانت سقفها مقببة، وهي تشبه القبور الفارسية المبنية في منطقة آشور في شمال العراق، في كثير من ملامحها^(٣). وتتألف حجر الدفن من جدار الدفن من جدار حجر جاف، ارتفاعه عادة أربعة إلى ستة مداميك، يعلوه غطاء حجري أو أكثر يتضمن لحدا مفردا. وقد سجل أيضا نموذج أفخم يختص ظاهريا بالنخبة، في القطاعات Q, N, K, A وهذه القطاعات حجرات مستطيلة ضخمة، جدرانها متقنة البناء، تصل سماكتها إلى ١.٥م، رصفت أرضيتها بألواح حجرية مغطاة بملاط جص رمادي. ويؤدي مدخل الحجرة عبر ممر رئيسي إلى عتبة سدت في الغالب لاحقا. وفي إحدى الحالات عقد مدخل العتبة. ويظن أن المدخل إلى هذه القبور كان في الأصل على مستوى الأرض أو تحت مستوى الأرض، بينما كانت جدرانها وسقفها مرتفعة فوق مستوى الأرض، مثل الضريح الضخم الصغير، ولا تختلف هذه القبور عن القبور الرافدية في آشور، لا بمخططها ولا ببنائها^(٤).

أما عن الأثاث الجنائزي، فقد عثر على أدوات نحاسية في القبور الواقعة شمال المعبد ب ١٠٠م، ففي أحد الأضحية المسلوبة في المنطقة (AT)؛ حيث احتوى القبر على خنجر ومقبضي قدر برونزي مدوران، طاسة مستطيلة، وبعض الزجاج. أما الضريح المقبب الكبير (G5156) الذي كشف عنه في المنطقة (AV) والذي نصفه تحت الأرض، فقد نجا من السرقة، وقدم معلومات مهمة فهو يبين أنه كان قبرا لخمس عشرة فردا على الأقل دفنوا فيه، سوية مع خمس عشرة مزهرية زجاجية، وخمس عشرة لوحة عظمية،

(١) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٧١.

² Weekes, L. R., (2004) Op. Cit., p.240.

³ Potts, D.T., (2001) Op. Cit., p.55.

(٤) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٦٩.

ومجوهرات ذهبية، ومزهريات من الحجر، وبعض القطع الحديدية التي تعرضت للاهتراء والتآكل، ومزهريتان خزفيتان، وأشكال متنوعة من الخزز. بالإضافة إلى عدد من الطاسات البرونزية، ومغرفة ومصفاة برونزية أيضا وجدت في القبر. بالإضافة إلى هذه القبور عثر على عدد من القبور قرب المعبد مباشرة، تعود إلى فترة ما قبل الميلاد، وكان الخزز أهم اللقى الأثرية فيها، بالإضافة إلى قطع الحديد الصغيرة. وقدم القبر المنهوب (G6130) الذي كشف عنه في المنطقة (BM) عددا من المغازل وأجزاء سيف. وفي المنطقة (BO) عثر على قبرين منهوبين فيهما طاسات ناعمة منحوتة من الحجر. كأس زجاجي ومشعل بخور فخاري، وتمثال حصان طيني وتمثال جمل. وعثر على أربعة قبور في المنطقة (BQ) بحالة جيدة من أصل ١٨ قبرا تعرضت للتلحل، فكانت المواد المكتشفة هنا بسيطة واقتصرت على أجزاء من المسامير الحديدية الكبيرة، وأمشاط وأبر عظمية، ومزهريات منحوتة من الحجر، وتسع عملات معدنية محلية الصنع تحاكي عملة الإسكندر المقدوني، ومصباح زجاجي، ومبخرة لإحراق البخور^(١).

تدل القبور الكبيرة -في حال عدم تعرضها للنهب- على ترف عظيم، فقد تضمن أحد القبور في القطاع A، والذي دفن فيه رجل وامرأة، كأسا زجاجية رومانية كبيرة، صنعت بالنفخ بكاملها، وهي محدبة كاللوزة، وسيفا حديديا مزودا بقرص عاجي وبرشام برونزي في مقبضه، وقضبانا رفيعة عظمية ذات شكل جميل، ومشطا، ومجموعة كؤوس خمر برونزية، وكانت هذه المجموعة مزودة بصنبور مسبوك على شكل رأس ثور، وينتهي مقبض المغرفة برأس أفعى، بينما كان مقبض المصفاة المزود هو بدن الحية الأعلى والأسفل، وكان مزخرفا بشارات معمارية محززة. بينما شمل قبر ثاني يندرج في هذه الفئة إناءين زجاجيين رومانيين وكأس مصبوبة في قالب عمودي وقارورة بشكل الاجاصة، وعقدين ذهبيين واشتملت قبور أخرى على مجموعة فريدة من أساور تزيين رقيقة صغيرة عاجية أو عظمية، عليها صور بشرية وحيوانية محززة بخشونة^(٢).

إن هذا التنوع الحضاري الكبير للمواد التجارية والثقافية، التي كشف عنها في هذا الموقع توحي بأن موقع الدور كان إحدى المدن التجارية المهمة في المنطقة الجنوبية من الخليج العربي، ربما عُمانا Omana، التي ذُكرت في المصادر الكلاسيكية^(٣)، حيث عدّها بلينيوس من أشهر موانئ الخليج العربي^(٤). كما أن

¹⁾ Weekes, L. R., (2004) Op, Cit., p.241.

^(٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ٢، ص ١٠٧٠.

³⁾ Weekes, L. R., (2004) Op, Cit., pp.240, 241

^(٤) بلينيوس، التاريخ الطبيعي، الكتاب ٦، الفصل ٣٢، الفقرة ١٤٩.

كتاب الطواف حول البحر الأحمر يقدم وصفا لعمانا، لكنه أدق، ومن خلال هذا الوصف ينطبق موقع عمانا مع موقع الدور^(١)؛ إذ يقول: «ويمواصلة الإبحار بعد مدخل الخليج العربي، وبعد رحلة ستة أيام، يوجد مركز تجاري آخر ... في المنطقة المعروفة باسم عُمانا [الدور]^(٢)».

إن هذا التحديد تدعمه أدلة أثرية وبيئية وجغرافية، ومن الواضح أن اسم عُمانا ليس مجرد ميناء بل هو رمز لحضارة أو مملكة نشأت في جنوب شرق الجزيرة العربية، ووجدت آثارها في كثير من المواقع الأثرية المهمة في دولة الإمارات وسلطنة عمان التي تتشابه في لقاها ومخلفاتها الأثرية. ومن هذه المواضع مليحة وشمل والبثنة ومليحة وسمد الشان، وغيرها من المواضع المتناثرة على الساحل والداخل العماني. ومن خلال الآثار اتضحت معالم هذه الحضارة المعمارية: من معابد وقلاع وبيوت، والجنازية: من قبور وأضرحة، والدينية: كالتماثيل والرسومات وأدوات القبور والمعابد، والسياسية: من عملات محلية، والاقتصادية: من لقي مجلوبة من أماكن بعيدة عن شبه جزيرة عمان، كدليل على قيام التبادل التجاري، والثقافية: من نقوش سبائية وأرامية ويونانية، والاجتماعية القاسية التي يمكن تلمسها من دراسة العظام التي أثر فيها كثرة العمل وثقل الأشغال في الميناء، والصناعية: من سهام ورؤوس سهام وسيوف وفؤوس حديدية ونحاسية وبرونزية وأوان حجرية وفخارية وزجاجية وخرز^(٣).

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن الموقع قد تعرض للتدمير وهجر في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، وتراجعت أهميته الاقتصادية ربما لأسباب مناخية، أو لتبدل طرق التجارة في جنوب شرق الجزيرة العربية^(٤). أما المرحلة الثالثة لاستيطان الموقع فإنها تؤرخ (ما بين ٢٢٥ - ٣٠٠ م)، وبعدها ترك الموقع وتهدمه، استُخدم موقع المبنى كمقبرة في القرن الميلادي الرابع؛ ولا تزال أطلاله تشي بالطبيعة الاستثنائية لهذا المبنى الضخم حتى بعد تدميره. واحتوت بعض المقابر على أشياء متعددة يرجع تاريخها إلى القرن الميلادي الرابع؛ استنادًا إلى إنتاج بلاد الرافدين أو الواردات من الفترة نفسها (الزجاج)^(٥).

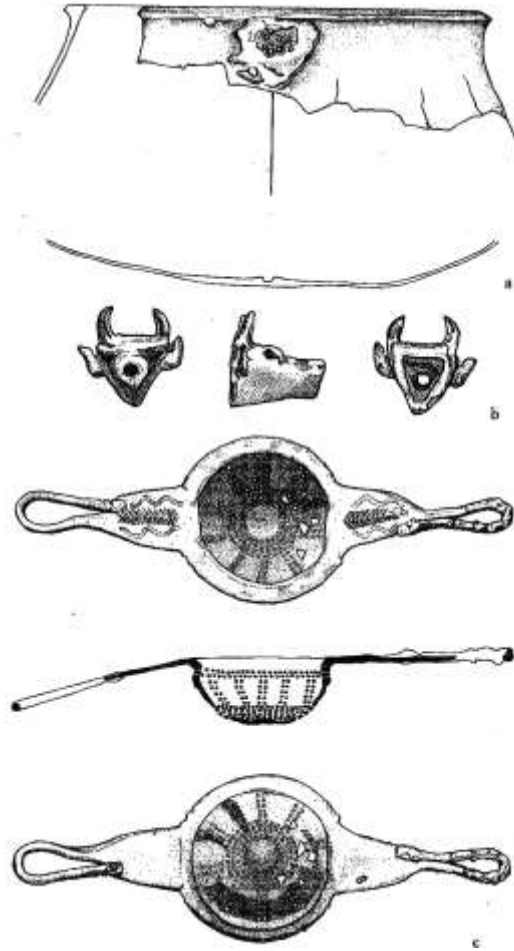
¹⁾ Salles, J-F., (1990) Op, Cit., p.15.

^(٢) الطواف حول البحر الإريتري، الفصل ٥، الفقرة ٣٦.

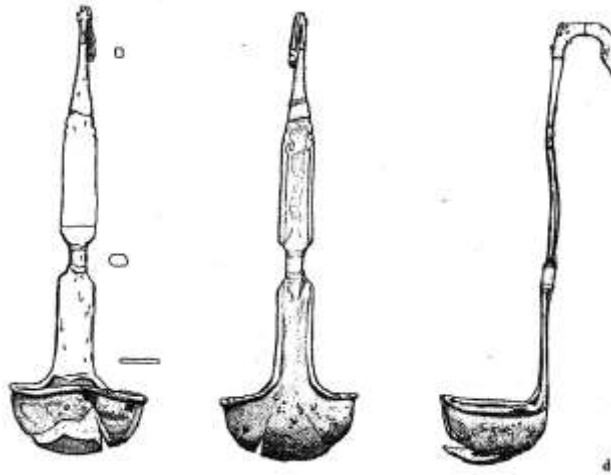
^(٣) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا، ص ٦٠.

⁴⁾ Haerinck, E., (1998) International contacts., Op. Cit., p.299.

^(٥) لوكونت، أوليفيه (٢٠١٧م)، موقع الدور (إمارة أم قوين)، ص ٨٤.



صورة رقم (٧٤): مرجل، مع مصفاه لها مقبضان، مع رأس ثور بروزي مفرغ كان يستخدم كصنبور، من أحد القبور في موقع الدور القطاع A، دانيال بوتس، الخليج العربي، ج ٢، ص ١٠٧٢



صورة رقم (٧٥): مغرفة برونزية من أحد القبور في موقع الدور القطاع A، بوتس، الخليج العربي، ص ١٠٧٣

الخاتمة

لقد كان وعي الإغريق ببلاد العرب وجزيرتهم متأخرا نوعا ما، حتى إن الجغرافيين الإغريق الأوائل من أمثال أناكسيمندر (611-547 ق.م) وهيكتيوس (500 ق.م) جعلوا الخليج العربي بحرا خارجيا. أما على الصعيد التاريخي فإنهم لم يمتلكوا عن العرب وجزيرتهم إلا معلومات مبهمة وقصص يغلب عليها الطابع الأسطوري والخرافة، وقد ظهرت هذه الصورة جلية في كتابات هيرودوت (484-425 ق.م). ولم يبدأ تعرف الإغريق على العرب بصورة حقيقية إلا مع غزو الإسكندر المقدوني للشرق القديم، وكان حصار غزة أول مواجهة بين الإغريق والعرب على ترابهم، وبعد أن غزا الإسكندر المقدوني مصر وأدخلها في نطاق إمبراطوريته، وغزا بلاد فارس وقوض أركان الإمبراطورية الإخمينية، كان لا بد من احتلال الجزيرة العربية، مدفوعا بدوافع اقتصادية ودينية وسياسية متنوعة. لقد كانت الحملات الاستكشافية الثلاث التي أرسلها الإسكندر المقدوني في الخليج العربي أول احتكاك مباشر بين الإغريق والعرب في جزيرتهم. وإن كانت وفاة الإسكندر المقدوني قد حالت دون استعمار بلادهم، إلا أنها فتحت الباب على مصرعيه أمام الكتاب والجغرافيين الكلاسيكيين للكتابة عن بلاد العرب وتجارته وثرواتهم وجغرافية بلادهم. وتشكل المعلومات التي كتبها هؤلاء الرحالة والمؤرخون والجغرافيون والإغريق والرومان أهم مصدر عن تاريخ العرب وبلادهم خلال هذه الفترة، فالعرب لم يدونوا تاريخهم خلال هذه الفترة. لقد انتقل اهتمام الإسكندر بالخليج العربي إلى خلفاء السلوقيين من بعده، فسعوا للسيطرة عليه من خلال بناء عدد من المدن والقلاع العسكرية في عدد من جزره وعلى شواطئه، كما أنهم أسسوا عمارة بحرية دائمة في مياهه هدفها حماية طرق التجارة إلى الهند. وقد وصلت ذروة اهتمام السلوقيين بالخليج العربي بحملة أنطيوخس الثالث على الجرهاء سنة 205 ق.م بعد أن سمع عن ثروتها وثراء سكانها. وكانت أهم الجزر التي اعتنى بها السلوقيون في الخليج العربي هي ثلاث جزر (تاروت، إيكاروس، تايلوس) نتيجة موقعها على طرق التجارة الدولية، وعلى خطوط الملاحة في الخليج العربي. بينما تعد الجرهاء أهم مملكة عربية سيطرت على تجارة الخليج العربي خلال القرن الثالث قبل الميلاد، وكان على السلوقيين ترك حرية التجارة لها فترة طويلة من الزمن رغبة منهم في الحفاظ على الرسوم الجمركية التي كانوا يجنونها من البضائع المارة في أراضي الدولة السلوقية، ولا سيما في ظل التنافس الحاد بينهم وبين البطالمة في مصر الذين كانوا يسعون إلى تنشيط طريق البحر الأحمر. كان من أهم أسباب زوال الجرهاء هو تطور صناعة السفن، فصارت السفن البحرية قادرة على قطع المسافة من جنوب الخليج العربي حتى شماله دون الحاجة إلى التوقف في ميناء الجرهاء، وبالتالي كان تبدل طرق التجارة عنها هو السبب الأهم في زوالها. وهكذا ورثت مملكة ميسان في شمال الخليج العربي أهمية الجرهاء الاقتصادية

بعدما تحولت كل الطرق التجارية إليها. وتعد مملكة ميسان مملكة عربية دون خلاف، وهذا يظهر من خلال أسماء العلم وشهادات المؤرخين الكلاسيكيين عنها. تعاملت مملكة ميسان تجاريا مع تدمر عبر نهر الفرات ومع الأنباط عبر طرق الصحراء العربية وسيطروا جميعا على تجارة الشرق الأقصى القادمة عبر الخليج العربي، لاسيما بعد اضطراب الأمن على طريق الحرير. وفرضت مملكة ميسان نفوذها على كامل الخليج العربي حيث ظهرت نصوص مدونة باللغة الإغريقية في جزيرة البحرين تؤكد ذلك، كما ظهرت لدى أثرية تشمل فخار ونقود في مواقع جنوب الخليج العربي، كما في موقع مليحة وموقع الدور الأثري في دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم. حافظت مملكة ميسان على هويتها العربية، رغم أنها اصطبغت بالثقافة الإغريقية وهذان الأمران يظهران في نقود ميسان بصورة جلية. استطاعت مملكة ميسان أن تحافظ على استقلالها السياسي على تخوم أكبر إمبراطوريتين، هما الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية. ونجحت ميسان في تكوين علاقات دولية خدمة لأغراضها التجارية إذ زارتها وفود صينية وهندية وفارسية ورومانية، كما أمتها جاليات من كل تلك الجنسيات. كان لممالك الخليج العربي نقودها الخاصة بها، والتي حاولت في ضربها تقليد نقود الإسكندر المقدوني، وقد امتازت نقود الخليج العربي بأنها تشبه نقود مملكة كندة العربية، وكتب عليها بحروف المسند في مقابل نقود الإسكندر التي كتب عليها بالحروف الإغريقية. كما أكدت هذه النقود تقديس العرب للإله شمس إله الشمس، الذي عبده العرب في جاهليتهم. واشتركوا في تقديسه مع سكان بلاد الرافدين من أبناء الحضارات القديمة. كان الخليج العربي من أهم طرق التجارة الدولية طوال العصور الكلاسيكية، والعصور التي سبقت العصور الكلاسيكية. يعد موقع مليحة وموقع الدور الأثري من أهم المواقع الأثرية المكتشفة في الحوض الجنوبي للخليج العربي حتى يومنا هذا، وهما يشرحان لنا سيطرة العرب على التجارة الدولية بين الإمبراطورية الرومانية والهند. أخيرا: كان الخليج العربي ولا زال منطقة مهمة في عالمنا العربي، لا تقل أهمية عن أي إقليم آخر، وشاركت مثلها مثل غيرها في صناعة أحداث التاريخ.

نتائج البحث:

١. كان وعي الإغريق ببلاد العرب وجزيرتهم متأخر نوعا ما.
٢. بدأ تعرف الإغريق على العرب بصورة حقيقية مع غزو الإسكندر المقدوني للشرق القديم.
٣. كان حصار غزة أول مواجهة بين الإغريق والعرب على ترابهم
٤. كانت الحملات الاستكشافية الثلاث التي أرسلها الإسكندر المقدوني في الخليج العربي أول محاولة استكشاف يونانية لبلاد العرب في جزيرتهم.

٥. لقد أسهم غزو الإسكندر بفتح الباب على مصراعيه المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين، للتعرف على بلاد العرب.
٦. انتقل اهتمام الإسكندر بالخليج العربي إلى خلفاءه السلوقيين من بعده.
٧. وصلت ذروة اهتمام السلوقيين بالخليج العربي بحملة أنطيوخس الثالث.
٨. تعد الجرهاء أهم مملكة عربية سيطرت على تجارة الخليج العربي خلال القرن الثالث ق.م.
٩. من أهم أسباب زوال الجرهاء هو تطور صناعة السفن.
١٠. ورثت مملكة ميسان في شمال الخليج العربي أهمية الجرهاء الاقتصادية، بعدما تحولت كل الطرق التجارية إليها.
١١. فرضت مملكة ميسان نفوذها على كامل الخليج العربي.
١٢. حافظت مملكة ميسان على هويتها العربية، رغم أنها اصطبغت بالثقافة الإغريقية.
١٣. كان لممالك الخليج العربي نفوذها الخاصة بها، والتي حاولت في ضربها تقليد نفوذ الإسكندر المقدوني.
١٤. أكدت هذه النقود تقديس العرب للإله شمش (إله الشمس) الذي عبده العرب في جاهليتهم.
١٥. كان الخليج العربي من أهم طرق التجارة الدولية طوال العصور الكلاسيكية.
١٦. يعد موقع مليحة وموقع الدور الأثري من أهم المواقع الأثرية المكتشفة في الحوض الجنوبي للخليج العربي.
١٧. كان الخليج العربي ولا زال منطقة مهمة في عالمنا العربي.

التوصيات:

إن نتائج التنقيبات الجديدة والدراسات التاريخية المستمرة، تدفع إلى إعادة النظر بكل ما هو متفق عليه سابقاً، فإكتشاف أثري صغير قد يغير ما كنا نعتقد بأنه أمر مُسلَّم به طوال وقت طويل. وهذا ما ينساق على موضوع البحث، فطالما نُظر لمنطقة الخليج العربي على أنها منطقة في علمنا العربي كانت على هامش المعمورة حتى تاريخ إكتشاف النفط فيها، وهذا خطأ تاريخي شائع تنفيه المصادر الكلاسيكية والتنقيبات الأثرية.

قائمة المصادر والمراجع والبحوث المعتمدة

المصادر الكلاسيكية:

- (١) أَرِيَانُوس، حملات الإسكندر، ترجمة: السيد جاد، تعليق: حمد بن محمد بن صراي، إشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٣)، دار الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠١٧م.
- (٢) أجاثرخيديس، عن البحر الإيثري، ترجمة: الحسين عبد الله، تعليق: عبد المعطي بن محمد سمس، وإشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٤)، دار الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠١٧م.
- (٣) بلوتارخ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، ج ٣، ترجمة جرجس فتح الله، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠١٠م.
- (٤) بلينيوس، التاريخ الطبيعي، ترجمة: علي عبد الجيد، تعليق زياد السلامين، إشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٧)، دار الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠١٧م.
- (٥) ثيوفراستوس، تاريخ النباتات، ترجمة: الحسين عبد الله، تعليق: عبد المعطي بن محمد سمس، وإشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٢)، دار الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠١٧م.
- (٦) سترابون، الجغرافيا، ترجمة حسان اسحق، منشورات دار علاء الدين، دمشق ٢٠١٧م.
- (٧) كسينوفون، تربية قوروش، ترجمة: نجلات عزت، تعليق: زياد الشрман، إشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (١٥)، دار الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠١٧م.
- (٨) هيرودوت، التاريخ، ترجمة: إبراهيم السايح، تعليق: رحمة بنت عواد السناني، وإشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (١)، دار الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠١٧م.
- (٩) هيرودوت، التاريخ، ترجمة: عبد الإله الملاح، قدم له حمد محمد بن صراي، المجمع الثقافي في أبو ظبي، أبو ظبي ٢٠٠١م.
- (١٠) يوربيديس، عابdat باخوس - إيون - هيبولوتوس، ترجمة ودارسة وتقديم عبد المعطي شعراوي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ١٩٩٧م.

(١١) الطواف حول البحر الإريتري (المؤلف مجهول). ترجمة: السيد جاد، تعليق: حمد بن محمد بن صراي، وإشراف وتحرير: د. عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (٩)، دار الملك عبد العزيز، الرياض ٢٠١٧م.

المراجع الأثرية:

- (١) التقرير الشامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا، الصادر عن وزارة الإرشاد والأنباء، إدارة الآثار والمتاحف، الكويت ١٩٥٨-١٩٦٣م.
- (٢) مورخولم (أوتون)، نقود يونانية من جزيرة فيلكا، ترجمة وزارة الإرشاد والأنباء، منشورات إدارة الآثار والمتاحف، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ١٩٦٠م.
- (٣) موتون (ميشيل)، القرون الأخيرة قبل الإسلام، أربعون عاما من التعاون الأثري بين الإمارات العربية المتحدة وفرنسا، ترجمة محمد خضير، الشارقة ٢٠١٧م.

المراجع الأجنبية المعربة:

- (١) بارياس، اندرياس (٢٠١٦م)، هل كان هناك معبد لآلهة الشفاء في فترة السلوقيين في تابلوس (الفترة الهلنستية)، جمعية تاريخ وآثار البحرين، المنامة.
- (٢) بوتس، دانيال (٢٠٠٣م)، الخليج العربي في العصور القديمة، ج٢، من الإسكندر الكبير إلى ظهور الإسلام، ترجمة: إبراهيم خوري، تعلق أحمد السقاف، المجمع الثقافي في أبوظبي.
- (٣) بوتس، دانيال (٢٠١٨م)، مسكوكات ما قبل الإسلام في شرق الجزيرة العربية، ط٢، ترجمة: صباح عبود جاسم، هيئة الشارقة للآثار، الشارقة.
- (٤) بوتس، دانيال (١٤ يوليو - ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠م)، نهضة شمال شرق الجزيرة العربية في الحقبة الهلنستية، دليل معرض «طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية» بإشراف أ.د. علي بن إبراهيم الغبان، أ.د. بياتريس أندريه-سالفيني وآخرون، باريس، متحف اللوفر.
- (٥) داجنت، روجيه جوانت (٢٠١٣م)، تاريخ البحر الأحمر من موسى حتى يونانيرت، ترجمة حسن نصر الدين، مراجعة محمد عفيفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- (٦) سورينا، جان شار (١٩٨٥م)، تاريخ الطب، من فن المداواة إلى علم التشخيص، ترجمة: إبراهيم البجلاتي، مجلة عالم المعرفة، العدد ٢٨١، الكويت.
- (٧) فيزهوفر، يزف (٢٠٠٩م)، فارس القديمة ٥٥٠ ق.م - ٦٥٠ م، (التاريخ، الحضارة، العبادات، الإدارة، المجتمع، الاقتصاد، الجيش)، ترجمة: محمد جديد، مراجعة زياد منى، شركة قدمس للنشر والتوزيع، دمشق.
- (٨) كرون، باتريشيا (٢٠٠٥م)، تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة: آمال الروبي، مراجعة محمد بكر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- (٩) لومبارد، بيبير وفتوح، نادين (د.ت)، تابلوس رحلة ما بعد الحياة، شعائر طقوس الدفن في البحرين (القرن الثاني ق.م - القرن الثالث م)، ترجمة سماح كسواني، وزارة الثقافة، البحرين.
- (١٠) هيلند، ربرت (٢٠١٠م)، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام ٣٢٠٠ ق.م - ٦٣٠ م، ترجمة: عدنان حسن، مراجعة: زياد منى، شركة قدمس للنشر والتوزيع، دمشق.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

- (١) جواد، حسن حمزة (٢٠٠٨م)، نشوء الدولة السلوقية وقيامها (دراسة تاريخية ٣١٢ - ٦٤ ق.م.)، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة بغداد، بغداد.
- (٢) الحفصي، محمد الأسعد (٢٠٠٣م)، الغزو اليونان لبلاد الرافدين ٣٣١ - ١٢٦ ق.م.، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الموصل.
- (٣) رضا، حلمي رسول (٢٠١٥م)، بلاد النهرين في العصر الهلنستي (٣٣١ - ١٢٦ ق.م.)، أطروحة معدة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم اليوناني الروماني، جامعة القاهرة ٢٠١٥م.
- (٤) سليمان، شيماء نبيل داوود (٢٠٠٢م)، آثار العصر الهلنستي في المدن السومرية والبابلية (الوركاء، نمر، بابل)، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة بغداد.
- (٥) شاشة، إيمان وبالنور، عبد الحق (٢٠١٩م)، الملك داره ودوره في بناء قواعد التجارة الأخمينية (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م.)، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي، الجزائر.
- (٦) عبد المولى، أسامة محمود (٢٠١٣م)، تجارة البخور في جنوب شبه الجزيرة العربية في الفترة من القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير، جامعة الزقازيق.
- (٧) عليوان، حواء ميلاد (٢٠٠٧م)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة تدمر (١٠٦ - ٢٧٣م)، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة المرقب، ليبيا.
- (٨) ناشر، هشام عبد العزيز (٢٠٠٣م)، التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة عدن.

المراجع العربية:

- (١) الأحمد، سامي سعيد (١٩٨٥م)، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة.
- (٢) الأعظمي، علي ظريف (د.ت)، تاريخ الدولة اليونانية والفارسية في العراق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- (٣) باقر، طه (١٩٤٥م)، علاقة بلاد الرافدين بجزيرة العرب، مجلة سومر، ج ١، ٢، بغداد.
- (٤) باقر، طه ورشيد، فوزي وهاشم، رضا جواد (١٩٧٩م)، تاريخ إيران القديم، منشورات جامعة بغداد، بغداد.
- (٥) البكر، منذر عبد الكريم (١٩٨٦م)، دولة ميسان العربية، مجلة المورد، الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، بغداد.
- (٦) الدروزة، علي بن إبراهيم (أكتوبر ١٩٨٢م)، جزرة تاروت، مجلة الدارة، العدد ٨، مج ٢، الصادرة عن دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
- (٧) حنون، علي حسن (٢٠١٨م)، تطور الوعي اليوناني ببلاد العرب والجزيرة العربية، مجلة أوراق كلاسيكية، الصادرة عن جامعة القاهرة، العدد الخامس عشر، مصر القاهرة.
- (٨) الجرو، أسمهان (٢٠١١م)، الصراع الدولي من أجل السيادة على المنافذ البحرية ومراكزها التجارية في الخليج العربي (القرن ٥ ق.م - القرن ٣ الميلادي)، النادي الثقافي، سلطنة عمان.
- (٩) الجنابي، قيس حاتم (٢٠١٦م)، روايات هيرودوت عن بابل وآشور دراسة تأريخية تحليلية، مجلة كلية التربية، تصدر عن جامعة واسط، العدد ٢٥ السنة التاسعة، تشرين الثاني.
- (١٠) الجنابي، قيس حاتم هاني (٢٠١٢م)، الصلات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية والهند من القرن الأول وحتى القرن السادس الميلادي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ٧، بابل.

- (١١) الجنابي، قيس حاتم هاني (٢٠١٤م)، صلات العراق القديم التجارية مع الخليج العربي حتى ظهور الإسلام، مجلة العلوم الإنسانية، مج ١، العدد ٢٠، بابل.
- (١٢) الجنابي، قيس حاتم هاني (د.ت)، الإسكندر المقدوني ومشروعه العالمي في بابل، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، مج ٥، العدد ١، بابل، د.ت.
- (١٣) جندي، إبراهيم عبد العزيز (٢٠٠١م)، سياسة الإسكندر الأكبر تجاه بلاد العرب والجزيرة العربية (٣٣٢ - ٣٢٣ ق.م)، مركز الوثائق والدراسات الانسانية بجامعة قطر، الدوحة.
- (١٤) حامدة، أحمد (٢٠٠٧م)، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، ط ٤، منشورات جامعة دمشق، دمشق.
- (١٥) حسن، علي حسن (٢٠١٢م)، تأثير الطراز الإغريقي على النقود المضروبة في ممالك شرق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رؤية تحليلية جديدة، ضمن موسوعة الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة، التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيط، المجلد الأول، جامعة الملك سعود، الرياض.
- (١٦) حمدان، عبد المجيد (تموز - كانون الأول ٢٠١٤م)، العلاقات التجارية بين الدولة السلوقية والهند وبلاد العرب، مجلة دراسات تاريخية، الصادرة عن جامعة دمشق، العددان ١٢٧ - ١٢٨.
- (١٧) ريلر، كلير والشيخ نبيل (١٤ يوليو - ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠م)، مدفن ثاج، ضمن دليل معرض «طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية» بإشراف أ. د. علي بن إبراهيم الغبان، أ.د. بياتريس أندريه-سالفيني وآخرون، باريس، متحف اللوفر.
- (١٨) زكار، سهيل وخربوطلي، شكران (٢٠١٥م)، تاريخ الوطن العربي القديم، الجزيرة العربية، منشورات جامعة دمشق، دمشق.
- (١٩) زهيراتي، متوديوس (١٩٩٩م)، الإسكندر الأكبر وفتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

- (٢٠) زيادة، نقولا (١٩٧٩م)، دليل البحر الإرثي وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، تحرير عبد الرحمن الأنصاري، جامعة الملك سعود، الرياض.
- (٢١) سارة، خليل (٢٠٠٩م)، تاريخ الوطن العربي القديم في العصور الكلاسيكية، منشورات جامعة دمشق، دمشق.
- (٢٢) السحبياني، عبد الرحمن بن عبد العزيز (ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ يناير ٢٠١٨م)، تحديد موقع الجرهاء على ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة، مجلة أدماتو، العدد السابع والثلاثون.
- (٢٣) السعود، عبد الله بن سعود (١٤ يوليو - ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠م)، موقع عين جاون الأثري، دليل معرض «طرق التجارة القديمة، روائع آثار المملكة العربية السعودية» بإشراف أ. د. علي بن إبراهيم الغبان، أ. د. بياتريس أندريه-سالفيني وآخرون، باريس، متحف اللوفر.
- (٢٤) السنان، مها بنت عبد الله (د.ت)، الصلات الفنية بين الجزيرة العربية ممصر في العصر الهلنستي، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد العشرون، العدد الأول.
- (٢٥) شاكر، محمود (٢٠٠٥م)، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان.
- (٢٦) شاهين، علاء الدين (١٩٩٧م)، تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، منشورات ذات السلاسل، الكويت.
- (٢٧) شريف، شريف محمد (١٩٦٩م)، تطور الفكر الجغرافي، ج ١، العصور القديمة، ط ١، مصر، القاهرة، المكتبة الأنجلو المصرية.
- (٢٨) الشيخ، حسين (١٩٩٣م)، العصر الهلنستي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- (٢٩) الصالح، إبراهيم (١٩٨٤م)، صفحات مطوية من تاريخ دورا أوروبوس، مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد ٣٤، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
- (٣٠) الصالحي، واثق إسماعيل (١٩٨٦م)، نشوء وتطور مملكة ميسان، دراسة تاريخية أثرية، مجلة المورد، الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث.

- (٣١) صراي، حمد محمد (٢٠٠٦م)، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا من القرن ٣ ق.م إلى القرن ٧م، الجمعية التاريخية السعودية، سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية، الإصدار العشرون، الرياض.
- (٣٢) صراي، حمد محمد (٢٠٠٩م)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي، سلسلة كتاب الأبحاث ١٩، إصدار مركز الدراسات والتوثيق، رأس الخيمة.
- (٣٣) الطائي، سيف جلال الدين (٢٠١٨م)، أسرار نخلة ميسان منذ النشوء إلى نهاية الدولة الاموية، دار آشور بانيبال للثقافة، بغداد.
- (٣٤) طقوش، محمد سهيل (٢٠٠٩م)، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- (٣٥) طيران، سالم بن أحمد (د.ت)، المنطقة الشرقية، المجلد الثامن، آثار ما قبل الإسلام، الفصل الثاني، موسوعة المملكة العربية السعودية، الرياض.
- (٣٦) العابد، مفيد رائف (٢٠٠٢م)، دراسات في تاريخ الإغريق، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي، ج ٢، ط ٤، منشورات جامعة دمشق، دمشق.
- (٣٧) عاقل، نبيه (١٩٨٣م)، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، مطبعة الداودي، منشورات جامعة دمشق، دمشق.
- (٣٨) العبادي، أحمد صالح (٢٠١١م)، العلاقات التجارية بين الخليج العربي وبلاد الهند في العصرين الهلنستي والروماني، مجلة الوثيقة، المجلد ٣٠، العدد ٦٠، المنامة.
- (٣٩) العبد الجبار، عبد الله بن عبد الرحمن (٢٠١٢م)، نظرة الكتاب الكلاسيكيين لتجارة الجزيرة العربية، مجلة الدرعية، العددان الحادي والثاني والخمسون، السنة الثالثة عشرة، يناير.
- (٤٠) عبد الحي، صلاح السيد (٢٠٠٦م)، الغارات اليونانية والعربية بين الحقيقة التاريخية والصياغة الأدبية، مجلة أوراق كلاسيكية، الصادرة عن جامعة القاهرة، العدد السادس، القاهرة.

- (٤١) عبد العظيم، عبد العظيم أحمد (٢٠١٥م)، بلاد العرب وإفريقيا في خرائط اليونان والرومان، بحث مقدم للندوة الدولية (العرب في أفريقيا قبل الإسلام) جامعة الحسن الثانية، المغرب الدار البيضاء.
- (٤٢) العتيبي، نوره صالح محمد (٢٠١٨م)، علاقة الجزيرة العربية بالدولة الأخمينية والدولة الفرثية، مجلة تاريخ العلوم، العدد الحادي عشر، الصادرة عن جامعة الملك سعود، الرياض.
- (٤٣) عجيبة، أحمد علي (٢٠٠٤م)، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، دار الآفاق العربية، القاهرة.
- (٤٤) العلي، جواد (١٩٧٦م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت.
- (٤٥) العلي، صالح أحمد (٢٠٠٠م)، تاريخ العرب القديم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.
- (٤٦) عياد، محمد كامل (١٩٨٠م)، تاريخ اليونان، ج ١، ط ٣، دار الفكر، دمشق.
- (٤٧) الغبان، علي إبراهيم، وآخرون (٢٠١٠م)، طرق التجارة القديمة، دليل معرض طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية، الرياض.
- (٤٨) غلاب، محمد السيد (١٩٧٩م)، التجارة في عصر ما قبل الإسلام، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، تحرير عبد الرحمن الأنصاري، جامعة الملك سعود، الرياض.
- (٤٩) فرح، أبو اليسر (٢٠٠٢م)، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، عين للدراسات، القاهرة.
- (٥٠) فرزت، محمد حرب (٢٠٠٥م)، مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة، منشورات جامعة دمشق، دمشق.
- (٥١) جميل، فؤاد (١٩٦٥م)، أرياثوس يدون أيام الإسكندر الكبير في العراق، مجلة سومر، مج ١ و ٢، ج ١ و ٢، بغداد.
- (٥٢) قادوس، عزت زكي (٢٠٠٧م)، العملات اليونانية والهلنستية، مطبعة الحضري، الإسكندرية.
- (٥٣) القيسي، ناهض عبد الرزاق دفتر، وحسن، سهيلة (تشرين الأول ٢٠١٨م)، النقود البارثية ومملكة ميسان (خاراكس) ٢٤٥ ق.م - ٢٢٤ ميلادية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦٦.

- (٥٤) كليب، مهيبوب غالب أحمد (٢٠١٠م)، تطور خطوط الملاحة البحرية حول الجزيرة العربية بين الألفين الثالث والأول قبل الميلاد، مجلة الوثيقة، مجلة علمية محكمة، مج ٢٩، عدد ٥٧، البحرين.
- (٥٥) مضوي، خالدية (٢٠١٧م)، جوانب من تاريخ جزيرة العرب قبل الإسلام، كتاب أرابيكا للملك الموريطاني يوبا الثاني (٢٥ ق.م - ٢٣ ق.م)، مجلة كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد ٣٧، سبتمبر.
- (٥٦) معراج، محمد رضا إبراهيم حسن (٢١ أبريل ٢٠٠٦م)، تايلوس وحضارة الأنباط، مداولات اللقاء العلمي السابع للجمعية، مملكة البحرين.
- (٥٧) المعلوف، عيسى إسكندر (٢٠١٤م)، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، القاهرة.
- (٥٨) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٥م)، العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس.
- (٥٩) موسى، فاطمة صلاح الدين (١٩٩٠م)، العلاقة بين الجزيرة العربية واليونان منذ عصر الإسكندر حتى بداية العصر الروماني، مركز الدراسات الإنسانية، الدوحة.
- (٦٠) مهران، إبراهيم محمد بيومي (د.ت)، منتجات الجزيرة العربية وتجاراتها الخارجية في كتابات هيرودوت، د.م.
- (٦١) الناصري، سيد أحمد علي (١٩٧٩م)، الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، تحرير عبد الرحمن الأنصاري، جامعة الملك سعود، الرياض.
- (٦٢) الناصري، سيد أحمد علي (١٩٧٦م)، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، من حضارات كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة.
- (٦٣) النعيمات، سلامة (٢٠٠٠م)، تجارة اللبان والبخور عبر موانئ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مجلة المنارة، مج ٥، عدد ١.

- (٦٤) النوري، ميثم عبد الكاظم (٢٠١٧م)، العلاقات القرشية الرومانية ٢٤٧ ق.م - ٢٢٦م، دار مكتبة عدنان، بغداد.
- (٦٥) يوسف، فرج الله أحمد (يناير ٢٠٠٢م)، مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام، مجل أدماتو، العدد الخامس، الرياض، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي.

المراجع الأجنبية:

1. Adil Hashim Ali., (2017), **Alexander the great and the Hellenistic naval presence in south Mesopotamia and the gulf.**, The Journal of Arab Gulf Volume 45, Issue 1-2.
2. Boardman, A. P., (1999), **An analysis of the generalship of Alexander III of Macedon: undermining or underlining greatness?** Durham theses, Durham University.
3. Blázquez Martínez & José María., (2006), **Arabia, the Arabs and the Persian Gulf.** A Dissertation of Ancient Sources., Gerión 2006.
4. Campbell, T, C., (2014), **An Empire on the Brink of Destruction: The Stability of the Seleucid Empire Under Antiochus IV (175 B.C. - 164 B.C.)**, University of Central Florida., STARS..
5. Haerinck, E., **Internationalization and Business in Southeast Arabia during the Late 1st century B.C./1st Century A.D.**: Archaeological Evidence from Ed-Dur (Umm al-Qaiwain, U.A.E.).
6. Haerinck, E., (1998), **International contacts in the southern Persian Gulf in the late 1st century B.C. / 1st century A.D.**, Iranica Antiqua, vol. XXXIII.
7. Hourani. G. F., (1951), **Arab Seafaring in The Indian Ocean In Ancient and Early -Medieval time.**, Princeton.
8. Gatier, Pierre-Louis., & Lombard, Pierre., & AL-Sindi, Khalid M., (2002), **Greek Inscriptions from Bahrain.**, publié dans Arabian archaeology and Epigraphy 13.
9. Kosmin, P., (2013), **Rethinking the Hellenistic gulf: the new Greek Inscription from Bahrain, Journal of Hellenic Studies 133;**

10. Kowalski, (2019), **Jean-Marie., Sailing the Indian Ocean in Ancient Times:** Angles, 01 November.
11. McLaughlin, R., (2014), **The Roman Empire and the Indian Ocean., The Ancient World Economy and the Kingdoms of Africa, Arabia and India.,** Great Britain.
12. Mohamed, A., & Thuraya Almansoori., (2015), **Date Palm Status and Perspective in Bahrain,** Springer Science + Business Media Dordrecht.
13. Mouton, M., (2009), **The settlement patterns of north-eastern and south-eastern Arabia in late antiquity.,** Arabian. archaeology. And epigraphy.
14. Philip S. Peek., (2018), **Herodotus, Histories, Book V.,** All content following this page was uploaded on 25 May.
15. Potts, D. T., (2010), **Achaemenid Interests in the Persian Gulf.**
16. Potts, D.T., (2001), Before the Emirates :**an Archaeological and Historical Account of Developments in the Region c. 5000 BC to 676 AD.**
17. Reddy, L, A., (2013), **Looking form Arabia to India: Analysis of the early Roman ‘India trade’ in the Indian ocean during the late Pre-Islamic period (3rd Century BC - 6th Century AD).**, A Thesis Submitted to Deccan College Postgraduate and Research Institute For the Award of the Degree of Doctor of Philosophy in Archaeology., November.
18. Robert G. Hoyland., (2001), **Arabia and the Arabs, From the Bronze Age to the coming of Islam.,** First published by Routledge., London and New York.
19. Salles, J-F., (1990), **The Periplus of the Erythraean Sea and the Persian Gulf,** Seminar: India and the Roman world, 1st – 4th cent. A.D. Madras, 20-21 Dec.

20. Thomas, C. G., (2007), **Alexander the Great in his World**, First published by Blackwell Publishing Ltd., Oxford.
21. **The oxford classical dictionary**, (1970), London, second edition, oxford university.
22. UNESCO., (2005), **World Heritage Scanned Nomination.**, Qal'at al-Bahrain Archaeological Site., 15th July.
23. Weekes, L. R., (2004), **An analysis of Late Pre-Islamic copper-base artefacts from Ed Dur, U.A.E.**, Arabian archaeology and Epigraphy 15:.

Preface

This research deals with the Arabian Gulf and the most important events that happened during the classical age focusing on the importance of the geography of this region in the Arab world . The study also focuses on the Arabian Gulf civilization which outshone over other civilizations . It deals with Greece's first start to know the Arabs and their countries and the Greece's interest to study the Arab region. The military wars started in the fifth century B.C which were the main reason for the Greek to know the Arab countries. It also shows the situation of the Gulf area shortly before Alexander Al makdoni's invasion and his start point to know the Arabs and their countries and his ambitions to control the Arabian Gulf and his wars against the Persian . After the victories he achieved to control the Akhmenian Emperor, he looked forward to occupy the Arabian Gulf because of the Arab's rejection to be governed by him . This research also discusses Alexander's real targets to control the Arabian Gulf and his preparations he did . Yet, Alexander was caught by a fever and died , so he didn't achieve his dreams of controlling the Arab Island. After that the research discusses the Arabian Gulf during the Solokian age and their awareness of the importance of this region specially the field of commerce, so they started planning to control the Arabian Gulf . The plans were in their nature a completing plans to Alexander's. The Solokians built ports and settlements across the Arabian Gulf . The research discusses the rites and customs of burying , the Islands of Tylos and Velka and Their importance, the relationship of the Solokians with the Arabian kingdom (AlJarhaa) and its economic importance and its political system were also studied. The research talks about the Arabian kingdom ' Maissan ' and its role in the Arab world through its relationship with Palmyra , the Arabian Gulf , China , the Nabataeans , the Romans and India .It also talks about the importance of Maissan's kingdom at the Helenstic era, its control on the commercial trade roads and the political circumstances that it has undergone. The study mentions the most important archeological sites in the Gulf during the period of the Jahraa kingdom and the discovery of the Greek's currency and the importance of that discovery in that area. In the last chapter, the research discusses the Arabian Gulf during the Romanian and Pherethian era and the attempts of the Romans to extend their authority over the Gulf through the diplomatic missions or through the mission of Trajan .

**Syrian Arab Republic
Damascus University
Faculty of Arts and Humanities
Department of History**



The Arabian Gulf in the Classical ages 333 B.C - 224 A.C
A historical- archaeological Study

A Thesis Submitted for the Master Degree in the Near East

Prepared by:

Ibrahim Youssef ALSULIMAN

Supervised by prof:

Mohammad ALZAIN

Prof the Classical history in Damascus University

2021- 2022